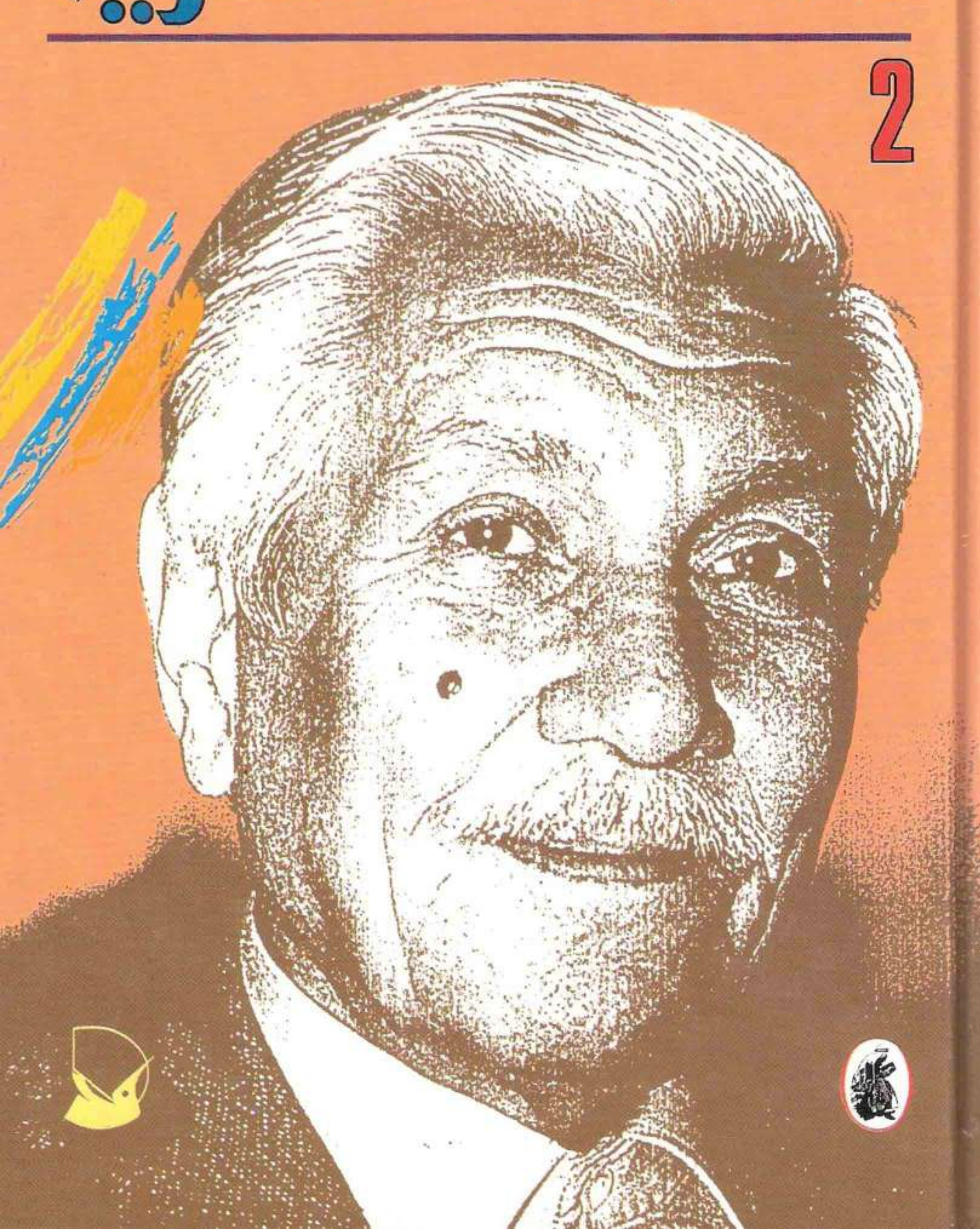
عبد الوهّاب البياتي

الأعمال الشعريّة

2





عبد الوهاب البياتي

الأعمال الشعرية

الطبعة منقحة ومزيدة

1995

المؤسسة العربية
للدراسات والنشر

المركز الرئيسي:
بيروت، ساقية الجنزير، شارع بربين
بناية برج الكارلتون
ت: 807900/1 ص.ب.: 11-5460
تلكس: LE/DIRKAY 40067 برقياً: موكيالي



دار الفارس للنشر والتوزيع
عمان، الشميساني، شارع عبد الحميد شرمان
عمارة بنرا سنتر، فوق (مطعم بيتزاهت)
ت: 605432 فاكس: 685501
ص.ب: 9157 عمان 11191



عبد الوهّاب البياتي

الأعمال الشعريّة

2






MOHAMED KHATAB

سفر الفقر والثورة



إلى عبد الناصر الإنسان

أيا جيل الهزيمة . . هذه الثورة
ستمحو عاركم وتزحزح الصخرة
وتنزع عنكم القشرة
وتفتح في قفار حياتكم زهرة
وتنبت ، أيها الجوف الصغار ، برأسكم فكرة
سيغسل برقها هذي الوجوه وهذه النظرة
ستصبح هذه الحسرة
جسوراً وقناديل
زهوراً ومناديل
ويصبح باطل الحزن أباطيل
وتزهر في فم الشعب المواويل
ستهوي تحت أقدامك ، يا جيلي ، التماثيل
وتسقط عن رؤوس السادة التيجان
كأوراق الخريف ستسقط التيجان
وتجرفها رياح الكادحين لهوّة النسيان
فهذا البرق لا يكذب
وهذا النهر لا ينضب
وهذا الثائر الإنسان عبر سنابل القمح
يهز سلاسل الريح
مع المطر
مع التاريخ والقدر

ويفتح للربيع الباب

فيا شعراءَ فجر الثورة المنجاب

قصائدكم له ، لتكن بلا حُجّاب

فهذا المارد الثائر إنسان

يزحزح صخرة التاريخ ، يوقد شمعة في الليل للإنسان

القاهرة : ١٠ ـ ٣ ـ ١٩٦٥

عذاب الحلاج

١ ـ المريد

سقطتَ في العتمة والفراغ
تلطّخت روحك بالأصباغ
شربت من آبارهم
أصابك الدوار
تلوثت يداك بالحبر وبالغبار
وها أنا أراك عاكفاً على رماد هذي النار
صمتُك بيت العنكبوت ، تاجك الصُبَّار
يا ناحراً ناقته للجار
طرقتَ بابي بعد أن نام المغني
بعد أن تحطَم القيثار
من أين لي وأنت في الحضرة تستجلي
وأين أنتهي وأنت في بداية انتهاء
موعدنا الحشر ، فلا تَفُضّ ختم كلمات الريح فوق الماء
ولا تمسّ ضرع هذي العنزة الجرباء
فباطن الأشياء
ظاهرها . . فَظُنّ ما تشاء

من أين لي ونارهم في أبد الصحراء
تراقصت وانطفأت
وها أنا أراك في ضراعة البكاء
في هيكل النور غريقاً صامتاً تُكلِّمُ المساءْ

٢ ـ رحلة حول الكلمات

ما أوحشَ الليل إذا ما انطفأ المصباح
وأكلتْ خبز الجياع الكادحين زمرُ الذئاب
وصائدو الذباب
وخَرّبت حديقةَ الصباح
السحبُ السوداءُ والأمطارُ والرياح
وأوحش الخريف فوق هذه الهضاب
وهو يدبّ في عروق شجر الزقوم ، في خمائل الضباب
يا مُسكري بحبهِ
مُحيري في قربهِ
يا مُغلق الأبواب
الفقراء منحوني هذه الأسمال
وهذه الأقوال
فمُدّ لي يديكَ عبر سنوات الموت والحصار
والصمت والبحث عن الجذور والآبار
ومزق الأسداف
وليقبل السيّاف
فناقتي نحرتها وأكل الأضياف
وارتحلوا

وها أنا أقلب الأصداف
لعلها أوراقُ وردٍ طيّرتها الريحُ فوق ميتٍ ، لعلها أطياف

٣ ـ فسيفساء

مهرّج السلطانْ
كان ويا ما كان
في سالف الأزمان
يداعب الأوتار ، يمشي فوق حدّ السيف والدخان
يرقص فوق الحبل ، يأكل الزجاجَ ، ينثني مغنياً سكران
يُقلد السعدان
يركب فوق ظهره الأطفال في البستان
يُخرج للشمس ، إذا مدّت إليه يدها ، اللسان
يُكلم النجوم والأمواتْ
ينام في الساحات
كان يحبّ ابنة السلطان
يحيا على ضفاف نهر صوتها
وصمتها
لكنها ماتت كما الفراشة البيضاء في الحقول
تموت في الأفول
فجُنّ بعد موتها
ولاذَ بالصمت وما سبّح إلا باسمها
وذات يوم جاءني

يسألني
عن الذي يموت في الطفولة
عن الذي يُولد في الكهولة
رويتُ ما رأيتْ
رأيت ما رويت
كان ويا ما كان

٤ ـ المحاكمة

بُحتُ بكلمتين للسلطانْ
قلتُ له : جبان
قلت لكلب الصيد كلمتينْ
ونمت ليلتين
حلمتُ فيهما بأني لم أعد لفظين
توحّدتْ
تعانقت
وباركتْ ـ أنتَ أنا
تعاستي
ووحشتي
وضجَ في خرائب المدينةِ
الفقراء إخوتي
يبكون ، فاستيقظتُ مذعوراً على وقع خطا الزمان
ولم أجد إلا شهود الزور والسلطان
حولي يحومون ، وحولي يرقصون : إنها وليمة الشيطان
بين الذّئاب ، ها أنا عريان
قَتَلتَني
هجرتني

نسيتني
حكمتَ بالموت عليّ قبل ألف عامْ
وها أنا أنام
منتظراً فجر خلاصي ، ساعة الإعدام

٥ ـ الصلب

في سنوات العُقمِ والمجاعهْ
باركني
عانقني
كلّمَني
ومَدّ لي ذراعه
وقال لي :
الفقراء ألبسوكَ تاجهم
وقاطعو الطريقْ
والبرص والعميان والرقيق
وقال لي إياكْ
وأغلق الشباكْ
واندفع القضاة والشهود والسيّافْ
فأحرقوا لساني
ونهبوا بستاني
وبصقوا في البئر ، يا مُحيِّري
ومُنْكري
وطردوا الأضياف
من أين لي أن أعبر الضفاف

والنار أصبحت رماداً هامداً
من أين لي يا مُغلق الأبوابْ
والعقم واليباب
مائدتي ، عشائيَ الأخيرُ في وليمة الحياهْ
فافتح ليَ الشباكَ ، مُدّ لي يديك آه

٦ - رماد في الريح

عشر ليالٍ وأنا أكابد الأهوالْ
وأعتلي صهوة هذا الألم القتّال
أوصال جسمي قطَّعوها
أحرقوها
نثروا رمادها في الريحْ
دفاتري
تناهبوا أوراقها
وأخمدوا اشواقها
ومرّغوا الحروف في الأوحالْ
دمي بأسمالي
أنا هذا بلا أسمال
حرٌّ كهذي النار والريح ، أنا حرٌّ إلى الأبدْ
يا قطرات مطر الصيف ، ويا مدينة ما عاد منها أبداً أحد
موعدنا الحشر ، فلا تداعبي قيثارة الجسدْ
أوصال جسمي أصبحت سمادْ
في غابة الرماد
ستكبر الغابةُ ، يا مُعانقي
وعاشقي

ستكبر الأشجارْ
سنلتقي بعد غدٍ في هيكل الأنوار
فالزيت في المصباح لن يجفّ ، والموعدُ لن يفوت
والجرح لن يبرأ ، والبذرة لن تموت

١٩٦٤

قصيدتان الى ولدي علي

- ١ -

قمري الحزينْ
البحر مات وغيّبت أمواجُهُ السوداء قلع السندبادْ
ولم يعد أبناؤه يتصايحون مع النوارس والصدى المبحوح عاد
والأفق كَفّنَه الرمادْ
فَلِمن تغنّي الساحراتْ ؟
والبحر مات
والعشب فوق جبينه يطفو وتطفو دنيوات
كانت لنا فيها ، إذا غنّى المغني ، ذكريات
غرقت جزيرتنا وما عاد الغناء
إلا بكاءْ
والقبّراتْ
طارت ، فيا قمري الحزينْ
الكنز في المجرى دفين
في آخر البستان ، تحت شجيرة الليمون ، خبأهُ هناك السندبادْ
لكنه خاو ، وها أن الرماد
والثلجَ والظلمات والأوراق تطمره وتطمر بالضباب الكائنات
أكذا نموت بهذه الأرض الخراب ؟
ويجفّ قنديل الطفولة في الترابْ ؟

أهكذا شمس النهارْ
تخبو وليس بموقد الفقراء نارْ ؟

- ٢ -

مدنٌ بلا فجرٍ تنامْ
ناديتُ باسمكَ في شوارعها ، فجاوبني الظلام
وسألت عنك الريح وهي تئنّ في قلب السكون
ورأيت وجهك في المرايا والعيون
وفي زجاج نوافذ الفجر البعيدْ
وفي بطاقات البريد
مدن بلا فجر يغطيها الجليد
هجرت كنائسها عصافيرُ الربيعْ
فلمن تغني ؟ والمقاهي أوصدت أبوابها
ولمن تصلي ؟ أيها القلب الصديع
والليل ماتْ
والمركبات
عادت بلا خيلٍ يغطيها الصقيع
وسائقوها ميتون
أهكذا تمضي السنون ؟
ويمزق القلبَ العذابْ ؟
ونحن من منفى إلى منفى ومن باب لبابْ
نذوي كما تذوي الزنابق في التراب
فقراء ، يا قمري ، نموتْ
وقطارنا أبداً يفوت

١٩٦٥/٣/٣١

« ولكن الأرض تدور »
غاليليو

١ ـ فارس النحاس

لمن تغني هذه الجنادبْ ؟
لمن تضيء هذه الكواكب ؟
لمن تدق هذه الأجراسْ ؟
وأين يمضي الناس ؟
هذا بلا أمسٍ وهذا غدهُ قيثارةٌ خرساء
داعَبها ، فانقطعتْ أوتارُها وَلاذَ بالصهباء
وذا بلا وجهٍ ، بلا مدينةٍ ، وذا بلا قناعْ
أشعلَ في الهشيم ناراً وانتهى الصراع
وذا بلا شراعْ
أبحر حول بيته وعادْ
حياتُهُ رمادْ
وليلُهُ سهاد
يا موتُ ! يا نعاسْ !

لوركا ونور العالم الأبيض في الأكفان
وفارس النحاس
في ساحة المدينة
تجلده الرياح
تنوشه الرماحْ
سيصبحُ الصمتُ رهيباً عندما أكسر عند قدميكَ أبتي الإناء
متِّ وما تزال حياً أنت والريح التي تبكي
تهز البيت في المساء
حرمتني من نعمة الضياء
علمتني ثقلَ غيابِ الكلماتِ وعذابَ الصمتِ والبكاء
الشارع الميّت غطى وجهه الصقيع
والباب أغلقت إلى الأبدْ
ثلاثة منها أطل في غد عليك
مُقبِّلاً يديك :
لزوم بيتي وعمايَ واشتعال الروح في الجسد

٢ ـ العباءة والخنجر

شربت من خمر الأمير ، ورأيتُ في نهار ليله النجوم
أكلتُ من طعامه المسموم
أصبتُ بالتخمة والحمى وبالضجرْ
أصبحتُ في بلاطه حجر
ليلاً بلا سحرْ
قيثارة مقطوعة الوتر
عباءة بالية ، مسمار
صفراً يدور في الفراغ ، آلةً تُدار
كنتُ إذا ما غاب عبر حجرتي القمرْ
وغسل المطر
ذوائب الشجر
أنزع نفسي في بلاط قصره ، وأكسر الحجرْ
أشدّ في قيثارتي الوتر
أمدّ للسحر
يدي التي تثلجتّ
يدي التي تحجرت ، وأصبحتْ
من دون أن أدري إلى الأمير
لخنجره وخمرته ، [illegible]

يدي التي استرجعتُها
أمدّها ، لتنفخ الحياة في الجماد
لتزرع الأوراد
أمدها للشمس والريح وللمطر
لإخوتي البشر

٣ ـ المغني والأمير

كان على الحصيرْ
ممداً مناجياً أميره :
يا قمر الزمانْ
أسألكَ الأمان
فإنني رأيت في الأحلامْ
تاجكَ منه يصنع الحداد
نعل حصاني ، ويحز رأسك الجلاد
وتجدب الحقول في شتاء هذا العام
وتفتك الملةُ بالجباة والقضاهْ
ويحكم العصاةُ والأشباه .
وإنني رأيتُ في اليقظة في السماء
سجادة حمراء
مسحورةً تطير في الهواء .
فانتفض الأمير ثم ضحكا
وقال للجلاد شيئاً وبكى
فاصطفقت وأُغلقت أبوابْ
وانقلبت آنيةُ الطعام والشراب
وسكت القيثار
وانطفأ القنديل ثم أُسدل الستارْ

٤ ـ سقط الزند

مجلسُهُ كان يعجّ بدواب الأرض والهوامْ
من كل صعلوكٍ شويعر ، دعيٍّ ، داعر نمّام
كان ـ إذا ما أنشدوا أشعارهم ـ ينام
مفلطحاً ومتخما
وكلما
أنشد منهم أحدٌ تململا
وقال لا !
ـ مولاي ، هل يخفى القمر ؟
ويغضب الأميرْ
ويصفع الشاعرَ ، فالقمرْ
يغيب كل ليلة في صفحة الغديرْ
كان زماناً داعراً ، يا سيدي ، كان بلا ضفافْ
الشعراء غرقوا فيه وما كانوا سوى خراف
وكنتَ أنت بينهم عرّاف
وكنت في مأدبة اللئام
شاهدَ عصرٍ سادَهُ الظلامْ
قافيةُ الهمزةِ كانت بغلةً عرجاءْ
يركبها الأمير كلَ ليلةٍ ليلاء

كلُ القوافي أصبحت ، يا سيدي ، كالبغلة العرجاء
كان زماناً داعراً ، كان بلا حياء

٥ ـ حسرة في بغداد

أبحثُ عن سحابة
خضراء ، عني تمسح الكآبة
تحملني
إلى براري وطني
إلى حقول السوسنِ
تمنحني
فراشةً ونجمة
وقطرةً بها أبل **ظمأي** وكِلْمَة
فماءُ دجلةَ الحزين **اعتكرا**
وما جرى
إلا ليُغرق السدودَ والقرى
فمن ترى ؟
بمائه يغسلني
تحت ظلال نخله يدفنني
ببيت شعرٍ بعد ألفِ سنة ينشدني
فوطني بعيدْ
وبيننا هذي الليالي السودْ
والحبر والأوراقْ

وحائط الأشواق
معرةَ النعمان يا حديقة الذهبْ
الصيفُ جاء وذهبْ
وأنتِ تضحكين
لاهيةً ، بالرمل تلعبينْ
حطّ على شُرفتك الغرابْ
وارتحل الأحباب
تفرقوا قبائلْ
وجفّت الخمائل
وهاجرت مع الضحى العنادل
لم يبقَ إلا الموتُ في الأطلال والهياكل
لم يبقَ إلا الشعرُ في ذاكرة الأحقاب
وبعد ألف سنةٍ ستنضجُ الأعناب
وتُملأ الأكواب
ويُبعث المغني
فآهِ ثم آهٍ يا صبابتي وحزني

٦ ـ قمر المعرة

الليل في معرة النعمانْ
زنجيةٌ على رخام جيدها قلائد الجمان
يا آخر الدنيا
ويا نافورةً تنحب في بستانْ
من أي أرض هذه الألحانْ
وأي رعد عاقر أيقظ في الوديان
منازلَ الأقنان ؟
وحرّك الأضغان ؟
في هذه الضفادع المقطوعة اللسان
فاستيقظي يا صخرة في الصدر ، يا رمحاً بلا سنان
يا كلماتٍ خُضِّبتْ بالدّم ، يا نارا بلا دخان
ونُسكتي ضفادع السلطان
والجيفَ الموشومة
بالنار والجرائد القديمة

ولتضيء البروق
يا أم دفرٍ ، وجهك المسحوق
وثوبك المرقع المسروق
فالفقراء صَلبوا في السوق

سلطانك المخلوعْ
وكفروا بالجوع
ولتُضىء المشاعلْ
ظلام هذا الكوكب الغارق بالأوحال والصقيع
هذا الأقحوان الذابل

٧ ـ لزومية

حزن بلا صوت وقيثارةٌ
أرهفها ، قبل الأوان ، الشقاءْ
فاحترقت أوتارها في يدي
وكان لي بها ومنها وقاء
« آهٍ غدا من عرقٍ نازلٍ
ومهجة مولعة بارتقاء
ثوبيَ محتاجٌ إلى غاسلٍ
وليت قلبي مثله في النقاء »
يا حافر البئر بأوجاعه
ومودعاً رحمته في السقاء
وجاعلاً من كلماتي فماً
يصيح في ليلٍ بلا أصدقاء
عمّق وعمّق فغداً ينتهي
عذابك الأسود بعد اللقاء
خبزك مسموم فَكُل ما اشتهتْ
نفسك ، ولتنعم بطول البقاء

٨ ـ لتكن الحياة عادلة

ـ الموتُ عدلٌ ـ حسناً ، فلتكن الحياه
عادلة ، وليُمنح الشحاذُ عرشَ الشاه
فمصطفى مات على الرصيف في الظهيرة
والشاه مات فوق صدر الدمية الأميرة
مُخدّراً وعاريا
وعندما بكاهُ شاعرُ البلاط ، نبح الكلب ، عليه باكيا
ولبس المهرجُ السواد
حزنا على سيده
حزناً على البدر الذي غاب عن البلاد
ومصطفى في حفرةٍ مهجورْ
عيونّه فارغةٌ وأنفه مكسور
ومصطفى الأخر في الحقل على مسحاته يخور
مهشماً منخور
عيونهُ جاحظةٌ ووجهه مجدورْ
يستقريء الأرض ويمضي باحثاً فيها عن الجذور
السندباد من هنا مرَّ، ومرت هذه العصور
وألف نملة بنَت وهدمت قصورْ
وهو على مسحاته يدور

والشاه في بلاطه مخمور
يغرق في الحرير والأطياب
ويطعم الكلاب
ـ الموت عدل ـ حسناً ، فليُضرَب الشاهُ على قفاهْ
حتى يموتَ ، ولتكن عادلةً ، يا سيدي ، الحياهْ

٩ ـ الضفـادع

ضفادعُ الحزنِ على بحيرة المساءْ
كانت تصبّ في طواحين الليالي الماء
تقارض الثناء
ما بينها ، وتنشر الغسيلَ في الهواء
وتشرب الشاي وفي المكاتب الأنيقة البيضاء
والصحف الصفراء
كانت تقيء حقدها على الجماهير ، على المارد وهـو يكسِّر الأغلال
ضفادع كانت تسمي نفسها « رجالْ »
رأيتهـم في مدن العالم ، في شوارع الضباب
في السوق ، في المقهى ، بلا ضمير
يزيفون الغد والأحلام والمصير
رأيتهم من عرق الجياع
ومن دم الكادح ، يبنون لهم قلاعْ
أعلى من السحاب
حتى إذا ما طلع الفجر ، رأيتُ هذه الضفادع العمياء
على كراسي الحكم في رياء
تغازل الجياعْ

وتفرش الأرض لهم بالورد والريحان
يا ضيعة الإنسان
يا سيدي ، في هذه الأزمان
ما دام في المعجم شيءٌ اسمُهُ النسيان

١٠ ـ ولكن الأرض تدور

إذا أردتم ، سادتي ، فالأرضُ لا تدورْ
ولا يغطي نصفَها الديجور
ولا تضم هذه القبور
إلا الدمى ولعبَ الأطفال والزهور
وكل ما كان وما يكون
مقدّرٌ مكتوبْ
فأنتم الأسيادْ
ونحن في بلاطكم طنافس وخدمٌ نسوس في الحظائر الجياد
ونحن في الحرب لكم أجناد
نموت من أجل عيون قطط الأمير
ولمعانِ ذهب اللصوص والتجار في خنادق الهجير
ونحن في جنازة الغروب
شعبٌ فقيرٌ جائع مغلوب
استباحه المغول
إذا أردتم ، سادتي ، أقولْ
ما قاله الشاعرُ للسلطان
عبر عصور القهر والهوان
فنحن بركانٌ بلا دخان

وثورةٌ ليس لها أوان
إذا أردتم ، سادتي ، فلتسكتوا الشاعرَ ولتحطموا القيثار
ولتُوقفوا الأنهار
فعصركم مضى إلى الأبدْ
ولم تعودوا غير أشباح بلا قبور
والأرضُ ، رغم حقدكم ، تدور
والنورُ غطى نصفها المهجور

١٩٦٥

سفر الفقر والثورة

« إلى أسماء »

- ١ -

من القاع أناديك
لساني جف واحترقتْ
فراشاتي على فيك
أهذا الثلج من برد لياليك ؟
أهذا الفقر من جود أياديك ؟
على بوّابة الليلِ
يسابق ظله ظلي
ويقبع ساغباً عريان في الحقل
ويتبعني إلى النهرِ
أهذا الحجر الصامت من قبري ؟
أهذا الزمن المصلوب في الساحات من عمري ؟
أهذا أنت يا فقري ،
بلا وجهٍ ، بلا وطنٍ
أهذا أنت يا زمني ؟
يخدِّش وجهك المرآة
ضميرك تحت أحذية البغايا مات
وباعكَ أهلُكَ الفقراء

إلى الموتى من الأحياء
فَمَن سيبيع للموتى ؟
ومن سيبدد الصمتا ؟
ومن منّا ؟
شجاع زمانه ليعيد ما قلنا
ومن سيبوح للريح
بما يوحي
بأنا لم نزل أحياء
أهذا القمر الميت إنسان ؟
على سارية الفجر ، على حائط بستان
أتسرقني ؟
أتتركني ؟
بلا وطن وأكفان
صغاراً آه قد كنا ، وقد كان . . .
لو أنّ الفقر إنسان
إذن لقتلتُه وشربتُ من دمه
لو أنّ الفقر إنسان

- ٢ -

ناديت بالبواخر المسافرة
بالبجعة المهاجرة
بليلةٍ ، رغم النجوم ، ماطرة

بورق الخريف ، بالعيون
بكل ما كان وما يكون
بالنار ، بالغصون
بالشارع المهجور
بقطرات الماء ، بالجسور
بالنجمة المحطّمة
بالذكريات الهَرِمة
بكل ساعات البيوت المظلمة
بالكلمة
بريشة الفنان
بالظل والألوان
والبحر والربان
أن نحترقْ
لتنطلق
منا شراراتٌ تُضيءُ صرخةَ الثوار
وتوقظ الديك الذي مات على الجدار

- ٣ -

يطاردني بلا رحمة
يسدّ عليَّ بالظلمة
شوارعَ هذه المدن التي نامت بلا نجمة

يطل عليّ من كأسي
ويستلقي على الكرسي
جريدتُهُ تُغطي نصفه العاري
لفافتُه بلا نار
مخالُبه بأغواري
جليد أسودٌ ورماد أمطار
أهذا أنت عبر زجاج مقهى الليل في المطرِ ؟
بلا عينين كالقدَرِ
تحث خطاك في أثري
تطاردني إلى داري
أهذا أنت يا جاري ؟
كأن شوارع المدنِ
خيوط منك يا كفني
تطاردني
تُعلقني
على شباك مستشفى
ومن منفى إلى منفى
تسدّ عليّ بالظلمة
شوارع هذه المدن التي نامت بلا نجمة
أما في قلبك الحجريِّ من رحمة ؟

- ٤ -

غريباً كنت في وطني وفي المنفى
جراحاتي التي تُشفى
سَتَفْتَحُ في غدٍ فاها
لتسألَني
لتصلبَني
على شباك مستشفى
فأوّاها
بعيد أنت يا وطني
كحلم عبر نافذة القطار أراك في الوسن
نخيلك في ضباب الفجر أيقظني
أهذا أنت يا قدري ؟
تجرُّ وراءك العربات والموتى
وتنصب في الطريق لنا الشراك وتسرق البسمة
وتُغرق هذه الغابات بالعتمة
عصافيرَ بلا عشّ
وأنت تدق في الرفش
على بوابة الفجرِ
لتحفر في فنادق هذه المدن التي ماتت ومات ربيعها قبري
لتمنح خادم المقهى الذي استنزفته أجري
غني أنت يا فقري
سيسرقك اللصوص وأنت لا تدري

- ٥ -

ـ أتسمع صيحة الديكِ ؟
ـ هي الثورة ؟
ـ ملاك أنت فوق جبينه زهرة
يقول لجاره ويموء كالهرَّة
ـ كأن الليل قيثارة
ولكن المغني صامتٌ وسماؤه خرساء منهارة
وجاري يقلب الكرسي
ويغرق ضاحكاً عينيه في كأسي
ـ أبيعك رأس « فينوسٍ » بقرشينِ
ولوحاتي وخرقة ذلك الدرويش بالدينِ
ـ أبيعك هذه الشمعة
إذا أوقدتها حملتك أجنحة من المُتعة
إلى قلعة
بها الإنسان لا يسأمْ
ولا يشقى ولا يهرم
يقضّي عمره في ليلها الأبدي لا يحلم
بصيحات العصافير
وميلاد الأزاهيرِ
ـ ولكن الرياح ، ستطْفىء الشمعة
فتغرق هذه القلعة
ـ سيحرق نفسه جاري

ويبقى ذلك الجبل الثقيل بغير أنوار
فأوّاها
أتنطق هذه الصخرة ؟
وتفتح في غدٍ فاها
ويجري الماء منها قطرةً قطرة
وتنبت فوقها زهرة
وتحملني ليالي الصمت للمقهى
شريداً ما له مأوى
يجوب شوارع المدن التي نامت بلا نجمة
على عُكّازه ويغيب في الظلمة

- ٦ -

قلتُ لكم أعودْ
لكنني احترقت في الموانىء البعيدة
أصابني الدوارُ ، زلّت قدمي
سقطت في المصيدة
أوسمتي ، شارةُ حبي سُرقتْ
وكانت القصيدة
أسلحتي الوحيدة
في مدن العالم ، في منازلي الشريدة
بها فقأت أعين اللصوص والضفادع البليدة
- من يشتري قصيدة ؟
لقاء هذا القمر الغارق في بحيرة السماءْ

فوق القمم المديدة
لقاء هذا المطر الأخضر ، هذي الزهرة الفريدة
ـ ومن يفك الشاعر الأسيرْ ؟
من أسره ، من ظلمات عصرنا ، من قلق المصير
ـ الشعر كان قدري يا قاتلي الأجير
ـ من يمسح التراب عن زجاج هذا الفندق الحقير ؟
ـ وقعت في الكمين
يا أيها الشاهد ، فاحلف لهم اليمين
ولتمسح النجوم بالمنديلْ
فليس للعالم من بديل
وليس للثورة من سبيل
إلا بأن تدك هذا الجبل الثقيل
ـ وقعت في الكمين
فامشِ على رأسك ولتصفق الليلة باليسار واليمين
فحفلة الليلة ليست فرحاً محضاً وليست أبداً تأبين
ـ سقطت في المصيدة
فاكتب لنا قصيدة
عن النجوم وانهِها نهايةً سعيدة
ـ قلت لكم أعودْ
لكنني احترقت في الموانيءِ البعيدة
وكانت القصيدة
أسلحتي الوحيدة
بها فقأت أعين اللصوص والضفادع البليدة

١٣ ـ ٣ ـ ١٩٦٥

فرسان الضباب

عندما كُنْتم تغنون السكارى
وتموتون ضجر
في المقاهي
وتقيئون قصائدْ
في المواخير وفي الحانات يا أحفاد فرسان الضباب
عندما كانت حراب
وسجونْ
صانعي المأساة ، بالناس تضيقْ
عندما كان الحريق
والعمى والموت في كل مكانْ
كنتُمُ لاعب نرد في الدخان
كنتم شاهد زورْ
كنتم تبنون سور
حول مَجْدِ الكلمة
وعذاب الكلمة
وانتصار الكلمة

١١ - ٦ - ١٩٦٤

مرثية الى مهرج

- ١ -

مهرج صغيرْ
أراد أن يطير
فسار وهو المقعد الضرير
وراء نعش بغلة الأمير
وباع للشيطان
حماره ، وأطلق العنان
ونام تحت جبل الورق
الحبر تحت رأسه نهر من الأرق
تنفس الغراب في سمائه السوداء وانطلق
ينعب في جنازة الغسق
وهب مذعوراً ، فحبل حلمه احترق
وغاص في مستنقع الأحزان واختنق

- ٢ -

« السلحفاة تسبق الأرنب في نهاية المطاف »
معلم الخراف
كان يهش بعصاه ، كانت الألفاظ

تسقط في آبار هذا الليل تحت قدم العرّاف
وكانت المتاحف
تضم تيجان ملوك سبقوا السلاحف
أهذه الزواحف ؟
واخجلتاه في غد تطير
تمسح ذيل بغلة الأمير
تهش عن وجه الصغار السادة الذباب
تنفض عن لحاهم التراب
فمهنة التمسيح في زماننا يبرع فيها العور والأذناب

- ٣ -

كان على المسرح يبكي ، كان تاج الورق الملون الكبير
يسقط تحت قدم الجمهور
وكان قوس النار . .
وعنزة تنفخ في مزمار
وكان في الفراغ
يهوي ، وكان وجهه ملطخاً بأرخص الأصباغ
وكانت الأبواق
تعوي وكان جبل الأوراق
ينهار تحت وطأة الزلزال
أهكذا ينتحب الرجال ؟
يا أيها الغراب !
ويذبل الشباب ؟

- ٤ -

العالم الخاوي وآلاف الرجال يذرعون الشارع المهجور
وهو على المسرح يبكي النور
هاملت مات قبل عامين ومات قبله الجمهور
أهذه الزواحف العمياء ؟
أطفأت الضياء ؟
هاملت يطفو فوق سطح الليل والأشياء
متوجاً بالقش والطحالب
أهذه الثعالب ؟
أسدلت الستار ؟
المسرح الخاوي بلا أنوار
وهو على كرسيه ينهار
محطماً ، يُكلِّم الجدار

- ٥ -

من النظام تُولد الفوضى ومن تناغم الأصوات
تنبعث الصيحات
هاملت مات قبل أن يموت
سطا على إكليله الشوكي عنكبوت
كان على المسرح يبكي ، كان تاج الورق الملون الكبير
يدوسه الجمهور

كان بلا مُلقنٍ ، يرقص في الفراغ ، فوق ظله يدور
ايتها الديدان
أتأكل النيران
هذا الحصان الخشبي ، هذه الجدران ؟
أيُبعث الإنسان ؟
في هذه المقبرة الضائعة المكان

١٢ - ٤ - ١٩٦٥

الى هند

عيناك « مدريدْ » التي استعدتها
عيناك « قندهار »
بحيرتان عبر غابات النخيل وسهوب النار
غرقتُ فيهما ، أحترقتُ
دمّر الإعصار
جزيرتي ، وأغْرق التيار
ضوء القناديل الخريفيّة
في قصر جنّية
عاشت على انتظار أغنية
وفارس مُلثم يأتي مع الريح الشماليّة
يدق في قيثاره الأبواب
يُلقي سؤالهُ ولا ينتظر الجواب
ماذا على الماء كتبت أيها الإنسان ؟
وما هو الشيءُ الذي يعيش إنْ كرهتهُ ؟
يموتُ إن أحببتهُ ويغمر العالم بالضباب ؟
عيناك « أصفهان »
أوى إلى أبراجها الحمام
وبُعث الخيَّام
بعندليب فمه الظمآن
مُوَزّعاً ألحانه في الحان
ومُتْرعاً قُبة هذا الليل بالمُدام

عيناكِ « بغدادُ » التي افتقدتها في الصحو والأحلام
لو كنتُ هارونَ الرشيد لتنزهتُ بها
مُوَزِّعاً على الجموعِ طَيِّبَ الكلام

لكنني لست الخليفةَ الشهيرَ أو مغني عصره الهمَّام
ولست بالخيَّام
وإنني بالرغم من فقري بهذا الزمن البخيل
وليل حزني المُجدِب الطويل
بكيت ، يا حبيبتي ، كثير
منحت أهلي الفقراء كلماتي
وتمزَّقتُ على الأشواكِ في الهجير

٢٣ - ٤ - ١٩٦٥

الذي يأتي ولا يأتي

[سيرة ذاتية لحياة عمر الخيام الباطنية الذي عاش في كل العصور منتظراً الذي يأتي ولا يأتي]

[كل فنان يحتفظ في أعماقه بينبوع فريد ، يشكل مصدر تصرفاته وأقواله طوال حياته إن هذا الينبوع ، بالنسبة إلي ، يظل أبداً ذكريات عالم البؤس والضوء الذي عشت فيه لفترة طويلة] .

البير كامو

كان على جواده ، بسيفه البتّار
يمزق الكفّار
وكانت القلاع
تنهار تحت ضربات العُزَّلِ الجياع
ـ مولايَ : لا غالب إلا الله
فلتغسل السحابة
أدرانَ هذي الأرض ، هذي الغابة
ولينهض الموتى من القبور.
ولتحرق الصاعقةُ الجسور
والجثث المنفوخة البطون
فَحَول رأس القيصر ، النسور
تحوم ؛ والأمطار
تغسل جرحك الدفينَ ؛ تغسل الأشجار
ـ مولايَ : لا غالب إلا الله
فآه ثم آه
مملكة الموت على أسوارها الحُرّاس
يرنِّقُ النعاس
عيونهم ؛ فلتُفتح البوّابة

وليدخل الغالب والمغلوب
فالفجر في الدروب
عما قريب ؛ يوقظ الحراس
ويقرع الأجراس
ــ مولايَ ! قال النجمُ لي ، وقالت الأقدار
بأننا ممثلونَ فاشلون فوق هذا المسرح المنهار
وأن هذي النار
الشاهد الوحيد في محكمة الزمان
تَصَدَّع الإيوان
واحترقت أوراقنا الخضراء في الحديقة المعطار
والعندليب طار
ــ مولايَ ، لا غالب إلا الله
فآه ثم آه

ولدتُ في جحيم نيسابور
قتلتُ نفسي مرتين ، ضاع مني الخيط والعصفور
بثمن الخبز ، اشتريت زنبقاً
بثمن الدواء
صنعت تاجاً منه للمدينة الفاضلة البعيدة
لأمِّنا الأرض التي تُولد كل لحظة جديدة
نمت على الأرصفة الغبراء
اصطدتُ الفراشات ، وقعتُ في شِراك النور
وسحب الخريف والغابات والزهور
كلّمتُ نجمة الصباح ، قلتُ يا صديقة
أتزهر الحديقة ؟
وتولد الحقيقة ؟
من هذه الأكذوبة البلقاء
طفولتي الشقية الحمقاء
فراشة عمياء
ـ البشر الفانون في مدينة الحديد والأحجار
تسلقوا الأسوار
ونصبوا الشراك

قالت ، ومدت يدها : أهواك
وابتسم الملاك
وغاب في الجدار
ـ يا عندليب العاشق الأعمى ، ويا خزائن الأسرار
أبحرت السفينة
تبحث في الأصقاع عن مدينه
لم يقف الشحاذ في أبوابها يوماً ولم يُسند على رصيفها جبينه
لكنما السفينه
عادت مع المساء للمدينه
تحمل فوق ظهرها الشحاذ
مقوَّس الظهر ، بلا عيون
الجثث المبقورة البطون
تسدّ هذا الشارع الملعون
متى ؟ متى أيتها الشمطاء ؟
ستمطر السماء !
وتولد الحقيقة ؟
من هذه النفاية الغريقة !

كل الغزاة ، من هنا ، مرّوا بنيسابور
العربات الفارغة
وسارقو الأطفال والقبور
وبائعو خواتم النحاس
وقارعو الأجراس
كل الغزاة بصقوا في وجهها المجدور
وضاجعوها ، وهي في المخاض
حياتنا فيها ، وفي داخل هذا النفق المسدود
رواية مُملةٌ مثّلها أحمقٌ أو مجنون
ـ أيتها الأنقاض !
دقّت طبول الموت في الساحات
وأُعدم الأسرى وهم أموات
ـ لسانها الثرثار
يقطع فيه خشب التابوتْ
خيوط عنكبوت
تلتفُّ حول هذه الذبابة .
أيتها السحابة !
لتغسلي ذوائب المدينة الثرثارة

وهذه القذارة
كل الغزاة ، من هنا مرّوا بنيسابور
على ظهور الصافنات وعلى أجنحة الطيور
البشر الفانون
يحطّمون بيضة النسر ، ويُولدون
من زبد البحر ومن قرارة الأمواج
من وجع الأرض ومن تكسُّر الزجاج
أقدام جرذان على السجاد
مرّت ، ونار ومضت من خلل الرماد
ـ لنقرأ الكتاب بالمقلوب
مُنقّبين في حواشيه عن المكتوب والمحجوب
كان علينا أن نضيء النور
في ليل نيسابور

في حانة الأقدار

القمر الأعمى ببطن الحوت
وأنت في الغربة لا تحيا ولا تموت
نار المجوس انطفأت
فأوقد الفانوس
وابحث عن الفراشة
لعلّها تطير في هذا الظلام الأخضر المسحور
واشرب ظلام النور
وحطِّم الزجاجة
فهذه الليلة لا تعود
ـ أصابك السهم ، فلا مفر ، يا خيّام
ولتحسب الديك حماراً ، إنها مشيئة الأيّام
ـ الظبي في الصحراء
وراءه تجري كلاب الصيد في المساء
والخمر في الإناء
فَعُبَّ ما تشاء
بقبّة السماء
أو قدح البكاء
في حانة الأقدار

حتى تموت فارغ اليَدين تحت قدم الخمّار
رفيقك الوحيد في رحلتك الأخيرة
لمدن النمل التي تحكمها الأرقام والبنوك
ـ يا أيها المملوك
بكم تبيع هذه القيود ؟
فهذه الليلة لن تعود
طارت ، كما طار بنا بساطُ ألف ليلة
معانقين تحت أضواء النجوم « دجلة »
رزارعين نخلة
فداعب الأوتار
فديكُ هذا الليل مات قبل أن ينبلج النهار

طردية

الأرنب المذعور عبر الغسق الغارق في الضباب
تنهشه الكلاب
بكم تبيع ، أيّها الصياد !
شهادة الميلاد ؟
كاترين ، وهي تلد الحياة
ماتت ، وهذا الأرنب المذعور
يصبغ في دمائه مخالب الكلاب والأعشاب
شيخ المعرّة الضرير يفتح الكوة في اكتئاب
ويحدج السماء
بنظرة ازدراء
الصيف مرّ ، والخريف يغمر الغابة بالأوراق
أهكذا ينتحب العشاق ؟
ويغرق النهار في البحيرة الكبيرة ؟
وترحل الطيور
والأرنب المذعور
يموت تحت قدم الصياد
مُخَضِّباً بدمه الأوراد
ـ لوركا يُجَرُّ واقفاً للموت في الميلاد

أمامه ، كانت كلاب الصيد تجري
تنبح الجلاد
ـ أهذه الآلام
وهذه السجون والأصفاد
شهادة الميلاد ، يا خيّام
في هذه الأيام ؟
ـ دفنت رأسي في الرمال ، ورأيتُ الموت في السراب
فقير هذا العالم الجوّاب
ينام في الأبواب
يمد لي يديه في الظلام
ويقرأ التقويم بالمقلوب
بحيلة المغلوب
ـ مولاي ، قال النجم لي ، وقال لي الرماد
إياك والفرار
أمامك البحر ومن ورائك العدوُّ بالمرصاد
والموت في كل مكان ضرب الحصار
فلنشرب الليلة حتى يسقط الخمّار
في بركة النهار

الموتى لا ينامون

في سنوات الموت والغربة والترحال
كبرتَ يا خيّام
وكبرت من حولك الغابة والأشجار
شعرك شاب والتجاعيد على وجهك والأحلام
ماتت على سور الليالي ، مات « أورفيوس »
ومات في داخلك النهر الذي أرضع نيسابور
وحمل الأعشاب والزوارق الصغيرة
الى البحار ، حمل البذور
وعربات النور
الى غد الطفولة
كبرت يا خيّام
وكبرت من حولك القبيلة
عائشة ماتت ، وها سفينة الموتى بلا شراع
تحطمت على صخور شاطىء الضياع
ـ قالت ، ومدّت يدها : الوداع
أراك بعد الغد ، في المقهى ، وغطّت وجهه سحابه
من الدموع ، بلّلتْ كتابه
عائشة ماتت ، ولكني أراها تذرع الحديقة

فراشة طليقة
لا تعبر السور ، ولا تنام
الحزن والبنفسج الذابل والأحلام
طعامها في هذه الحديقة السحريّة
ـ أيتها الجنيّة !
تناثري حطام
مع الرؤى والورق الميّت والأعوام
وخضّبي بالدم هذا السور
وأيقظي النهر الذي في داخلي مات ورشّي النور
في ليل نيسابور
ولتبذري البذور
في هذه الأرض التي تنتظر النشور

الذي يأتي ولا يأتي

عائشة ماتت ، ولكني أراها تَدرع الظلام
تنتظر الفارس يأتي من بلاد الشام
ـ أيتها الذبابة العمياء
لا تحجبي الضياء
عني ، وعن عائشة ، أيتها الشمطاء
ـ مغشوشة خمرة تلك الحان
سكرتَ بالمجان
وزحف الدود على جبينك الممتقع الأسيان
وجفّت العينان
ـ مولايَ ، لا يبقى سوى الواحد القيّوم
وهذه النجوم
الكل باطل وقبض الريح
ـ عائشة ماتت ، ولكني أراها مثلما أراك
قالت ، ومدّت يدها : أهواك
وابتسم الملاك
فلتمطري أيتها السحابة
أيّان شئت ، فغداً تخضرّ نيسابور
تعود لي من قبرها المهجور

تمسح خدّي وتَرَوِّي الصخر والعظام
ـ يأتي ولا يأتي ، أراه مقبلاً نحوي ، ولا أراه
تشير لي يداه
من شاطىء الموت الذي يبدأ حيث تبدأ الحياه
ـ مَنْ كان يبكي تحت هذا السور ؟
كلاب رؤيا ساحر مسحور
تنبح في الديجور
أم ميّت الجذور
في باطن الأرض التي تنتظر النشور
ـ منْ كان يبكي تحت هذا السور ؟
لعلها الريح التي تسبق مَنْ يأتي ولا يأتي
لعل شاعراً يولد أو يموت

الرؤيا الثالثة

ـ تمرّغي ، أيّتها الكلاب في الوحول
وقبِّلي أحذية الملوك
والخرز الملوّنة
ومعجزات الكهنة
والمارقين الخونة
ـ مولايَ ، هذا الحسن الصباح
على جواد الفجر مرّ ، من هنا ، وغاب
ـ أيتها الأشباح !
أرى بعين الغيب نيسابور
تحوم حول رأسها النسور
يُسلخ جلدها وتُشْوى حيةً في النار
أرى الثعابين على الأسوار
والملك الحمار
يُباع في الأسواق
أرى البذور فتّحت عيونها في باطن الأرض وشقّت دربها للنور والهواء
ـ مولايَ ، هذي زهرة تبكي على عتبة هذي الدار
وهذه أخرى على الجدار

تمدّ للصغار
خصلتها المعطار
ـ ثور حراثة يشقّ الأرض في إصرار
ـ البشر الفانون يولدون
من زبد البحر ومن قرارة الأمواج
من وجع الأرض ، ومن تكسّر الزجاج
فلتمطري أيتها السحابة
أيّان شئتِ ، فحقول النور
امرأة تولد من أضلاع نيسابور

ـ معجزة الإنسان أن يموت واقفاً ، وعيناه إلى النجوم
وأنفه مرفوع
إن مات أو أودت به حرائق الأعداء
وأن يضيء الليل وهو يتلقّى ضربات القدر الغشوم
وأن يكون سيِّد المصير
مولايَ قال النجم لي ، وقال لي الغدير
من ههنا الإسكندر الكبير
مرّ على جواده منهزماً محموم
أيتها النجوم
بابل تحت خيمة الليل إلى الأبد
تعوي على أطلالها الذئاب
ويملأ التراب
عيونها الفارغة الحزينة
بابل تحت قدم الزمان
تنتظر البعث ، فيا عشتار
قومي ، املئي الجرار
وبلِّلي شفاه هذا الأسد الجريح
وانتظري مع الذئاب ونواح الريح

ولتُنزلي الأمطار
في هذه الخرائب الكئيبة
ـ لكنما عشتار
ظلت على الجدار
مقطوعة اليدين ، يعلو وجهها التراب
والصمت والأعشاب
وحجراً أخرسَ في الخرائبِ الكئيبة
ـ أيتها الحبيبة !
عودي إلى الأسطورة
سنبلةً ، شمساً بلا ظهيرة
امرأةً من الدخان ، جرّةً مكسورة
ـ تمُوز لن يعود للحياه
فآه ثم آه
بابل تحت قبة الليل ، بلا زاد ولا معاد
بلا حنوط ، ترتدي عباءة الرماد
صحتُ على أطلالها : عشتار !
فصاحت الأحجار
عشتار ، يا عشتار ، يا عشتار !
تصدّع الجدار
وغاب في الخرائب القمر
وانهمر المطر

عدتُ إلى جحيم نيسابور
لقاعها المهجور
للعالم السفلي ، للبيت القديم الموحش المقرور
أبحث عن عائشة في ذلك السرداب
أتبع موتها وراء الليل والأبواب
كزورق ليس به أحد
تتبعني جنازة الشمس الى الأبد
ـ من ههنا أنزلها الحفار
للقبر وهي في ثياب العرس ، فوق رأسها تاجٌ من الأزهار
وغيمة من نار
وههنا ساحرة شمطاء
كانت وراء النعش تبكي ، وهنا عصفور
حطّ على التابوت
أتبع موتها بلا دليل
أجرّ خلفي سنوات حبّها كذيل ثوبٍ فاقع طويل
طرقت باب العالم السفلي مرّتين
فَمَدَّ لي حارسها يدين
وقال لي : من أين

قلت : أنر لي هذه السهوب
فالليل في الدروب
قال ، وكانت يده تعبث بالمكتوب
ليقرأ المحجوب :
ـ عائشة ليست هنا ، ليس هنا أحد
فزورق الأبد
مضى غداً ، وعاد بعد غد
عائشة ليس لها مكان
فهي مع الزمان ، في الزمان
ضائعة كالريح في العراء
ونجمة الصباح في المساء
فَعُدْ لنيسابور
لوجهها الآخر ، يا مخمور
وَثُرْ على الطغاة والآلهة العمياء
والموت بالمجان والقضاء

الحجر

من أسفل السُلَّم ناديتُكَ ، يا ربّاه
جلديَ يسَّاقط في الظلام
شَعريَ شاب ، طائر الشباب
يسفّ في الضباب
منكسر الجناح
النسغ في العروق والأوراق
يجف مثلما يجف الحبر في الدواه
الليل طال ، طالت الحياه
وبردت جدران هذا القلب يا رباه
جنِّية البحر على الصخرة تبكي : مات سندباد
وها أنا أراه
بورق الجرائد الصفراء ، مدفوناً ، ولا أراه
مركبهُ يباع في المزاد
وسيفه يكسره الحداد
مَنْ يشتري عبداً طروباً ؟ قالت الأصفاد
وقال لي الجلاد
رباه طالت غربتي رباه !
وغرقت عبر الليالي « إرم العماد »

عصا سُليمان على بلاطة الزمان
وهو عليها نائم ، متكيء ، يقظان
ينخرها السوس ، فيهوي ميتاً رميم .
تفسَّخ الجديد والقديم
تَعفَّن الماء وجفَّت هذه الآبار
تعرَّت الأشجار
ونثر الخريف فوق الغابة الرماد
وها أنا أُحمل في نقالة الموتى ، إلى مدينتي ، حجر
أمدّ كفي مثل شحاذ الى المطر
لعل قطرةً تُبلل الزجاجَ ، تثقب الظلام
ـ تهرّأ الخيَّام
وسقطت أسنانه ، وجفَّت العظام
وهجرت يقظته عرائس الأحلام
والدود فوق وجهه فارَ وفي الأقداح
العندليب قال لي ، وقالت الرياح
ـ الليل طال ، طالت الحياه
فأين يا ربّاه !
شمسك ! تُحيي الحجر الرميم
وتشعل الهشيم

الثعلب العجوز
الملتحي بالورق الأصفر والرموز
المرتدي عباءة الليل ، وفوق رأسه طاقية الإخفاء
يفتضُّ كل ليلة عذراء
يفترس النعاج والأطفال
يرضع ثديَ هذه الشمطاء
يغدر بالعشاق
يضحك مزهواً من الأعماق
يرفس في حافره السماء
يلعب بالتيجان
نرداً مع الشيطان
يأخذ شكل هرة سوداء
تموء في الظلماء
يطارد الفراخ والأشباح
يمارس السحر بلا شعوذةٍ ، ويضرب الضحية العمياء
بيده الثلجية الصفراء
يقرأ في كل اللغات كتب الفلسفة الجوفاء
يرمي بها للنار

يزيّف النقود والأفكار
يندسّ في قلب المغنّي ، يقطع الأوتار
يذلّ مَن يشاء
يعزّ من يشاء
الملك الوحيد في مملكة الأحياء
الثعلب العجوز
الملتحي بالورق الأصفر والرموز
يغدر بالجلاد والضحية
يغتصب الجنّية
في قصرها المسحور
يجرّها من شَعْرها عاريةً للنور
يعوي مع الرياح
يُطفىء في قصر الأمير النائم المصباح
ينسلّ في فراشه بردان
ينعب فوق الطلل البالي مع الغربان
الثعلب العجوز ، مرّ من هنا ، سكران
حوّم حول البيت واستدار
أخرج لي لسانه وسار
ينفخ في المزمار
تتبعه عجائز القرية والأطفال

الوريث

يجفُّ في عيون بوذا النور
تنقطع الجذور
وآخر السلالة
حفيد هوميروس في مدريد
يُعدم رمياً بالرصاص ، إرم العماد
تغرق في ذاكرة الأحفاد
مات المغني ، ماتت الغابات
وشهريار مات
وريث هذا العالم المدفون في أعماقنا يموت
المعدن الخسيس والياقوت
سفينة تغرق في عاصفة ، تابوت
يضم عظمين وعنكبوت
بوذا وأورفيوس
المدن الغالبة المغلوبة
بابل ، روما ، نينوى وطيبة
الله والشيطان
وريث هذا العالم الانسان
يحوم حول سوره عريان
فاكهة محرَّمة

ومدن بلا ربيع مظلمة
مفتوحة ، مستسلمة
تحيا على الفُتات
مات المغني ، ماتت الغابات
والعندليب مات
وريث هذا العالم المدفون في الأعماق
يلهث مهزوماً على قارعة الطريق
يحمل وجه هالكٍ غريق
ينام في المقهى ، ككلبٍ جائع ، أفّاق
يبحث عن وظيفة شاغرة في صحف الصباح
يعدو بلا أقدام
في الشارع المهجور والزحام
تأكله الحمى ، تُدير رأسه الأرقام
يجوب مهجوراً بلا أحلام
شوارع المدينة الخلفية الصمّاء
يُفرغ في حدائق المساء
حياته الجوفاء
وريث هذا العالم المهان
يبحث عن مكان
يموت فيه صاغراً ، كالكلب ، بالمجان

الليل في كل مكان

عديدة أسلاب هذا الليل في المغارة
جماجم الموتى ، كتاب أصفرُ ، قيثارة
نقش على الحائط ، طير ميّت ، عبارة
مكتوبة بالدم فوق هذه الحجارة
عديدة أفراح هذا العالم الكبير
عري السماء الأبدي الأزرق المثير
عذوبة الخريف
السمك الفضّي في البحار
المعدن الخسيس فوق النار
الفجر والنساء والأفكار
نقش على الحائط ، جيل غاضب بحّارة
كانوا يموتون ، وكان البحر في المغارة
امرأة تنام في محارة
الليل في كل مكان ، وأنا أنتظر الإشارة
- وددت لو أغرقت هذا المركب المليء بالجرذان
وهذه المدينة المومسة الشمطاء
لو علّق الشاعر - هذا الببغاء الأعور السكران
من ذيله ، بالكلمات والدمى الصلعاء

ـ الساسة المحترفون ورجال المال والملوك
سادة هذا العالم المنهوك
وأنت سيد بلا مملوك
عليك مكتوب بأن تحوم حول السور
تلتقط الفتات والقشور
تجوب هذا العالم الماخور
منسحقاً مقرور
ـ الليل في كل مكان ، وأنا أنتظر الإشارة
أيتها المحارة
تكسَّري ، تطايري ، تقمصي العبارة
واندلعي شرارة
تحرق نيسابور
تغسل وجهها البليد الشاحب المقهور

الزمن الضائع والأرض التي تهجرها الطيور
والموت في الظهيرة
في النفق المسدود
تمزق الجذور
في باطن الأرض ، انهيار هذه السدود
صيحة أنثى الحيوان ، رقصة الأفعى على الأنغام
تراكم الحزن ، اختناق الصمت في الزحام
عذابك المقيم
أشعل هذي النار في الهشيم
أيقظ نيسابور
وكسّر الزجاج في نوافذ الماخور
خيط دم يجري على الأرض الموات ، في عروق النور
الزمن الضائع والشكوى التي تصاعدت من هذه الآبار
دوّرت الأصفار
وغسلت عن وجهها الأقذار
الوجه والقفا لهذي العملة القديمة
الجوهر المكنون
الأمل الباقي ، انعكاس النور في العيون

البشر الفانون في الظهيرة
يمارسون لعبة الحياة
والموت في المسيرة الطويلة
يحترقون ليضيئوا شرف الإنسان
أن لا يموت راكعاً منسحقاً مهان
كالكلب تحت عجلات العار
وأن يعيش في خطوط النار
منتصراً ، حتى وإن حاقت به الهزيمة
الوجه والقفا لهذي العملة القديمة
توهّجا ، ووُلد الانسان من جديد
شجيرة من خلل الرماد والجليد
مزهرة ؛ وصيحة أطلقتها وليد
الزمن الضائع في تزاحم الأضداد
يخلع عن كاهله عباءة الرماد

رأيته يصارع الثيران في مدريد
يغزو قلوب الغيد
يضحك من أعماقه ، منتظراً ، وحيد
ـ بوابة الأبد
مغلقة ، ليس هنا أحد
يضحك ، من أعماقه ، الجسد
يلسعه ثعبان
رأيته يصارع الثيران
مضرَّجاً بدمه ، يصرعه قرنان
يبيع في مطار روما علب الكبريت
وصحف الصباح والأزهار
يُعَلِّم الصغار
في الهند ، يعلو وجهه اصفرار .
يصيح في مئذنة ، يدق في ناقوس
يمارس الطقوس
يعدم رمياً بالرصاص ، عارياً يُولد أو يموت
يزرع في الجليد
بنفسجات حبه الجديد

يزور في أعياده الموتى ، يغني الموت في الميلاد
يحمل في ضلوعه بغداد
يمد نحو الوطن البعيد قوس قُزح السماء
يجهش في البكاء
يضاجع النساء
يكتب فوق حائط السجن ، وفوق جبهة المدينة
أشعاره الحزينة
مناضلاً يموت في مدريد
مضرجاً بدمه وحيد
تحت قرون الثور أو في ساحة الإعدام
الدم في كل مكان ساخناً يسيل
مُرَوِّياً هامة هذا الجبل الثقيل
رأيته يمتد من جيلٍ إلى جيلٍ كخيط النور
في عالم الفوضى وفي تزاحم الأضداد والعصور
الدم في كل مكان ساخناً يسيل
يلعق في لسانه المحارة
يفتضّها ، يغتصب العبارة
يعيدها صبيةً ناضرة البكارة
رأيته يُولد في مدريد
في ساحة الإعدام أو في صيحة الوليد
متوَّجاً بالغار
تحوم حول رأسه فراشةٌ من نار

لو جمعت أجزاء هذي الصورة الممزَّقة
إذن لقامت بابلُ المحترقة
تنفض عن أسمالها الرماد
ورفّ في الجنائن المعلّقة
فراشة وزنبقة
وابتسمت عشتار
وهي على سريرها تداعب القيثار
وعاد أوزوريس
لانطفأت أحزان حادي العيس
ونوّرت في سبأٍ بلقيس
وعادت البكارة
لهذه الدنيا التي تضاجع الملوك والحجارة
لهذه القديسة الهلوك .
لو جُمعت ، لاندلعت شرارة
في هذه الهياكل المنهارة
لزلزلت مقابر الأسمنت والحديد والبنوك
وصاح ديك الفجر في طهران
وَوُلد الانسان

من زبد البحر ومن قرارة الأمواج
من وجع الأرض ومن تكسر الزجاج
لغسل المدُّ جدار العار
وانهارت الأسوار .
لو جُمعت ، لعاد أوزريس
من قبره المائي ، من غياهب المجهول
لأزهر الرماد في الحقول
ونُزعت أنياب هذا الغول .
لو أكل الآباء هذا الحصرم المسموم
لضرس الأبناء ، لانهالت على الخمائل النجوم
وعادت الروح وعاد النور
وبُعث المقبور .
لسقط القناع
عن وجه هذا الشاهد المشوَّه المجدور
وانحسر الظل عن الصورة واندكّ جدار الزور

تسع رباعيات

(١)

باع المسيح دمه للملك الحمار

وانهزم الثوار

وغرق العالم بالأوحال

وسقطت أقنعة المهرِّجين في وحول العار

(٢)

أشعلت في فراش حبي النار

تركتني أهرم في أبوابهم ، أنهار

أحرقتني نفختني رماد

ونمت كالثعبان في الجدار

(٣)

الكلمات قطع الحبل بها الحفّار

فسقطت في عتمة الآبار

والبهلوانات على الحبال

ذابوا كما يذوب مَسْخ الليل في النهار

(٤)

لا بدّ يا سقراط

أن نجد المعنى وأن نمزِّق القماط
لا بد أن نختار
لا بد أن يُسلَخَ جلدُ الشاة ، أن يُضرَبَ هذا المَسخ بالسياط

(٥)

الساسة المحترفون يَنجِرون خشب التابوت
وأنت في الغربة لا تَحيا ولا تموت
منتظراً محروب
تطمرك الثلوج والنجوم والياقوت

(٦)

لا بد أن نختار
أن نقبض الريح وأن نُدَوِّرَ الأصفار
أن نجد المعنى وراء عبث الحياة
فالعيش في هذا المدار المغلق انتحار

(٧)

لا بد أن تنهار
روما ؛ وأن تُبعث من هذا الرماد النار
أن تحرق الصاعقة الأشجار
لا بد أن يُولد من هذا الجنين الميِّت الثوار

(٨)

نعود ، مَنْ يدري ، ولا نعود
لأمِّنا الأرض التي تحمل في أحشائها جنين هذا الأمل المنشود

وعمق هذا الحزن والوعود
تحوم حول نارنا فراشة الوجود

(٩)

الميت الحيُّ بلا زاد ولا معاد
ينفخ في الرماد
لعل نيسابور
تخلع كالحية ثوب حزنها وتكسر الأصفاد

عيون الكلاب الميتة

سفن الفضاء تعود من رحلاتها
عبر الفراغ الموحش الأبديِّ
والضوء البعيد
ينهل من نجمٍ يموت
وكواكب أخرى تموتُ
وضوؤها ما زال في سفرٍ إلينا
عبر آلاف السنين
وكائنات لا تُرى بالعينِ
تُولد من جديد
ونحن ما زلنا على صهوات خيل الريح
موتى هامدين
عُمياً نزيد ونستزيد
ونموت في « حتى »
وفي أنساب خيل الفاتحين
نتبادل الأدوار
نشتم بعضنا بعضاً
ونستجدي على بوّابة الليل الطويل
نبكي ولا نبكي
ونغرق في دموع الآخرين
متيمين وعاشقين
وهائمين وضائعين

نبني من الأوهام أهراماً
وسوراً لا يصد الطامعين
ونموت قبل الموتِ
في سوح المنون
« لا يسلم الشرف الرفيع من الأذى »
أوهتْ قرون الناطحين
ما بين سمسار
وقوّادٍ
وشيخ قبيلةٍ
وأمير بترول بطين
وكلاب صيد الحاكمين
رباه ! أخرجنا من الظلمات
من شرك اللصوص
ومن مخالب باعة الانسان في الشرق القديم
ومن دوار البحر والصحراء
من قاع الجحيم
وليمسح الثلج الرحيم
والعشبُ والأنداءُ وجه الميتين
والعقم والأوساخ والعار المقيم

وعندما تعرّت المدينة
رأيت في عيونها الحزينة
مباذلَ الساسة واللصوص والبياذق
رأيت في عيونها المشانق
تُنصب والسجون والمحارق
والحزن والضياع والدخان
رأيتُ في عيونها الانسان
يُلصق مثل طابع البريد
في أيما شيء
رأيتُ الدم والجريمة
وعلبَ الكبريت والقديد
رأيت في عيونها الطفولة اليتيمة
ضائعة تبحث في المزابل
عن عظمةٍ
عن قمر يموتُ
فوق جثث المنازل
رأيت إنسان الغد المعروض في واجهة المخازن
وقطع النقود والمداخن
مُجللاً بالحزن والسواد
مكبلاً يبصق في عيونه الشرطيُّ
واللوطيُّ

والفؤاد
رأيت في عيونها الحزينة
حدائق الرماد
غارقةً في الظل والسكينة

* * *

وعندما غطى المساءُ غُربَها
وخيّم الصمتُ على بيوتها العمياء
تأوهت
وابتسمت رغم شحوب الداء
وأشرقت عيونها السوداء بالطيبة والصفاء

بكائية الى شمس حزيران

الى ذكرى زكي الأرسوزي

طحنتنا في مقاهي الشرقِ
حربُ الكلمات
والسيوفُ الخشبية
والأكاذيب
وفرسانُ الهواء
نحن لم نقتل بعيراً
أو قطاة
لم نُجرب لعبة الموت،
ولم نلعب مع الفرسانِ
أو نرهن الى الموت جواد
نحن لم نجعلِ من الجرح دواة
ومن الحبر دماً
فوق حصاة
شغلتنا الترهات
فقتلنا بعضنا بعضاً
وها نحنُ فتات
في مقاهي الشرق
نصطاد الذباب
نرتدي أقنعة الأحياءِ

في مزبلة التاريخِ
أشباه رجال
لم نُعلق جرساً
في ذيل هرٍ أو حمار
أو نقُلْ للأعور الدجالِ
لِمْ لذت
بأذيال الفرار
نحن جيل الموت بالمجان
جيل الصدقات
هزمتنا في مقاهي الشرق
حربُ الكلمات
والطواويس التي تختالُ
في ساحاتِ
موت الكبرياء
ومقالات الذيول الأدعياء
آه لَطِّخْ هذه الصفحةَ
هذا الخبر الكاذبَ
يا سارق قوت الفقراء
وحذاء الأمراء
بدم الصدقِ
وَمُتْ مثل فقاعات الهواء
لم نَعُدْ نقوى على لعق الأكاذيبِ
وتحبير الهُراء

واجترار الترهات
نحن جيل الموت بالمجان
جيل الصدقات
لم نَمُتْ يوماً
ولم نُولَد
ولم نعرف عذاب الشهداء
فلماذا تركونا في العراء ؟
يا إلهي
للطيور الجارحات
نرتدي أسمال موتانا
ونبكي في حياء
آه لم تترك على عورتنا
شمسُ حزيرانَ رداء
ولماذا تركونا للكلابْ ؟
جيفاً دون صلاة
حاملين الوطن المصلوبَ في كفٍ
وفي الأخرى التراب
آه لا تطرد عن الجرح الذباب
فجراحي فمُ « أيوبَ »
وآلامي انتظار
ودمٌ يطلب ثار
يا إله الكادحين الفقراء
نحن لم نُهزَم

ولكن الطواويس الكبار
هُزموا هُم وحدهم
من قبل أن ينفخ ديّارٌ بنار
آه يا قبر حكيم نام بين الفقراء
صامتاً يلبس أكفان الحداد
صامتاً يُشعل نار
قُم تحدَّثْ
نحن موتى
نحن جيل الموت بالمجان
جيل الصدفات

الشعاراتُ التي تكنسها الريحُ
على أرصفة الليلِ
وأضواء الحوانيتِ
وشارات المرور
ومقاهي العالم السفليِّ
والأفيون والجنسُ
وحفارو القبور
وأغاني « أم كلثوم »
ووعاظ السلاطين
ومداحو الملوك
ذكروني بالطواويس التي باضت
على الأوتاد
في أعراس « هارون الرشيد »
وبعار الشرق منبوذاً
يغني عربات الفاتحين
وبأحزان الجواري والعبيد
وبوجه « البحتريِّ » الجاحظ العينين
في أعقابِ دينارٍ
وفي أعتابِ سلطان جديد
آه من صمت القواميس المريب
ومقامات « الحريريِّ »

على هامش مخطوط قديم
ذكرتني بكلاب الزمهرير
تنبح الموتى
بصحراء الجليد
وبشمس العالم السوداء « كافورَ »
وخصيان المماليك
وضحكات « جرير »
مَنْ يدلُّ العاشقَ الأعمى
على زهرة بستانٍ
على نبعٍ
على حانة خمّارٍ جديد ؟
وعلى عائشةٍ بين الجواري والعبيد
وعلى ألفاظ قاموس بها أصنعُ
محراثا وسيفاً وربيع
وبساط الريح من هذا الصقيع ؟
ويغني عربات الموت والنَّفي
وفي النَّفي يموت
مَنْ يدلُّ العاشق الأعمى
على أسوار « نيسابور »
في هذا الجحيم ؟
وعلى ذئب جريح
يلعق الجرح
ويعوي عبر صحراء الجليد

آه من عصر المماليك الجديد
ومن الصمتِ
ومن بوقات أشباه الرجال الميتين
من كهوف العالم السفليِّ
من أرض الخطايا عائدين
رمماً تزني
على أرصفةِ الليل
تغني عربات الفاتحين
منْ يدل العاشق الأعمى على ساحرةٍ ؟
« عشتارُ » ماتت في الأساطير
وماتت « ياسمين »
آه من محترفٍ يقتلُ باسمي الآخرين
وعلى الأعتابِ يصطاد حمامات القتيل
قاتلاً يشحذ آلات الطواغيت أجير
يرتدي عار المخانيثِ
ويستجدي على باب أمير
رافعاً كل الشعارات التي تكنسها الريحُ
على أرصفة الليل الضرير
مَنْ يدل العاشق الأعمى على أسوار « نيسابور » ؟
يبكي فجرها النائي البعيد
بين آلات الطواغيتِ
وضحكات « جرير »
ومناحات الجواري والعبيد

جفت الآبار في الدرب إليها والدموع
وخبت في قدح الخمرِ
وفي أيدي المغنين الشموع
مَن يدل العاشقَ الأعمى
على خمَّار حان النور في كل العصور
وعلى جثة بحَّار غريق ؟
يتبع الشمسَ إلى المنفى
ويستلقي على الشاطىء عشباً وحريق
آه من عصر المماليك الجديد
ومن الصمتِ
ومن بوقات أشباه الرجال الميتين

أفول القمر

ووضع القمر
جبينه الشاحبَ فوق حجر ونام
وارتجف الشارع والمصباح والظلام
وسكتت بغداد لا تسألْ عن الكلام
لأن طفلاً عاريَ الأقدام
مخضباً بدمِه
ممزق الأكمام
تحوم حول وجهه ذبابةٌ ، حرامْ !
لا تلمسوا جراحه
لا توقظوهُ
أيها الفاشستْ
من رقاده ، حرام !
دم الشهيد الطفل في أعناقكم
محترفي الإجرام !
كان صديقي ينشر القلوع
كل مساءٍ
يوقد الشموع
ويكره الفاشست والدموع
لا تطبقوا أجفانه !
لا تندبوهُ !
فهو في بستاننا يضوع

٢٧ ـ ٥ ـ ١٩٦٠

شيء عن السعادة

كذبوا ، إن السعادة
يا محمد
لا تُباع
فالجرائد
كتبت أن السماء
أمطرت في ليلة الأمس ضفادع
يا صديقي ، سرقوا منك السعادة
خدعوكَ
عذبوك
صلبوكْ
في حبال الكلمات
ليقولوا عنك مات
ليبيعوك مكاناً في السماء
آه ما جدوى البكاء
أنا خجلانُ محمد
فالضفادع
سرقت منا السعادة
وأنا رغم العذاب
في طريق الشمس سائر

* * *

زرعوا الليل خناجر
وكلاب

* * *

إن سقف الليل ينهار عليهم
فتمرد !
يا محمد !
فتمرد !
وحذارِ أن تخون

١٦ - ٩ - ١٩٦٢

قمر الطفولة

قمر الدموع على هضاب الليل غاب
والطفل والعصفور والخيط الذي ينسل من بابٍ لباب
يلتف حول مدينتي
حول الرقاب
وطني يكلل رأسه تاجُ العذاب
والشوك والدم والضباب
قمر الطفولة في التراب
عريان تنهش لحمه
عريان تأكله الكلاب
أواه يا وطني
ويا طفلاً تمزقه الحراب
يا زورقاً يهتز في ريح المغيب
ويا مناديل الغياب
إني أرى عبر المذابح والخراب
قاعَ البحيرة والسنابل والربيع على الهضاب
وأرى الذئاب على طريق الشمس تفترس الذئاب
وأرى المسموخَ يُذيبها الفجر العظيمُ
أرى قناديل الشباب
وأراكِ يا بغداد شامخة القباب
وأراكَ يا قمر الطفولة مشرقاً في كل باب

الى شهيد آخر

غداً إذا غرد في بستاننا عصفور
وفتَّحت زنبقة أجفانها للنور
وسالت العطور
على قبور شهداء الوطن المقهور
سنلتقي على تخوم العالم المسحور
سنعبر الجسور
معاً نغني
وإلى بلادنا نطير
في فجر يوم أزرق مطير
معاً سنصطاد الفراشاتِ
معاً سنقطف الزهور
غداً إذا غرد في بستاننا عصفور
واندك هذا السور

الشهداء لن يموتوا

لن يموت الشهداء
فَهُم البذرة والزهرة في أرض الفداء
وهم الساحل والبحر وشعر الشعراء
كلما خيَّم ليلٌ
فجرت بغداد في محنتها نهر ضياء
كلما طل دمٌ
أَينع بستانٌ وثار الفقراء
وطن حر وشعب صامد في كبرياء
لم يلن في قبضة الجلادِ
أو أيدي الوحوش الجبناء
علَّم الفاشست في تاريخه
كيف يموتون ويمضون هباء
العصابات التي تطفو على السطح فقاعات هواء
ستولي مثلما جاءت
ويبقى الكادحون الأمناء
يزرعون الأرض بالورد ويبنون منارات هناء .

لو أنني ثويتُ في القمقم ، في خاتمك السحريِّ
يا أميرة الألغاز
لو أنني مت على دربك يا شيراز
لو أنني حملت في نهارك المصباح
وَمِزَقَ النجوم والرياح
لو أنني نفخت في مزمار
خرائب النهار
لو أنني كتبت فوق الماء
والريح ؛ لو شعوذتُ ألفاظاً تنهدت على بحيرة المساء
لو أنني علقت قيثاري على مخادع النساء
لو أنني جعلت من شعري مخدات عبير ، لكِ
يا آلهة القصيدة الجوفاء
لو أنني عمّدت في دكان فلسفاتكم . في أيما دكان
قصائدي ، لو أنني كفرت بالإنسان
لكان لي بساط ريح النار
وذهبُ الأمير
والبرق والفراشة الزرقاء والغدير
لكنتُمْ يا أيها الذباب في وليمة الغالب
يا ثعالب الهجير
حاشيتي

لكنني المغلوب

فوق صليب كلماتي ، أبداً مصلوب

آب ١٩٦٣

الموت في الحياة

«الوجه الآخر لتأملات الخيام
في الوجود والعدم»

(هناك شمس لا تغيب
في قلب ما أكتب)
ألبير كامو

مرثية إلى عائشة

يموت راعي الضأن في انتظاره ميتةَ جالينوس
يأكلُ قرصَ الشمسِ أورفيوس
تبكي على الفراتِ عشتروت
تبحثُ في مياهِهِ عن خاتمٍ ضاعَ وعن أغنية تموت
تندبُ تموزَ فيا زوارقَ الدخان
عائشةٌ عادتْ مع الشتاءِ للبستان
صفصافةً عاريةَ الأوراق
تبكي على الفرات
تصنعُ من دموعِها ، حارسةُ الأموات
تاجاً لحبٍ مات
تعبثُ في خصلاتِ ليلِ شعرِها الجرذان
تزحفُ فوق وجهها جحافلُ الديدان
لتأكلَ العينين
عائشةٌ تنامُ في المابينْ
مقطوعة الرأسِ على الأريكة
أيتها المليكة
رأيتُ رؤيا كانتْ السماء
ترعُد فاستجابت الأرضُ لها سحابةً من نار
نسراً بلا أظفار
أخْمَدَ أنفاسي وعرّاني من الثياب
كسا يدي بالريش والأصداف

فأصبحتْ يدي جناحَ طائر مجذاف
مددْتها فقادني النسرُ إلى حارسة الأموات
حيث الملوكُ نُزعتْ تيجانُهم وكُدسَتْ وحيث لا أبواب
تُفْتحُ أو تُغْلقُ ، حيث أسدُ التراب
طعامُهُ الطينُ وقوتُ يومِه اليباب
فصاح بي كاهنُ هذا العالم السفليّ وهو يشحذ السكين
مَنْ الذي أتى بهذا الرجل المسكين ؟
عائشةٌ عادتْ إلى بلادها البعيدة
قصيدةً فوق ضريح ، حكمةً قديمة
قافيةً يتيمة
صفصافةً تبكي على الفرات
عاريةَ الأوراق
تصنعِ من دموعها ، حارسةُ الأموات
تاجاً لحب مات .
فارتفعتْ سحابةٌ من الدخان ومضى النهار
وثالثٌ ورابعٌ والنار
كانتْ فراشِ مرضي ، وكانت الأحجار
وها أنا أموتُ بعد هذه الرؤيا على الأريكة
مثلك يا أيتها المليكة
أكتبُ فوق ورق الصفصافة
على الفرات بدمي ، ما قالتْ العرّافة
للريح والعصفور والرماد
أموت كلَ ليلةٍ سكران

وصاحياً : فما أقَلَّ الزاد .
أجوسُ في بابلَ وحدي منزلَ الأموات
وحدي على خرائب الفرات
أُكَلِّمُ السحاب
وأنبشُ التراب
أصيحُ من قبرِ انتظاري يائساً أصيح
أقولُ للصفصافة
ما قالت العرّافة
عائشةٌ عادت إلى بلادها البعيدة
فَلْتَبكِها القصيدة
والريحُ والرمادُ واليمامة
ولْتَبكِها الغمامة
وكاهنُ المعبد والنجومُ والفرات
على فراش الموت أَضجعتُكِ يا عشتار
بكيتُ في بابلَ حتى ذابتْ الأسوار
فأيّ خير نالني أينُها العنقاء
عدتِ الى الفرات ، عدتِ موجةً عذراء
وموقداً يخمد في البرد وباباً لا يصد الريح
عدتِ كتاباً باهتَ النقوش
يقرؤهُ العشاق
يبيعه الوراق
لكلِ من هَبَّ ، لكلِ قاريءٍ جديد .
وعظمةً باليةً وأملاً مسموم .

عائشةُ عادت إلى بلادها البعيدة
فلتبكها القصيدة
وليبكها الفرات

أَحَبَّها صبية
ميتةً وَحَيّة
قصيدةً على ضريح ، حكمةً قديمة
قافيةً يتيمة
صفصافةً عاريةَ الأوراق
تبكي على الفرات
ـ أحبَبْتُهُ من قبل أن أراه
من قبل أن تحملني عبر صحارى وطني يداه
وبعد أن أُحبَّني ، أحْرقني هواه
حلّتْ بروحي قوةُ الأشياء
وانْهَزمَ الشتاء
ذابتْ ثلوجُ وحشتي
واستيقظتْ طفولتي
كان لها طعم الحريق في فمي ، والدم والرماد
وعندما قبَّلني أحسستُ أن الأرض دارتْ مرتين، سَقطَ المطر
وكنتُ في الغابة أجري وأنا محلولة الشعر
حافيةً على بساط ذهب السماء والزهر
في غابة السحر
تنفخُ صدري الريحُ كالشراع في النهر
نهدايَ كانا خائفينِ وأنا أضحكُ في براءة الأطفال

قلتُ له تعالْ !

أنت حياتي ، أنتَ لي ، تعال

مَزِّقْ وَمَزِّقْ هذه الأستار

وأغمرْ ظلامي بحنان النار

في ذات يوم قال لي ... أوّاه

نسيتُ ، فالأموات

لا يسمعونَ هذه الصيحات

ـ لم يَبْقَ لي أحد

الكل ماتوا ، رحلوا ، حمامتي الوداع !

كنا معاً نُدركُ سرَ الموت والحياة

كنا معاً ، فآه ...

... وَخَيّمَ الليلُ على « مدريد »

وَسَقَطَ الجليد

مُخَبِّئاً بيده البيضاء وجهَ العاشقِ الشريد

وطارتْ الحمامة

وعاد جثماني إلى « تهامة »

وعندما فتحتُ عيني ، كانت الغمامة

تغمر وجهَ الميِّتِ العائدِ بالتقبيل

تمسحُ بالمنديل

دموعَهُ ، وطائرٌ مغردٌ مجهول

يطير في الليل ، رأيتُ شاعرَ المعرة

يطوف حول البيتْ

ممتقعاً وَمَيْت

قلتُ شبابي ضاعَ في انتظارها ، فقال
إياكَ والسؤالْ
فلن يردَّ جبلُ « التوباد »
لسائلٍ جواب
قلتُ شبابي ضاع في المقابر
والكتب الصفراء والمحابر
من بلدٍ لبلدٍ مهاجرْ
انتظرتُ في كل مقاهي العالم الكبير
قلت أراها في غدٍ وخانني التقدير
عقاربُ الساعات دارتْ ، أكلتْ عمري بلا حساب
قال لعل وعسى . . . وغاب
شيخُ المعرةِ الضرير أغْلَقَ الأَبواب
ـ أحْبَبْتُها ، فماتت
شمسُ حياتي غابت
يا شجَر الأَراك
ها أنذا أعود من مملكة الموت الى القبيلة
أبحث عن جذورها في هذه المفازة الطويلة
. . . ودارت الأفلاك
ولم أزل أبحث في « تهامة »
عن تلكُمُ الحمامة
وفي مساء زارني ملاكْ
ووضع القمر
على جبيني ، شَقَّ صدري ، اْنتَزَعَ الفؤاد

أخْرَجَ منه حبةَ السواد
وقال لي إياكَ فالعنقاء
تكبُر إن تُصادْ
فَعُدْ الى المقابر
والكتب الصفراء والمحابر
من بلد لبلد مهاجر

عائشةٌ تشقُّ بطنَ الحوت
ترفع في الموج يديها
تفتح التابوت
تُزيح عن جبينها النقاب
تجتاز ألف باب
تنهض بعد الموت
عائدةً للبيت
ها أنذا أسمعها تقول لي لبَّيكْ
جاريةً أعود من مملكتي إليك
وعندما قبَّلتها بكيتْ
شعرت بالهزيمة
أمام هذي الزهرة اليتيمة
الحبُ ، يا مليكتي ، مغامرة
يخسر فيها رأسَهُ المهزوم
بكيتُ ، فالنجومْ
غابتْ ، وعدتُ خاسراً مهزوم
أُسائلُ الأطلالَ والرسوم
عائشةٌ عادت ، ولكني وُضعتُ ، وأنا أموت
في ذلك التابوت
تَبادَلَ النهران
مجريهما ، واحترقا تحت سماء الصيف في القيعان

وتركا جرحاً على شجيرة الرمان
وطائراً ظمآن
ينوح في البستان
آه جناحي كسرته الريح
وصاح في غرناطة
معلم الصبيان
لوركا يموتُ ، ماتْ
أعدمه الفاشست في الليل على الفرات
ومزقوا جثته ، وسملوا العينين

لوركا بلا يدين

يبثّ نجواه الى العنقاء

والنورِ والتراب والهواء
وقطرات الماء

أيتها العذراء

ها أنذا انتهيتْ

مقدَّسٌ ، باسمك ، هذا الموت

وصمت هذا البيت

ها أنذا صلَّيت

لعودة الغائب من منفاه

لنور هذا العالم الأبيض ، للموت الذي أراه

يفتح قبر عائشة
يُزيح عن جبينها النقاب
يجتاز ألف باب

آه جناحي كسرته الريح
من قاع نهر الموت ، يا مليكتي ، أصيح
جَفّتْ جذوري ، قَطَعَ الحطّاب
رأسي وما استجاب
لهذه الصلاة
أرضٌ تدور في الفراغ ودمٌ يُراقْ
وَيحْي على العراق
تحت سماء صيفه الحمراء
من قبل ألف سنةٍ يرتفع البكاء
حزناً على شهيد كربلاء
ولم يزل على الفرات دمه المُراق
يصبغ وجهَ الماء والنخيل في المساء
آه جناحي كسرته الريح
من قاع نهر الموت ، يا مليكتي ، أصيح
من ظلمة الضريح
أمدُّ للنهر يدي ، فتُمسك السراب
يدي على التراب
يا عالماً يحكمه الذئاب
ليس لنا فيه سوى حقّ عبور هذه الجسور
نأتي ونمضي حاملين الفقر للقبور
يا صرخات النور
ها أنذا محاصرٌ مهجور
ها أنذا أموت

في ظلمة التابوت
يأكل لحمي ثعلب المقابر
تطعنني الخناجر
من بلد لبلد مهاجر
على جناح طائر
ـ أيتها العذراء
والنور والتراب والهواء
وقطرات الماء
ها أنذا انتهيت
مقدّسٌ ، بأسمك ، هذا الموت

فراشةً تطير في حدائق الليل إذا ما استيقظتْ باريسْ
يتبعها « أوليس »
عبر الممرات إلى « ممفيسْ »
تعود للتابوت
لظلمة البحر ، لبطن الحوت
تتركني على الرصيف صامتاً أموت
تحت رذاذ مطر الخريف
وحبّها المفترس المخيف
في ليل باريس بلا دليل
أتبع موتي في زحام الشارع الطويل
ها هي ذي ترقص في كأس من المدام
عاريةً تحت سماء الليل والأنغام
تغازل الظلال
تقول لي تعال !
وتختفي في الظلمة
شاحبةً كنجمة
تفرّ من باريس
تاركةً وراءها « أوليس »
يبكي على قارعة الطريق
يموت في حانات ليل العالم الطويل
ـ أنا أميرُ الدنماركِ « هملت » اليتيم

أعود من مملكة الموت الى الخمَّارة
مهرِّجاً حزينْ
يقاتل الأقزام والأصفار
في مدن الضوضاء والتجارة
أيتها الأعمدة المنهارة
« أوفيليا » عادت إلى صنعاء
أميرةً شرقيَّة
ساحرةً ، خنساء
تأوي الى قلعتها النسور والظباء
ـ أيتها العذراء
هزِّي بجذع النخلة الفرعاء
تَسَّاقطُ الأشياء
تنفجر الشموس والأقمار
يكتسح الطوفان هذا العار
نولد في « مدريد »
تحت سماء عالم جديد
قالت أراكَ في غدٍ وانطفأ القنديل
ونامت الفراشة
واستيقظتْ باريسْ
تحت رذاذ مطر الخريف
مبتلةً مقرورة
حاملةً قيثارةً مكسورة
ـ أيتها الكينونة

أيتها الساحرةُ المجنونة
عائشةُ تُبعث تحت سعف النخيل
فراشةً صغيرة
تطير في الظهيرة
ها هي ذي ترشق بالقرنفل الأحمر وجهَ الموتْ
تقول لي تعال !
خُذْني على ظهر جواد الليل والنهار
إلى سهوب النار
راعيةً لِغَنمِ القبيلة
خذني الى مدينة الطفولة
فأنني أموتُ من كونيَ لا أموتْ
ـ عائشةُ أصابها دوارُ هذا الجيل
تقمَّصتْ روحَ بناتِ الماء
وَنَكّستْ رايتها الهزيمة
« أوفيليا » اليتيمة
تُبعث تحت سعف النخيل
عاشقةً صغيرة
تنفضُ عن جبينها التراب
تجتازُ ألف باب
يتبعها « أوليس »
عبر الممرات الى « ممفيس »
ـ سنابلُ القمح التي خبأتُها في ظلمة الضريح
تفتَّحتْ أجفانها واختلجتْ في الريح

عادتْ لها الحياة

فأين يا رباه

يذهبُ هذا الحب بعد الموت ؟

مراثي لوركا

- ١ -

يبقُر بطنَ الأيِّلِ الخنزير
يموت « أنكيدو » على السرير
مُبْتَئِساً حزين
كما تموت دودةٌ في الطين
أدركه مصيرُ « لقمانَ » مصيرُ نَسْره السابع في النهايه
تَمّتْ فصولُ هذه الرواية
لن تَجدَ الضوءَ ولا الحياة
فهذه الطبيعة الحسناء
قَدّرتْ الموتَ على البشر
واستأثرتْ بالشعلةِ الحيةِ في تعاقبِ الفصول
ماذا لموتي آه يا مليكتي أقول ؟
والشعلةُ الزرقاء
لم أرها ولم أزُرْ بلادها البعيدة

- ٢ -

مدينةٌ مسحورة
قامتْ على نهرٍ من الفضةِ والليمون
لا يُولدُ الانسانُ في أبوابِها الألفِ ولا يموت
يُحيطها سورٌ من الذهب
تحرسها من الرياح غابة الزيتون
رأيتُها والدودْ
يأكل وجهي وضريحي عَفِنٌ مسدود
قُلتُ لأمي الأرض : هل أعود ؟
فضحكتْ ونفضتْ عني رداءَ الدود
ومسحتْ وجهي بفيض النور
عُدتُ إليها يافعاً مبهور
أعدو على ظهر جوادي الأخضر الخشب
صحتُ على أبوابها الألف ولكن النعاسَ عَقَدَ الأجفان
وأغرقَ المدينةَ المسحورة
بالدم والدخان

- ٣ -

الغادةُ المضواع
ذات العيون السود والأقراط
تجمَّلتْ بورق الليمون والقداح
تعطَّرتْ بماء ورد النار
وقطرات مطر الأسحار
غرناطة الطفولة السعيدة
طيارةٌ من ورق ، قصيدة
مشدودةٌ بخيط هذا النور
تهتز فوق السور
غرناطة البراءة
تُمعن في إلقاء ما تحملُ من ريحٍ ومن نجوم
تنام تحت نُتَفِ الثلج على القرميد
تشير في خوفٍ الى كثبانها السوداء
فمنْ هناك الأخوة **الأعداء**
جاؤوا على ظهر خيول الموت
وأغرقوا بالدم هذا البيت

- ٤ -

ثورٌ من الحرير والقطيفة السوداء
يخور في الساحة والفارس لا يراه
قرناهُ في الهواء
يطاردان نجمةَ المساء
ويطعنانِ الفارس المسحور
ها هو ذا بسيفه المكسور
مضرّجٌ بدمه في النور .
فَمانِ أحمرانِ فاغران
شقائقُ النعمان
على سفوح جبل الخرافة
دمٌ على صفصافه
ـ أيتها النافورةُ الحمراء
أسواقُ « مدريدَ » بلا حِناء
فضمّخي يَد التي أُحبُّها ، بهذه الدماء
يا صيحةَ المهرِّج ، الجمهورْ
ها هو ذا يموت
والثور في الساحة مطعوناً بأعلى صوته يخور

- ٥ -

غسلاً لعار الموت حتْفَ الأنفْ
أغْمَدَ حَدَّ السيفْ
في قلب هذا الليلْ
قاتلَ حتى الموتْ
من شارعٍ لشارعْ
أدركه الأوغادْ
وزرعوا في جسمه الخناجر
وقطعوا الخيطَ الذي يهتز في السماء
طيارةُ الطفولة الخضراءْ
تسقط في خنادق الأعداء
غرناطةُ اليتيمة
يبيعها النخَّاس
من يشتري عائشةً ، مَنْ يشتري العنقاء ؟
أميرةٌ من بابلٍ أسيرة
أقراطها من ذهبِ المدينةِ المسحورة
مَنْ يشتري الأميرة ؟

- ٦ -

مدينةٌ « الضرورة »
ترهصُ بالعالم والانسان
تحت سماء صيفها العريان
أُواجهُ الضياعَ والأسطورة
أُواجهُ النسيانْ
أيتها الصيرورة
النسخ المكرورة
في هذه الماكنة الكبيرة
تقرضها الفيران
يا ببغاء الملك الأبله ، يا عشيقة السلطان
تسلقي حوائط المتاحف
وضاجعي الزواحف
وقامري برأس هذا الثائر
ها هو ذا محاصرٌ من شارع لشارع
تتبعه الخناجر

ـ رأيتُ ديك الجن في الحديقة السريَّة
يضاجعُ الجنيَّة
يغمرها بالقُبل الندية
يسحقها بيده الصخرية
ويُشعل النيران
في جسمها المبتهل العريان
لكنها تفُر قبل ذروة العناق
تعود للأعماق
تاركةً قميصها وحسرة
وخصلةً من شعْرهاوزهرة،
تموت في جزائر المرجان
عاريةً محترقة
مسحوقةً كزنبقة
يسقط عن جبينها الإكليل
ها هي ذي في القاع
تزحف فوق وجهها جحافلُ الديدان
ـ رأيتُ ديك الجنِ في القاعِ بلا أجفان
على جواد عصره المهزوم
يقاتل الأقزام
مهاجراً في داخل المدينة
من شارعٍ لبيت

على جواد الموت

ـ مدينةَ الخناجر الخفية !

ها هي ذي الجنية

تعود بعد موتها صبية

جاريةً رومية

ـ إياكَ والوقوعَ في حبائل النساء

تقولُ جدتي وتُمضي الليلَ في الدعاء

ـ كانت طيورُ الجنةِ المفقودة

تُوقظُ في غنائها طفولتي الشريدة

ـ رأيت ديكَ الجن من فردوسه مطرود

يصطاد في قفار ليلِ موتهِ الأسود

والكلمات السود

ملطخاً بالحبر والغبار

وعرق الأسفار

تنبحه الكلابُ والأصفار

وحاجب الخليفة

ـ علامةُ الساعة أن يظْهَر هذا الأعورُ الدجال

مُذنبٌ يجر خلف ضوئهِ الرجال

للموت بالمجان

في مدن الدخان

ـ ضفادعٌ تمسكُ في حافرها الأقلام

تكتبُ ما يقوله الطغاةُ والأقزام

ـ ها هي ذي الصحائف الصفراء

تمجّد الطغيانَ والجريمة
تغمر في كل صباحٍ هذه المدينة
ـ الحاجبُ الأصمُّ والبَّواقُ والطبَّال
فرسانُ جيلِ العار
يلطخون رايةَ الثوار
بالدم والأوحال
ـ خليفةٌ في قفصٍ وشاعر
بقلبه يقامر
ـ أيتها العدالةُ الميتةُ الوهمية
يا أيها القضاة
تلك هي القضية
وقعت في حبائل الجنيّة
حمامةٌ كانت على الخليج
تنوح في الشَّرك
لؤلؤة غوّاصها هلك
صفراً من الذهب
يدور حول نفسه في العدم الرهيب
ـ كنتُ على ظهر جوادي الأخضر الخشب
أُقاتلُ الأقزامَ في « مدريد »
أيتها الجاريةُ الرومية
لا تطردي الغريب
قلتُ لها ـ وَسَقَطَ النصيف
على بساط العشب في المغيب

تَناوَلتهُ وبكتْ عُريَ سماءِ ليلةِ الخريف
ـ أنا أميرُ الليل
قتلتُها ـ مزَّقتُها بالسيف
تحت سماء الصيف
مُرنّحاً سكران
أشعلتُ في أشلائها النيران
صنعتُ من رمادها فراشةً ودُمية
وقدحاً مسحور
لا أرتوي منه ، فيا خمَّار حانِ النور
ماذا لنار بعثها أقول ؟
فهذه الطبيعة الحسناء
قدّرت الموت على البشر
واستأثرت بالشعلة الحية في تعاقب الفصول
ـ غداً أمام الله في الجحيم
أحطم الدمية والقدح
أتبعها عبر الممرات الى الفرات
أبحث في مياهه عن خاتم ضاع وحبٍ مات
أنامُ في الضفاف
صفصافةً تنتظر العرّاف
والبرقَ والعصفور
وراقصاتِ النور
ـ أنا أميرُ حلبَ اليتيم

مهاجرٌ في داخل المدينة
من شارع لبيت
على جواد الموت

عن الموت والثورة

ـ الى جيفارا ـ

كان مغنِّيها على قيثاره مذبوحْ
تحوم حول وجهه فراشة
مصبوغة بدمه المسفوح .
كان على البساطْ
قميصُها الأخضرُ والأقراط
وخصلة من شعرِها : تعويذةُ الغابةِ والصحراء
والبحر والسماء .
كان مُغني « قرطبة »
ملطَّخاً بالدم فوق العربة
تبكيه جنِّياتُ بحر الروم
وقاطفاتُ زَهر اللؤلؤ والكروم
. . . لا تَجرِ يا فراتُ حتى أكمل النشيد
كَقَدَرِ الإغريق
كالموت كالطّاعون كالحريق
محتومة تظهر في السماء
علامةُ الثورة فوق السم والشرور
فَهْيَ عبورٌ من خلال الموت
وصيحةٌ عبر جدار الصوت
خطيئةٌ لا بد أن تُغْفَرَ ، أن تعمِّد الدماء

مسارها المحتوم
تَناطحَ المجهولُ والمعلوم
وانكسرتْ صخرةُ هذا الجبلِ المشؤوم
عدالةُ المسيحِ في التاريخ لن تقوم
موعدُها القيامة
أيتها العلامة
يا قدرَ التاريخ والمصير للوجود
الموت في الزمان
في داخل الانسان
يأتي لبعث الجنة المفقودة
في هذه الحياة
لا تجر يا فرات حتى أكمل النشيد
ها أنذا مشرَّد يتيم
أبحث في الجحيم
عنها وعن عدالة الثورة والمسيح
عن قدر الإغريق
أسمع أبواق « التتار » وضجيج الأخوة الأعداء
أرى لهيباً كامناً في باطن الأشياء
وسحباً مذعورة
تغوص في الدماء
يا دمعةً ذرفتُها في حبي الأول عند مغرب النجوم
يا قدري المحتوم
تهاجر الثورةُ كالطيور

تعود مثل النور
تموت كالجذور
تُبعث كالبذور
في باطن الأرض التي تسحقها الآلامُ والمجاعة
جدارُ مستحيل
تنطحه الوعول
تُحدثُ فيه ثغرةً كبيرة
تنفذ من خلالها الظهيرة .
ولادةُ تطول في ضريح
مخاضُ فجرٍ مرعبٍ قبيح
يسير فوق جثث الأموات في الوحول
لينشر البذارَ في الحقول .
حكمٌ على التاريخ بالإعدام والبراءة
يا قدري المحتوم : لو وُلدْتُ من جديد
وَهَبْتُ نجمَ الثورة البعيد
قلبي ، فيا فرات
لا تجر حتى أُكمل النشيد
ها أنذا شريد
في هذه المَخاضة
أجنحتي مغروسةٌ في الطين
وقلمي مُهاجر
طعامي الأوراقُ والحبرُ ، وسادي الحزنُ والدفاتر
مَنْ ذا الذي يغزلُ في الليل قميص النار ؟

ويعدمُ الأصفار
وينثرُ البذار
في هذه الأرضِ التي تسحقُها الآلامُ والمجاعة
أيتها النبوءةُ المخبوءة
تحت جناحِ هذهِ الحمامة
محتومة تظهر في السماء
علامةُ الثورة فوق السم والشرور
فَهْيَ عبورٌ من خلال الموت
وصيحة عبر جدار الصوت

- ١ -

جنّيةٌ كانتْ على شطآن بحر الروم
تبكي وكنتُ راقداً محموم
على رمال الشط عند مغرب النجوم
تنتظرُ البحارةَ الموتى وتستلقي على الصخور
تمدّ للنوارس الضفيرة
تكتبُ فوق الرمل ما أقول
عانقتها وهي على شطآن بحر الروم
عاريةً تعوم
فانطفأ الليلُ وصاحَ البوم
أيتها العرافة
لا تكتبي فوق رمال الشط ما أقول
فسيدُ الآلام في المغارة
ينتظر الإشارة

(٢)

لم يُقبل الفارسُ من دمشق
ولم يُضيء وجهَ المغنّي البرق

(٣)

عانيت موت الروح
في هذه الأرض التي يهدر في جبالها
رعدٌ عقيمٌ وتجوع الريح
ويُصلبُ المسيح

(٤)

كتبتُ فوق الصخر
اسمك ، يا حبيبتي ، وفوق موج البحر
فمَحت الرياحُ ما كتبتْ
ولم يَرَ العرّافُ ما رأيتْ
ولا المغنّي عندما بكيت
أدركْ معنى البيتْ
وهو يغني ميتاً للموت
وها أنا في الأسرْ
أكتبه ثانية فوق رخام القبر

(٥)

ها هو ذا في مغرب النجوم
يحمل حفنتينِ من ترابِ قبرِها
على شطآن بحرِ الروم
تطعن عينيه رماحُ النور
وساحراتُ العالم السفلي والدهور

يحلم في بعث رماد طائر الخرافة
يروي جذورَ هذه الصفصافة
بدمهِ ، لعلها تولد أو تموت
« يونسُ » لن يشق بطنَ الحوت
فالبحرُ جف منذ أن أبحرتَ بي
وقلتَ لي لا تكتبي
على رمال الشط ما أقول

(٦)

يا امرأةً تموت في الولادة
تاركةً وليدَها في الأسر
لن تُبعثي
فسيِّدُ الآلام
طوى جناحيه على جراحه ونام

(٧)

كتبتُ فوق الصخر
اسمك ، يا حبيبتي ، وفوق موج البحر
فَمَحَت الرياحُ ما كتبت
وها أنا في الأسر
أكتبه ثانية فوق رخام القبر

(٨)

الليل في الشطآن

تحملني نجومه على خيول الريح
يا ميتاً يصيح
في قبره ، يا رحلة لليل في النهار
متى ستُلقين عصا التسيار ؟

(٩)

كتبتُ فوق السور
مرثيتي الأخيرة
فإن مررتِ في غدٍ أيتها الأميرة
بهذه الجزيرة
فلتأخذي وريقةً من هذه الصفصافة
وريشةً من طائر الخرافة
وقطرةً من نور
إلى صحارى وطني المهجور
لعل خيل الفتح ، يا أميرتي ، على ضياء الصُبْح
تمسح عارَ الجُرْح

(١٠)

ناعورةً تبكي على الفرات
أيقظني أنينها في ليلة المعراج
رأيتُني حراً على الأمواج
أمشي وكان في يدي سراج
وزهرةً تطفو على المياه
أمام باب الله

يسقطُ تحت قدمِ المسيح تاج الشوك
يزدحم الشارعُ بالموتى وباللصوص
تدور في المدينة
إشاعةٌ مسمومة
تهاجر الطيور
لكي تموتَ في مساء العالم الأخير
فوق عواميد الضياء وسقوف المدن الغبراء والجسور
مصلوبةً في النور
تعوي كلابُ الموتِ في المغيب
يصدحُ عندليب
في الغابة المنسيَّةْ
أيتها الحرائقُ الليليَّة
ها هو ذا الإسكندرُ الأكبرُ في المرآةْ
ينام يقظان على جوادِهِ أراهْ
مُبللاً بعَرَقِ الحُمى وعطرِ الليل
تأكل لحم يدهِ القطط
يتبعه القمر
والريحُ في التلال والقدر
يحمله الجنودُ في محفَّة الموتى على الرماح .
ها هو ذا المنتصر المهزوم
يعود من أسفاره وليس للأسفار

نهايةً ، مُكللاً بالغار
ومثقلاً بالحزن والشعور بالخيبة والضياع
أمام نور العالم الأبيض والليل الذي يليه ألف ليل
وسور « بابلَ » الذي يليه ألف سور
تتبعه النجوم
لكن كلب الموت يعوي ، فتغيبُ في ظلام الفجر
تاركةً على « الفرات » باقةً من زهر
يحملها كل صباح طائر النهار
تاجاً الى عشتار .
ها هو ذا الاسكندر الأكبر في هيكلها مطروح
يجود في أحضانها بالروح
ترفّ حول وجهه سنبلةٌ خضراء
يحمله لزورق الموتى عبيدُ الريح
ونافخو البوقات
وصائدو غزالة الشمس على الفرات
وهم بأقواس الرماد وثياب الأسر
ملطخون بوحول النهر
ينتظرونَ عرباتِ الفجر
أيتها الحرائق الليلية
في المدن الأرضية
الموتُ في المرآه
أراهُ كل ليلة ، أراهْ
يحدجني بنظرة استهزاء

وعندما أرمي شباكي حوله يصفرُ لي ويختفي كالجن في الإبريق
وفي الخوابي مُشْعِلاً في قدحي الحريق
يا شعلةَ الأولمب ، يا مراكبَ الإغريق
ضُمِّي رفات النَوْرسِ الغريق
في الأبد السحيق
وداعبي قيثارةَ الريح على الشطآن
وَعَلِّميني لغةَ الانسان
فهذه الديدان
تذوق لحمي ، مثلما كان وصيفي يبدأ الطعام
قبلي ، لعل أحداً دس به السمَّ ، تذوق اللحم
تاركةً جمجمةً تفغر في وجه الفراغ الفم
جمجمةً في القبر
على رمال البحر
حيث استحم عارياً « آمون »
في غابر القرون
أضاجعُ الوحشةَ والضياع
في أبدٍ ليس له قرار
منتظراً شروقَ شمس الله
في زرقة المياه
أسطورةً أعيشُ بين عالمٍ يموت
وعالمٍ يُولد من جديد
أُحسُّ بالعصارةِ الحيةِ تسري في عروق الأرض
وبالظلام الحي

ينبض في نواة كل شيء
وبالحضاراتِ التي تقوضت واستسلمت للموت
وبالربيع غارقاً بالصمتْ
وبالوحول ، في انتظار الشمس
يعدو على تراب قبري فارسٌ مجهول
ملثمٌ نعسان
تَفوحُ من معطفِه رائحةُ الحقولِ والجبال والمطر
ما آبَ من سفر
إلا وكان يَزمع السفر
ناديتُه وهو يمرُّ متعباً ، لكنه ارتحل
وغابَ في الجبل
مَخلِّفاً وراءه آثارَ أقدامٍ على الرمال
وقمراً يبكي على التلال
منتظراً عودتَه في آخر المطاف

شيء من الف ليلة

- ١ -

أطيرُ كل ليلةٍ على جوادي الأسود المجنحِ المسحور
الى بلادٍ لم تزوريها ولم تنتظري وحيدةً في بابها المهجور
أحمل ناري ورمادي نحو سفحِ جبلِ الخرافة
ألتفُّ في عباءةِ النجوم
مُنتَظراً محموم
مَغطياً بالملح جرحي ، نازفاً موتي على الحروف
وحزنَ أعيادِ الرجالِ الجُوف
مُعلَّقاً بالريح والديجور
مُعَصَّباً مخمور
بكَفنِ الحُمّى ونارِ النور
على جوادي الأسود المسحور
أحملُ مصباحَ علاء الدين
أغرقُ في الفجر المغني الشاحب الحزين
أمدُّ سُلَّماً من الأصوات
أرقى بِه لبابل
مغنياً وساحر
أبحثُ في جنانها المعلقة
عن زهرةٍ زرقاء

عن كلماتِ كاهنِ المعبدِ فوق حائط البكاء
ولا أرى غيرَ عواميدِ الضياء ورصيف الشارع المهجور
وسائلٍ يلتف في أسمالِه مقرور
يطرق بابَ البلد المهجور .
أسقطُ من فوق جواد الموت
ومن سريري ، ميتاً في البيت
وفي يدي جريدة
قديمةٌ جديدة
يضحك جاري ساخراً ، ويسكت المذياع
ويُدركُ الصباحُ شهرزاد

- ٢ -

رأيتُ خائنَ المسيح في بلاط الملك السعيد
منجِّماً ومخبراً وكاتبا
وراقصاً على الحبال لاعبا
يُخرج من معطفه الأرانبا
ويركب الحمارَ بالمقلوب .
رأيتُه هراً بلا نيوب
« يحكي انتفاخاً صولة الأسد »
يأكله الحسد
يُطاول الايوان

وحاملَ الأختامِ والسياف
من ظلهِ يخاف
يُلفقُ البكارة
للببغاء المومس الشمطاء.
رأيتُه شاهدَ زورٍ في عصورِ الموتِ والجليد
يقول «أحسنتَ» ويستعيد
للملك السعيد
يخافُ منه قائدُ الجندِ ويستشيره الوزير
بوقاً لِمَنْ يُعلِّقُ الجرس
كلباً من الخزف
يلعق نعلَ الملك الجديد
رأيتُهُ في مدن الأسمنت والأصفار والحديد
داعيةً ومخبراً وكاتبا
وراقصاً على الحبال لاعبا
طردتُه فعاد
نفختُ في عيونه الرماد
وأدركَ الصباحُ شهرزاد

- ٣ -

القارةُ الجديدة
اكتشفتُها أمام وجهِ الموت
في آخر الدنيا

أمام البيت
كان على شطآنها مركبُ سندباد
يُشعلُ في رايته الهواء
محملاً بالبرق والرعود
وبالنبوءات وبالوعود
كان المغني صامتاً والعود
في يده مشدود
كانت سماءُ القارة
تنتظر البشارة
حييَّةً كالقمح والجليد
رقيقةً كزهرةِ الأوركيد
وكنتُ ، يا حبيبتي ، أنتظِرُ المدَّ لكي أُبحرَ من جديد
أمدُّ سلَّماً من الأصوات
لإرم العماد
وعندما اكتشفتُها ، فاجأني الرقاد
فنمتُ تحت السور
مرتجفاً مقرور
ألفاً من السنين أو تزيد
تحت ركام الورق الميت والجليد
أنتظرُ « الغائبَ » من دمشق
يأتي على جواده تحت حراب البرق
مكتسحاً ركامَ هذا القبر
ومُشعلاً نيرانَه في القفر

وعندما استيقظتُ تحت السور
سقطتُ من فوق سريري ميتاً مقرور
وأدركَ الصباحُ شهرزاد

الجرادة الذهبية

(إلى اللاجئين)

- ١ -

أزحتُ عن قبريَ أطباقَ الثرى وَكُوَمَ الحجار
كسا عظامي اللحم
وانتفختْ بالدم
عروقيَ الميتةُ الزرقاء
مددتُ للشمس يدي فاخضرَّتْ الأشجار
أمسكتُ بالنهار
وهو يولّي هارباً في عربات النار
تَوَهَّجَ الرمادُ في أصابعي وطارت العنقاء
بكى أبو العلاء
وهو يراني ميتاً حياً ، وحياً ميتاً في ساعة الميلاد
أُبعثُ حياً بعد ألف عام
في ساحة الإعدام
وفي خيام اللاجئين ومقاهي مدن العالم دون وطنٍ أو بيت
تتبعني كلابُ صيدِ الموت
ينصب لي الشراكَ بالمجان
مهرجو السلطان
وخدم الخاقان
أُخفي جراحي عن عيون العور والأنذال

بصيحة ابتهال
إليكِ يا عشتار
أطير عبر الليل والأسوار
أبحث عن نار القِرىٰ في هذه القفار
أحملُ نيسابور
فراشةً معي ونهرَ نور
أُمسك بالنهار
وهو يولي هارباً في عربات النار
أجري مع الفرات
الى بحار العالم البعيدة
يمامةً طريدة
بكى أبو العلاء
وهو يراني ميتاً في ساعة الميلاد
أكسر قشرَ بيضةِ العنقاء

- ٢ -

الموتُ في الحياة
نومٌ بلا بعثٍ ولا رقاد
فلتنفخي ، أيتها الساحرة ، الرماد
لعل شهرزاد
تمد من ضريحها يداً إلى النبي والشاعر في الميلاد
لعل نار إرم العماد

تلمع في صحراء هذي المدن المطلية الجدران بالسواد
لعل سندباد
يُشعل في صيحته جزائر الهندِ وأرخبيلَ بحرِ الروم
يحمل في مركبه للأمم المغلوبة البشارهْ
وعُشْبَهْ ونارهْ
إلى الذين دفنوا أحياءَ في المغاره
وقاتلوا مع الملايين التي تئن في أغلالها ووقعوا في الأسرْ
وأُعدموا في الفجر
وهم يغنون أغاني النصر

- ٣ -

طيري أيا شقيةً لمْ تعرفِ السعادة
أيتها الجرادة
بابل دُكَّ سورُها وسقطتْ طروادة

- ٤ -

نجوتُ من مذابح المغول
سرتُ مع الأنهار في القفار والحقول
عبرتُ ألفَ سور
وجئتكم ، يا أخوتي ، بهذه الزهور

- ٥ -

رأيتُ في مزابلِ الشرق وفي أسواقه الملوك
والعورَ والأبواقَ والديوك
مخصيةً تصيح
رأيتُ فلكَ نوح
وأمماً مغلوبةً تنوح
وشعراءَ عدد الذباب
عادوا بتيجان من الورق
من رحلة الضياع والقلق
وحالمينَ يحرثون البحر
قبل طلوع الفجر
رأيتُ شهرزاد
جاريةً في مدن الرماد
تُباعُ في المزاد
رأيتُ بؤسَ الشرق
ونجمةَ الميلادِ في دمشق
رأيتُ مجدَ فقراء الأرض في الفيتنام
وفي خيام اللاجئين سيدَ الآلام
منتظراً خيل صلاح الدين
وصيحةَ الفرسان في حطين

- ٦ -

بكى أبو العلاء
وهو يراني في ثياب الأسر
ينهش صدري النسر
منتظراً مع الملايين طلوع الفجر

- ٧ -

أنتظرُ « المبشر الإنسان »
أنتظر الطوفان

كلمات الى الحجر

١ ـ المستحيل

يأتي مع الفجر ولا يأتي
حبي الذي أغرق في الصمت
يحوم حول السور مستجدياً
تنهشه مخالب الموتِ
حتى إذا ما اليأس أودى به
صاح من الأعماق يا أنتِ
سفينةُ الأقدار لم تنتظرْ
وسندبادُ الريح لم يأتِ
من أين أقبلتِ ؟ وآبارنا
مسمومةٌ من أين أقبلتِ ؟
لعلني كنت على موعدٍ
من قبل أن أُولد أو كنتِ
الحب أعمى وأنا ههنا
أكتب فوق الماء ما قُلْتِ
ربيعنا أقبلَ من رحلة الـ . . .
. . . ضياع والأحزان والمقتِ
تسبحُ بالنور فراشاتُه
فلتفتحي الأبوابَ يا أُختِ

حبيبتي من قبل أن تُولدي
أحببتُ عينيكِ
فَمَنْ أنتِ ؟

٢ ـ عن الميلاد والموت

عندما تسقط في الوحل صبية
عندما تنغرسُ السكينُ في لحم الضحية
عندما تسعى عصا الساحر حيّة
ستعودين مع الشمس خيوطاً ذهبية
ومع الريح التي تعوي على شطآن ليل الأبدية
غنوةً أندلسية
ستعودين مع الميلاد والموت نبيَّه
تُشعلين النارَ في هذي السهوب الحجرية
تبعثين النورسَ الميتَ في صمت البحار الأسيوية
والينابيع الخفية
تمنحين الضفدع النائمَ في الطين جناحينِ ، تجوبين البرية
كغزالٍ شارد تجري كلاب الصيد في أعقابهِ يدركه ليل المنية
ستعودين إليّ
لتقودي في أعاصير الرمادِ
والدياميس ، شراعَ السندباد .
ستعودين مع الطُوفان للفُلك حمامة
تحملين غصنَ زيتونٍ من الأرض علامة

وعلى قبر المحبين غمامة
ستظلّين الى يوم القيامة
تمطرين وتموتين ندامة
ستعودين بلا جاريةٍ ، هاربةً من أسر هرون الرشيدِ
ومع الميلاد والموت شراراتِ شموسٍ من جليدِ
ستعودين الى الأرض التي تخضرُّ عُوداً بعد عُود
لتضيئي الحجر الساقط في بئر الوجود
لتموتي من جديد
لتعودي عشبةً صفراء في حقل ورودِ
عندليباً في الجليد
ستعودين ، ولكن لن تعودي

٣ ـ قال طرفة بن العبد

وما زال تشرابي الخُمورَ ولذتي
وبيعي وإنفاقي طريفي ومُتْلَدي
إلى أن تحامتني العشيرةُ كُلُّها
وأُفردتُ إفرادَ البعيرِ المُعَبّدِ
فإن كُنتَ لا تسطيـع دفعَ منيتي
فَدعْني أُبادرها بما ملكت يدي

* * *

كَريمٌ يروّي نفسه في حياته
سَتَعْلَمُ إن مُتْنا غداً أيُّنا الصدي

٤ ـ كتابة على قبر عائشة

يا راكباً نجران
بَلِّغْ نداماي اذا ما طلع النهار
واقتحمت مدينةَ الموتى خيولُ النار
وَشَطَّ بي المزار
« أن لا تلاقياً » ولا لقاء
وابكِ على طفولتي أمام صمت القبر
وَقِفْ على أطلال هذا القلب
مُصَلِّياً للرب
فَمِنْ هنا أقبلتْ
وَمِنْ هنا رحلتْ
في عربات الفجر
أحمل أسمالي معي للقبر
وحسرةَ الأرضِ التي لم يغسل المطر
جبينَها الشاحبَ في السحر
ولم تذق حلاوةَ القُبَلْ
في حُمرةِ الطَفَلْ
ولم يُضاجعْ عُريَها أحد
فَهْيَ هنا حارسةُ الموتى الى الأبد

تنمو على صخورها الأعشاب
وينعب الغراب

٥ ـ الحمل الكاذب

بابل لم تبْعَثْ ولم يظهر على أسوارها المُبشِّرُ الانسانْ
ولم يُدمرها ولم يغسل خطايا أهلها الطوفان
ولم يَقُمْ من قبره عبر الفرات سارق النيران
فالعقم والصيف الذي لا ينتهي والصمت والتراب
والحزن والطاعون
طعام هذي المدن المنفوخة البطون
والبشر الفانون فيها ككلاب الصيد
يحترقون تحت شمس الصيف
ما بين مهزوم وبين راسِفٍ في القيد
ـ العاقرُ الهلوكْ
من ألفِ ألفٍ وهي في أسمالها تضاجع الملوك
ترنو لبحر الرومْ
بنظرة المهزوم
تمنح بالمجان
قُبلَتَها للصِّ والقوادِّ والخائنَ والجبانْ
ـ عشرون عاماً وأنا أبكي على أسوارها وأحمل الأكفان
لكنها ظلتْ كأورشليم
ملعونةً تعجُ بالذباب والأصفار والحريم

أصبحُ منفياً على الأسوار
بابلُ يا مدينةَ الأشرار
قومي وغطِّي عُريَ هذا الجسد الذابل بالأزهار
قومي لعل البرقْ
والفارسَ المجهولَ من دمشق
يبذر في بطنك بذرةً فتحملين
أيتها البغيُّ في أحشائك التنين
لكنها ظلت كأورشليم
ملعونةً تعج بالذباب والأصفار والحريم
تفتحُ للغزاة ساقيها وللطغاةْ
تحملُ حملاً كاذباً في كل فجر وتموت كلما القمر
غاب وراء غابة النخيل في السحرْ
ـ دوري ودوري في الفراغ واسقطي في العار
أيتها الأصفارْ !
ففي غدٍ سيُسدل الستار
ويسقط الممثلونَ في الوحول تحت سقف المسرح المنهار

القاهرة
(١٨ ـ ٦ ـ ١٩٦٦)
(٢٧ ـ ٨ ـ ١٩٦٧)

إشـــارات

- راجع قول المتنبي :

يموت راعي الضأن في جهله   ميتة جالينوس في طبه

- يشير هذا إلى العادة القديمة الخاصة بالندب والبكاء على تموز إله الخضرة والربيع ؛ حيث اعتقدوا فيه أنه كان ينزل إلى العالم السفلي في كل خريف ويعود إلى الحياة مع بشائر الربيع .

قارن ذلك بما ورد في السفر ٨ :١٤ وارجع إلى رواية ابن النديم في فهرسته عن ممارسة البكاء على تموز عند أهل حران .

- أسد التراب : من نعوت الأفعى عند العراقيين القدماء .
- الغالب على تصور العراقيين القدماء لأرواح الموتى انها على هيئة الطيور وشاركهم في هذا التصور المصريون القدماء الذين صوروا روح الميت على هيئة الفراشة .
- انكيدو : رفيق وصديق جلجامش البطل الأسطوري السومري - البابلي وقد روت ملحمة جلجامش (وهي أقدم ملحمة شعرية في تاريخ الإنسانية) ان انكيدو عندما مات جزع عليه جلجامش جزعاً شديداً ، ولم يصدق أنه مات وتركه في العراء حتى زحفت جحافل الديدان على وجهه فشوهته .
- روي : أن لقمان خُيِّر بين بقاء سبع بعران سمر وبين سبعة أنسر ، كلما هلك نسر خلف بعده نسر . فاستحقر الأباعر واختار النسور . فلما لم يبق غير السابع . قال ابن أخ له : يا عم ما بقي من عمرك إلا عمر هذا . فقال لقمان : هذا لبد (ولبد بلسانهم الدهر . وهو نسر من نسور لقمان) فلما قضى عمر لبد رآه لقمان واقفاً فناداه (إنهض لبد) فذهب لينهض ، فلم يستطع ، ومات ومات لقمان معه .

- ديك الجن : شاعر عاصر أبا نواس ، لم تغره عاصمة الخلافة بما فيها من ذهب وأضواء ومغريات ، اختار مدينة حمص منفى له ، منفقاً أيامه بين ندمانه وكؤوسه . وقع في غرام جارية رومية ، حتى أنه من فرط حبه لها وغيرته عليها ، قتلها وأحرق جثمانها وخلط رمادها بالتراب وصنع منه قدحاً لخمرته ، ليضمها إليه إلى الأبد ، ولكي لا يشاركه فيها أحد .

- روميات أبي فراس : هي القصائد التي كتبها أبو فراس الحمداني عندما كان أسيراً في بلاد الروم .

- عائشة : صبية أحبها الخيام في صباه حباً عظيماً ولكنها ماتت بالطاعون ولم يتحدث عنها - على الإطلاق - في أشعاره . وقد كنت أودّ أن أسميها في هذا الديوان (خزامى) ، ولكني احتفظت باسمها الحقيقي أو المستعار - من يدري - دفعاً للالتباس .

وعائشة هنا أو - خزامى - امرأة اسطورية : وهي رمز للحب الأزلي الواحد الذي ينبعث ، فيضيء مالا يتناهى من صور الوجود ؛ وهي الذات الواحدة التي تظهر فيما لا يتناهى من التعينات في كل آن ، وهي باقية على الدوام على ما هي عليه .

ولتوضيح هذه الفكرة أكثر لا بد من الرجوع إلى قصيدة جلال الدين الرومي «المستزاد في ظهور الولاية المطلقة العلُوية» في ديوانه « شمس تبريز » (ط تبريز سنة ١٢٨٠ هـ) حيث يقول :

يظهر الجمال الخاطف كل لحظة في صورة .

فيحمل القلب ويختفي

في كل نفس يظهر ذلك « الصديق » في ثوب جديد

فشيخاً تراه تارةً وشاباً تارة أخرى

ذلك الروح الغواص على المعاني

قد غاص الى قلب الطينة الصلصالية .

انظر إليه وقد خرج من طينة الفخار .

وانتشر في الوجود

(وإذا كانت قد ماتت عائشة في « الموت في الحياة » فلا يعني هذا أنها قد ماتت إلى الأبد ، وإنما يعني أن ولادة جديدة تنتظرها في زمان ما ، ومكان ما من هذا العالم) .

- أراد الاسكندر الأكبر أن يجعل من بابل عاصمة لامبراطوريته ، ولكنه مات قبل أن يحقق ذلك . وبعد موته حكم العراق أحد قواده المعروف بسلوقس ودام العهد السلوقي أكثر من قرن ونصف . وفيه اندمجت الحضارة الاغريقية بالحضارة الشرقية ، وأنتجت ما يسمى بالحضارة (الهلنستية) .

الكتابة على الطين

تأكل الحرةُ ثدييها إذا جاعت وفي أرض الملوك الفقراء
زهرةُ الدفلى على جدول ماء
تتعرى في حياء
وأنا أكتب فوق الطين ما قال المغني للمساء
وأُعرّي الكلمات
وتعاويذَ البغايا الكاهنات
وأرى نهر دم يصبغ مرآة وجوه الملكات
ورحيل العربات
في سهوب الشرق والنار وصمت الكائنات
آه من عُري سماء الكلمات
تحتها أرقد قشاً ، مومياء
صامتاً أنتظر البعث أُلوف السنوات
حاملاً موتي ، معي ، جوّاب آفاق ، بلا زاد وماء
كلما غيّر مجراه الفرات
رقدتْ في قاعه روحي مع الصلصال والعشب حصاة
آه من يجمع أشلائي التي بعثرها الكاهن في كل زمان ومكان
فأنا لوح من الطين وخيط من دخان
كتبوا فيه الرُقى والصلوات
ومراثي مدن الشرق التي ماتت وأعياد الفصول
آه ماذا للمغني سأقول ؟

عندما تصهل تحت السور في الليل الخيول
ومجوس الزمن الآتي يدقون الطبول
ويعودون من المنفى إلى المنفى فلول
عندما تصعد من عالمها السفليِّ للنور وتبكي عشتروت
في رداء الكهنوت
عندما يُنفخ في الصُور ولا يستيقظ الموتى ولا يلمع نورْ
ويصيح الديك في أطلال « أُورْ »
آه ماذا للمغني سأقول ؟
وأنا أجمع أشلائي التي بعثرها الكاهن في كل العصور
ونذوري والبذور

يرتدي الشاعرُ ثوبَ الساحر الميّت يُخفي وجهه تحت القناع
ويعاني في حضور الكلمات
وحشةَ النبذ بأرض النوم والسحر وآلامَ المخاض
حبُهُ أعمى وشحاذٌ لنور الكائنات
يتبع الشمسَ التي مدت وراء القبر للموتى ذراع
وعلى أرصفة الليل يغني الساحرات
والأميرات الصغيرات وموت القبّرات
حاضراً غاب عن المسرح في خاتمة الفصل وقبل البدء عاد
- لم تَقُلْ ، مولايَ ، شيئاً شهرزاد
فهي في تابوتها نائمة تبكي ولكنْ المغني والرماد
ودم القلب وثلج الظلمات
لم يزل يسقط فوق المدن الكبرى فيخفي وجهها تحت القناع

- ها أنا أشنق نفسي مثل عصفور بخيط من شعاع
تحت مصباح عمود النور في الليل لكي تُبعث بعدي شهرزاد

في خواء المدن الكبرى وفي أحيائها تحت سموات البكاء
قبلتني واختفت بين الزحام
وأنا منتظرٌ وحدي ، هنا ، من ألف عام
دون أن يُفْتَحَ باب في الظلام

أو يد تمتد بالحب ونور الكائنات
ـ من تُرى يسمع صيحات طيور البحر بعد الزوبعة ؟
ويعاني وحشةَ النبذ وموتَ الروح تحت الأقنعة ؟
ويغني للفصول الأربعة ؟
ـ لم تَقُلْ ، مولايَ ، شيئاً عشتروت
وهي بعد الموت في القبر تموت
وعلى إكليلها يسقط ثلج من سماء الملكوت
في خواء المدن الكبرى وفي أزمان أسفار المجوس
سقط المصباح في الأرض ولم نشرب على نخبك يا
حبي الكؤوس
ـ فاحرقوني
فأنا ساحر أموات القبيلة
في مقاهي مدن العالم خيّمتُ ، وفي أرصفة الفجر البليلة
حاملاً لوحاً من الطين ونار البعث تسري في عروق المومياء
تكتسي باللحم ، تخضر على الجدران أوراق المساء
ـ مَنْ يناديني ؟
ومَنْ يحمل إنذار السماء ؟
ويعاني في حضور الكلمات ؟
عودة الأرض الى العصر الجليديِّ وانسان الكهوف ؟
ويغني الساحرات ؟
والأميرات الصغيرات وموت القبّرات ؟

ـــ هبوط أورفيوس الى العالم السفلي ـــ

صلوات الريح في آشور والفارس في درع الحديد
دون أن يُهْزَمَ في الحرب يموت
وَيُذرَّى في الدياميس رماداً وقشور
تحت سور الليل والثور الخرافي يطير
ناطحاً في قرنه الشمس التي علّقها الكاهنُ في سقف الوجود
والمغنّون شهود
وإلى النار التي أوقدها الرعيان في الأفق سجود
ـ مدنٌ تُولَدُ في المنفى وأخرى تحت قاع البحر أو قاع لياليها تغور
وينام الناس في أسحارها دون قبور
كالعصافير على حائط نور
وأنا أحملهم فوق جبيني من عصورٍ لعصور
أرتدي أسمالهم ، أنفخ في ناي الوجود
ـ نزفتْ كل جراحاتك حتى الموت في فجر السلالات وفي
عصر الجليد

فلماذا أنت في الكهف وحيد ؟
ترسم الثور الخرافيَّ على الجدران بالنار وتلتفُّ بأسمال الشريد

حاملاً خصلةَ شَعْرِ الشمس تبكيها ، وتبكي المستحيل
حالماً عبر الليالي بالرحيل
وبشطآن عصور يُولد الانسان فيها من جديد

ـ ولماذا أنت في المنفى مع الموت وأوراق الخريف ؟
ترتدي أسمالهم ، تُبعث في كل العصور
باحثاً في كُوَمِ القش عن الإبرة ، محموماً ، طريد
تاجك الشوكُ ، ونعلاك الجليد
ـ عبثاً تصرخ فالليل طويل
وخطا ساعاته في مدن النمل حريق
ـ كلما نادتك عشتار من القبر ومدّت يدها ، ذاب الجليد
وانطوت في لحظةٍ كل العصور
وإذا بالليل ينهار وتنهار السدود
وإذا بالميّت المُدْرَجِ في أكفانه يصرخ كالطفل الوليد
بعد أن باركه الكاهن بالخبز وبالماء الطهور
ـ آه ما أوحش ليلاتي على أسوار اشور مع الموت وأوراق الخريف
وأنا أصعد من عالمها السفلي نحو النور والفجر البعيد
ميتاً أُبعثُ في درع الحديد
ـ أيها الثور الخرافيُّ الذي فوق دخان المدن الكبرى يطير
أيها النورُ الشهيد
عبثاً تصرخ فالعالم في الأشياء والأحجار واللحم يموت
والصبايا والفراشات وبيت العنكبوت
والحضارات تموت
ـ عبثاً تُمسك خيط النور في كل العصور
باحثاً في كُوَمِ القش عن الإبرة ، محموماً ، طريد

- ١ -

تذرف السروةُ في الليل دموع العاشقة
وتُعرّي صدرها للصاعقة
وعلى أقدامها يسجد عرّافُ الفصول
عارياً أنهكه البردُ وغطى وجهه ثلجُ الحقول
يخدش الأرض ، يُعرّيها
يموتْ
تاركاً قطرة نور
بين نهديها الصغيرين وفي أحشائها رعشةَ بركان يثور
حيث تنشقّ البذور
ترضع الدفءَ من الأعماق تمتدّ جذور
لتُعيد الدم للنبع وماء النهر للبحر الكبير
والفراشات الى حقل الورود
فمتى عشتار للبيت مع العصفور والنور تعود ؟

- ٢ -

نبتتْ لي أجنحة
وأنا أحمل من منفى الى منفى تعاويذَ الملوك السَحَرة

وزهور المقبرة
وعذابات الليالي الممطرة
مثل ماء النهـر من تحت جسور العـالم المشحون بـالحقد
تلمستُ الضفاف المظلمة
وتمزّقت وناديتك باسم الكلمة
باحثاً عن وجهك الحلو الصغير
في عصور القتل والإرهاب والسحر وموت الآلهة
وتمنّيتك في موتي وفي بعثي وقبّلت قبور الأولياء
وتراب العاشق الأعظم في أعياد موت الفقراء
ضارعاً أسأل ، لكنّ السماء
مطرت بعد صلاتي الألف ثلجاً ودماء
ودُمى عمياء من طين وأشباح نساء
لم يرينَ الفجر في قلبي ، ولا الليل على وجهي بكاء
فمتى تَنْهَلُ كالنجمة عشتار وتأتي مثلما أقبل في ذات مساء
ملكُ الحب لكي يتلو على الميّت سفر الجامعة
ويُغطي بيد الرحمة وجهي وحياتي الفاجعة

- ٣ -

طائر غرّد عبر النافذة
رفّ في الظلمة والنور ، وحيّاني
وأهدى وردة محترقة
سقطت فوق ذراعي بضة مرتجفة

وأنا ألتفّ في نومي بحبل المشنقة
صارتْ الوردةُ طفلة
صارتْ الطفلةُ أنثى عاشقة
تتشهى قمر الثلج ونار الصاعقة

- ٤ -

نبذتني طُرق العشق وملّتني الدروب
وأنا أبحث في بابل عن خصلة شَعْرٍ علّقتها الريحُ في حائط بستان الغروب
عن نقوش وكتابات على الطين وآثار حريق
مِنْ هنا مرّت وفي هذي الطلول الدارسة
لاحقتني لعنات الآلهة
والذئاب الجائعة
وأنا أتلو على المعشوق سفر الجامعة
ميتاً عاد من الأسر بأسرار الملوك السحرة
ليرى قريته المحتضرة
خبراً يرويه للريح صداح القبّرة
وتراباً خلّفته الزوبعة
في التكايا وعلىْ وجه دراويش الفصول الأربعة

- ٥ -

من ترى ذاق فجاعتْ روحه حلوَ النبيذ
وروابي القارة الخضراء والمطاط والعاج وطعم الزنجبيل
وعبير الورد في نار الأصيل
ورأى الله بعينيهِ، ولم يملك على الرؤيا دليل
فأنا في النوم واليقظة من هذا وذاك
ذقت ، لمّا هبطت عشتار في الأرض ملاك

- ٦ -

وردة مرتجفة
حملتها الريح من أرض الأساطير الى المقهى وموت الأرصفة
لتغني صامتة
للروابي الخضر في الحلم وأوراق الخريف الميتة

- ٧ -

جعتُ في بستان هذا العالم المثقل بالأزهار والحب وألوان الثمار
جعتُ حتى الموت في كل عصور الانتظار
وتمزقت ببطءٍ من نهار لنهار

وتماسكت وقد زعزعني الدهر وقبّلت قبور الأولياء
وتراب العاشق الأعظم في أعياد موت الفقراء
فلماذا عقرب الساعة دار
عندما ألقت على الجائع عشتار الثمار؟

- ٨ -

لون عينيك وميض البرق في أسوار بابل
ومرايا ومشاعل
وشعوب وقبائل
غزت العالم لما كشفتْ بابلُ أسرار النجوم
لون عينيك سهوب حطمت فيها جيوش الفقراء
عالم السطوة والإرهاب باسم الكلمة
وغزت أرض الأساطير وشطآن العصور المظلمة

- ٩ -

طفلة أنت وأنثى واعدة
وُلِدتْ من زبد البحر ومن نار الشموس الخالدة
كلما ماتت بعصرٍ بُعثتْ
قامتْ من الموت وعادت للظهور
أنت عنقاء الحضاراتِ
وأنثى سارق النيران في كل العصور

- ١٠ -

موجة تلثم أخرى وتموت
وجبال ودهور
وكهوف ملّت الصمت وأقمار من الطين تدور
وأنا أكتب فوق الماءِ ما قلتُ وقالتْ عشتروت
لا تُهـدىء آه من حبي ، وقـل شيئـاً بـه أؤمن ، شيئـاً لا يمـوت

لا توفِّر جسدي ، أيامه معدودة ، فلتُشعل النيران فيه
فغداً فوق ذراع امرأة أخرى وفي أحضان أخرى تشتهيه
إنني أصبو الى ذاتك ، ما هذي الدموع ؟
قبلة أخرى ، فنعرى ونجوع
حاملين الشمس من تيهٍ لتيه
صنم من ذهب أنت وفي أعماقه مختبىءٌ كاهن صحراء النجوم
مال نحوي وارتوى من شفتي ، فانطفأت في يده إحدى الشموع
جسدي أصبح ورده
عارياً في النور وحده

- ١١ -

مدن الله على الأرض بنيناها ، بنينا كعبة عبر البحار
وتعبّدنا بمحراب النهار
أيها الحب الذي يعمر بالحب القفار
قادماً أقرع أبوابك أقبلتُ من الأرض الخراب
آه لن تسقط أزهاري على عتبةِ دار
دون أن تمنح محبوبي الثمار

سَبَحَ العاشقُ يا سيدتي في دمه وانهارَ سور الصين بعد المعجزة

واستردَّ الميِّتُ الحيُّ حصانَ العربةْ
واستقرَّتْ روحه الهائمة المضطربة
في الغصون المزهرة
ونواة الثمرة
فإذا ما عرّت الريحُ قميصَ الشجرة
وهوتْ أوراقها ذابلةً في المقبرة
مدّ من فصلٍ الى فصلٍ يدَ الشحاذ للنور وقَطْرات المطر
كامناً كالنار في الأشياء ، مأسوراً طليق
باحثاً كالنهر عن مجراهُ في أرض الخرافات وغابات الحريق
كلما دقّ على أبواب قصر الساحرة
في الليالي الماطرة
غابتْ الأبوابُ والقصرُ ، وخلاّني وحيد
في مقاهي مدن العالم أستجدي بطاقات البريد
فلماذا طال ، رغم الملتقى ، هذا السفر ؟
ولماذا جف في الليل على نافذة المقهى المطر ؟
وعلى الأشجار في الشارع والقلب وأسوار السجون ؟
وأنا أغرق في نهر الجنون
عندما عدنا ، وعاد العاشقون
يذرفون الدمع في صمت ، ويبنون جسور

ولماذا خذلتْنا ، يا إلهي ، الكلمات
عندما معجزة القديس لم تنفع ولم ينفع عويل الساحرات
بعد أن سرنا وسار النهر في جثة « تموزَ » الى البحر البعيد
عاد يطفو من جديد
حاملاً تاجاً من اللَيْلَك والعشب وأزهار جبال المستحيل
وعلى تابوته النهريِّ طارت بجعةٌ كادت وهمّت بالرحيل
وعلى الشطآن أضواء قناديل الربيع
وعويل الكهنة
تحت أقواس رماد الأزمنة
وَهُمُ يبكون « تموزَ » القتيل
حاملين القمر الميت في موكب عشتارَ الجليل
آه من ليل المحبين الطويل
وقطارات الجليد
وعذابات الرحيل
باطل ، لا شيءَ تحت الشمس ، يا حبي ، جديد
آه عرِّيني من العُري ومن ثوبي الثقيل
فأنا نائمة وحدي ، هنا ، تحت سماوات مجاذيب النخيل
لم يقبِّل شفتي انسٌ ولا جنّ ولا طيف حبيب
باعني النخّاس للسلطان ، والسلطان للعبد الطريد
فأنا عبدةُ عبدِ «الأسود ـ الأبيض» في مستنقع الشرق الكريه
آه عرّيني وعرّيها ، وسرنا خطوات

فلماذا خذلتنا ، يا إلهي ، الكلمات
عندما معجزة القديس لم تنفع ولم تنقذ هوانا الصلوات
وعويل الساحرات
وهي في المذبح بعد العاصفة
تتمرّى في عيوني خائفة
لم نقلْ شيئا ، وسار النهر للبحر البعيد
وافترقنا والتقينا ، وابتدأنا من جديد

المجوسي

- ١ -

سكبـوا فوق ثيـابي الخمرَ ، عـربدتُ من الحب ، وراقصتُ الفراشاتِ وعانقتُ الزهور

منحوني عندليباً وقمر
ومرايا وتعاويذَ وَقَطْرات مطر
وأنا لم أَتَعَدَّ العاشرة
فلماذا عندليب الحبّ طار
والمرايا صدئت فوق الجدار ؟
ولماذا استرجعوا مني القمر
والتعاويذ وَقَطْرات المطر
عندما قلبي على أرصفة الليل انكسر ؟

- ٢ -

المجوسيُّ من الشرفة للجار يقول
يا لها من بنت كلبة
هذه الدنيا التي تُشبعنا موتاً وغربة
كان قلبي مثل شحاذ على الأبواب يستجدي المحبة
وأنا لم أتعدّ العاشرة

فلماذا أغلقوا الأبواب في وجهي ؟
لماذا عندليب الحبّ طار ؟
عندما مات النهار

- ٣ -

ساحر يأتي مع الليل وسحر لا يدوم
باطل ما تكتب الريح على السور وما قالت الى البحر النجوم
كان حبي لك موتاً ورحيل
يا وصايا النار ، يا أرض سدوم

- ٤ -

وجدوه عند باب البيت في الفجر قتيل
وعلى جبهته جرح صغير وقمر
وتعاويذُ وَقَطْراتُ مطر

يغـرق العالم في الصمت ويـرتدّ جـواد الريـح منهوكـاً على
أبوابِ ليل القادمين
ويناديك مغنّيها وكهّان حضارات الغزاة الفاتحين
والمحبّون وأبناء السبيل
هذه الليلة مرّت عدماً ، صفراً
وها أنت طريد
حاملاً ناري الى عصر جديد
رافضاً كل الشعارات ومصلوباً على بوابة الرفض
وملعوناً وحيد
تقتفي خطوك من منفى الى منفى عيون المخبرين
فمتى يهبط « زارا » ويناديك كما ناداه أطفال المجوس
هذه الليلة مرّت
سحقتها قدم الصمت وأبلت ثديها العاري الطقوس
خلّفتها طفلةً حبلى وأُماً زانية
لجنود الطاغية
هذه الليلة أُنثى حيوان ضاجعت أخرى وماتت عارية
دقت الساعات فيها ناعية
موت كلب الطاغية
فمتى يهبط «زارا» من جبال النوم والموت الى الشارع حـراً وطليق
صارخاً كالطفل في دوّامة الخَلْقِ وإعصار الحريق

مُمسكاً في يده خيط الدم الجاري وأقمار حضارات الجليد
حاملاً ناري الى عصر جديد
ومراعي وطني النائي الحزين
ومكاتيبي التي بلّلها الدمعُ وصيحات طيور البحر في المنفى
وذكرى « ياسمين »
ومتى يهبط « زارا » من رفوف الكتب الصفر ليعرى ويجوع
في صحارى مدن الحب التي تنتظر الطوفان والفتح ونار المبدعين
مظلماً كان شبابي ، قال لي ، ما قال للنسر « لبيد »
ليلهم يأتي وها أنت طريد
تشعل النيران ، هذا زمن فيه يموت المؤمنون
في المتاريس وفي الحانات والصمت وأعماق السجون
هذه الليلة مرت وعلى الأرض ضياء كان في الفجر يخون
لم يمت فيها سوى فأر مريض
يا مواء القطط العمياء ، يا باعة موت الآخرين
لم يعد «زارا» من الحج ولم يهبط الى الشارع في الفجر الحزين
فمتى يشتعل الانسان في الثورة والحب وفي دوامة الخَلْق
وإعصار الحريق

كابوس الليل والنهار

تحلم الأرض بميلاد نبيٍ يملأ الآفاق عدلاً
تحلم الأرض بميلاد الفصول
وأنا أحمل في الشارع جثة
لأواريها ، إذا ما هبط الليل ، بمبغى أو حديقة
وبمقهى أو بخمارة نور
مُخْفياً وجهي عن الله وعنكِ
خجلاً سكران أبكي
وتقول الأغنية
بعد أن عُبىء صوت العندليب
والمغني وهو للشمس يغني في أسطوانة
بعد أن بيعت ودبَّ الشيب في رأس المغني
ودم الوردة فوق الأفق سال
ما الذي كانت تقول الأغنية ؟
والعصافير على أرصفة الليل تموت
والنبي المُنتظر
نائماً ما زال في الغار وما زال المطر
فوق جدران البيوت الهرمة
وسطوح المدن الحبلى وإعلانات سمساري البيوت
بدم يكتب ميلاد وموت الكلمة
وأنا أحمل في الشارع جثة
مخفياً وجهي عن الله وعنكِ

لِمَ تبكي ؟
أيها النهر الخرافيّ الذي يرضع أثداء المدينة
حاملاً أوساخها نحو البحار
والخيول الميتة
وحطام العربات
وأنا أشهد ميلاد النهار
في عيون القطط المحتضرة
بعد أن عُبىء صوت العندليب
والمغني وهو للشمس يغني في اسطوانة
كانت الجثةُ تبكي
وأنا أبحث في الشارع عنكِ
والتقينا بعد أن مات النهار
ثم جاء الليل من بعد النهار
ونهار آخر بعد النهار
وتدور الأسطوانة
ومغنّيها بصوت شرخته السنوات
لاهثاً يجري وراء الظلمات

ما الذي كانت تقول الأغنية ؟
ما الذي كانت تقول الأغنية ؟

أزمنة الصيف الذي يموت
وجسد الوردة تحت قبلات النور
مُغْتَصَبٌ مبهور
والشاي فوق النار يغلي
ـ مَنْ هنا
أسطوانة تدور
ـ لا أحدٌ
يتّحد الليل مع النهار
وجسد الوردة فوق النار
وأنتِ تحت شفتي كاهنة تبوح بالأسرار
ذبيحة علّقها الجزار
من ثديها العاري على الجدار
يا امرأة تصعد من مغاور النعاس
والسحر والخرافة
تضاجع الساحر والشاعر والمقاتل
ووردة الصيف التي تموت في الخمائل
تبوح تحت شفتي بسرها المخاتل
تمنحني طفولة النهار
وفرس البحر وياقوت كهوف النار
وجرس الأمطار
ـ لا أحدٌ

كنا بأعماق ليالي بابل
كنا على أسوارها نقاتل
أنا وأنتِ نرتدي أقنعة العشاق
كنا على الأسوار
نموت تحت قُبَل الصيف الذي يموت
نجري وراء عربات النور
أنا وأنت نرتدي . . كنا على . . أسطوانة تدور
نسرق ياقوتةَ عين ساحر المدينة
ندور في أحيائها أغنية حزينة
يا امرأة الميلاد والموت الذي تنتظرين في صياح الديك
وضحكات الغَجَرِ الملوك
من أين تقبلين ؟
وأين تذهبين ؟
كنا على الأسوار
أنا وأنت نرتدي أقنعة العشاق ميّتين
نرفع للفرات قربان إله الطين
وجسد الوردة تحت قبلات النور
مغتصب مبهور
وأنت تضحكين
عارية للشمس تضحكين
كنا على أسوارها نمارس الطقوس
يا امرأة تُغتصبين في كهوف النوم
في حدائق الفرات تحت قبلات الطين

وأنتِ تولدين
من أين تقبلين ؟
وأين تذهبين ؟

كتبت فوق شجر الخابور
تاريخ ميلاد وموت فارس النحاس في آشور
وقطرات المطر المسحور
وجرة الذهب
ونحلة الحب وثورات شباب العالم المأخوذ
وساحرات بابل
والقمر المدفون في المزابل
لكنني أدركت ما أدركه الرائي وما خبأه المقدور
في النور والنار وصمت البحر والياقوت
والجوهر المكنون
ولم أكن أحرق روما أو أُسلّي شعبها المقهور

الوجه والمرآة

العالم الغارق في الغسق
والمرأة الأسطورة
تطلع من نبوءة العهد القديم وبطون كتب الأنهار
ومن رسوم السَحَرَة
على كهوف العالم القديم
تُخرج من سرتها وردة شمس الليل والنهار
ولازورد النار
تمارس الحب مع الضياء والهواء والمطر
تحبل بالبذور والأزهار والثمار
تحتضن المرآة
حالمة بالنهر والحصان والثعبان
وتختفي في قعرها المطموس
عائدة الى بطون كتب الأنهار
وريشة الساحر في الكهوف
تاركة لعبتها الصغيرة
ومشطها المكسور
وألَق الضفائر الخضراء والشموس
على بساط الغرفة المسحور

مرثية الى المدينة التي لم تولد

تطن بالناس وبالذباب
وُلدتُ فيها وتعلمتُ على أسوارها الغربة والتجوابِ
والحب والموت ومنفى الفقر في عالمها السفليِّ والأبواب
علَّمني فيها أبي قراءة الأنهار
والنار والسحاب والسراب
والرفض والإصرار
علّمني الإبحار
والحزن والطواف
حول بيوت أولياء الله
بحثاً عن النور وعن دفء ربيعٍ لم يجيء بعدُ
وما زال ببطن الأرض والأصداف
منتظراً نبوءة العراف
علّمني فيها انتظار الليل والنهار
والبحث في خريطة العالم عن مدينة
مسحورة دفينة
تشبهها في لون عينيها وفي ضحكتها الحزينة
لكنها لا ترتدي الأسمال
وَخِرَقَ المهرج الجوّال
ولا يطن صيفها بالناس والذباب

حجر السقوط

لم تولدي ، أيتها الذئبةُ ، من لوحات بيكاسو
ولا من زبد الأمواج
لم تشهدي الحلاج بعد الصلب وهو في قميص الدم
متوجاً بالشمس
ووهج العتمة في الأصوات
أو تسمعي الألوان وهي ترتدي عباءة الساحر في اللوحات
أو تهربي في عربات الغجر الرُّحَّل أو تُغتصبي تحت سماء النار
كنتِ وما زلتِ طعاماً فاسداً
كيساً من اللحم وعينين بلا أجفان
تفاحةً معطوبة تنهشها الديدان
نهداك ضامران
تلاقيا وافترقا على قديد الجسد المقوّس المهترىء المهان
وأنت في العشرين
ما زلت تزحفين
تضاجعين بائع الحليب والممثل الفاشل والمهرج البطين
فتشبهين دورة المياه
والملك السعيد في صباه
وهو على حجر المربي لا يرى الأصوات
أو يسمع الألوان
أيتها الذئبة ، يا مدينة مفتوحة تجتاحها الجرذان

ثلاثة رسوم مائية

- ١ -

تتفجر الأضواء عبر مخاضة اللون القتيل على الجدار
رحلتْ ولكن الربيع على الوسادة لا يزال
مستلقيا عريان تغمره الظلال
رحلتْ كما رحل النهار
لكنه رش النجوم على النوافذ وهي لم تترك سوى هذا الرماد
يا سندبادُ ألم تكن يا سندباد
تغزو المرافىء والقلوب مُخلِّفاً في كل ميناءٍ سفينك في اشتعال
فعلام أطفأت الذبال ؟
ورحلتَ أو رحلتْ ، كما ارتحل المجوس الى الجبال
وعلام كفّ القلبُ في صمت البحار عن الحوار ؟
وماتت المدن البعيدة والمرافىء والنهار ؟
ووجوه حوريات اعماق البحار ؟

- ٢ -

ماذا يقول العندليب ؟
للسائرين بنومهم ، ماذا يقول العندليب ؟
غدرت بك الألوان والدنيا كما غدرت بعاشقها لعوب

ورحلتَ وارتحلتْ كما ارتحل المجوس
بلا طقوس
هرباً من الظلمات والأموات والليل الطويل
ومخاضة اللون القتيل
فعلام كاشفت الوجود ؟
ووقعت في شرك الوجود
متفجراً من داخل الأشياء منفياً تموت
ومدمراً في كل ميناء حياتك في غياب الآخرين
ومطارداً للنور في هذا الكمين
يا أيهاالوثنيُّ ، يا قلبي الحزين

- ٣ -

تتنكرين بزي ساحرة وفي ورق الخريف أميرةً تتقنَّعين
وتضاجعين البرق في قاع البحار وفي الجبال غزالةً تتراكضين
وعلى وجوه العاشقين فراشةً تتراقصين
ومع الطيور تهاجرين
وعلى زجاج نوافذ المقهى وفي ليل الشوارع تشعلين
نار الحنين
وعلى سطوح منازل المدن البعيدة تمطرين
وأنا أموت كقطرة المطر الحزين
متنكراً بقناع أعياد الطفولة أو عناد الرافضين

متحسساً رأسي وأنت مع القوافل ترحلين
وتمارسين السحر في الواحات كاهنةً وفي سعف النخيـل تلوِّحين
للسائرين بنومهم والهائمين
وتضاجعين الميتين
وتهوِّمين وتختفين
وإلى بلادك ترحلين
وأنا أموت كقطرة المطر الحزين
على وجوه العابرين

كتابة على قبر السياب

أصعد أسوارك ، بغداد ، وأهوي ميتاً في الليل
أمد للبيوت عيني وأشمُّ زهرة المابين
أبكي على الحسين
وسوف أبكيه إلى أن يجمع الله الشتيتين وأن يسقط سور البين
ونلتقي طفلين
نبدأ حيث تبدأ الأشياء
نسقي الفراشات العطاش الماء
نصنع من أوراق كراساتنا حرائقْ
نهرب للحدائق
نكتب أشعار المحبين على الجدار
نرسم غزلاناً وحوريات
يرقصن عاريات
تحت ضياء قمر العراق
نصيح تحت الطاق(١)
بغداد ! يا بغداد يا بغداد
جئناك من منازل الطين ومن مقابر الرماد

(١) الطاق : هو إيوان كسرى الواقع بالقرب من بغداد ، وقد كنّا نذهب إليه - ونحن صغار - صائحين تحته فيردّد صدى ما كنّا نقوله

نهدم أسوارك بعد الموت
نقتل هذا الليل
بصرخات حبنا المصلوب تحت الشمس

عن الذين يرفضون

« تمثيل دور الذي يمثل »

أكتب ما رواه لي مؤلف المأساة
وبطل القصيدة
وجوقة الإنشاد
والبهلوانات ومرضى الجنس والمهرجون ولصوص العالم الصغار
والعاشقات وبنات الليل والأسياد
وخدم الأسياد والحراس
أعرضه مثل خيال الظل في لوحات
لكنني أحجم قبل اللحظة الأخيرة
وقبل أن يُفتَتَحَ الستار
فبطل القصيدة
سيق إلى السجن بدعوى قذف
وجوقة الإنشاد
فرّت الى مدينة أخرى لكي تبكي ضحايا
فيضان النهر
والآخرون رفضوا أدوارهم وغيّروا فصلين في المأساة
واختصروا الحوار
أما أنا فلم أزل والنور في المسرح لا يزال
أبحث عن ممثلين يقبلون هذه الأدوار

قصائد حب
على بوابات العالم السبع

عين الشمس

أو تحولات محيي الدين بن عربي في ترجمان الأشواق

- ١ -

أحمل قاسيون
غزالة تعدو وراء القمر الأخضر في الديجور
ووردةً أرشق فيها فرس المحبوب
وحملاً يثغو وأبجدية
أنظمه قصيدة فترتمي دمشق في ذراعه قلادة من نور
أحمل قاسيون
تفاحة أقضمها
وصورة أضمها
تحت قميص الصوف
أكلم العصفور
وبردى المسحور
فكل اسم شارد ووارد أذكره ، عنها أكنّي واسمها أعني
وكل دار في الضحى أندبها ، فدارها أعني
توحد الواحد في الكل
والظل في الظل
وولد العالم من بعدي ومن قبلي

-٢-

كلمني السيد والعاشق والمملوك
والبرق والسحابة
والقطب والمريد
وصاحب الجلالة
أهدى إليّ بعد أن كاشفني غزالة
لكنني أطلقتها تعدو وراء النور في مدائن الأعماق
فاصطادها الأغراب وهي في مراعي الوطن المفقود
فسلخوها قبل أن تذبح أو تموت
وصنعوا من جلدها ربابة ووتراً لعود
وها أنا أشدّه فتورق الأشجار في الليل ويبكي عندليبُ الريح
وعاشقات بردى المسحور
والسيد المصلوب فوق السور

-٣-

تقودني أعمى إلى منفاي عينُ الشمس

- ٤ -

تملّكتني مثلما امتلكْتها تحت سماء الشرق
وهبتها ووهبتني وردة ونحن في مملكة الرب نصلّي في انتظار البرق
لكنها عادت إلى دمشق
مع العصافير ونور الفجر
تاركة مملوكها في النفي
عبداً طروباً آبقاً مُهيأً للبيع
وميتاً وحي
يرسم في دفاتر الماء وفوق الرمل
جبينها الطفل وعينيها وومض البرق عبر الليل
وعالماً يموت أو يولد قبل صيحة الموت أو الميلاد

- ٥ -

أيتها الأرض التي تعفنت فيها لحوم الخيل والنساء
وجثث الأفكار
أيتها السنابل العجفاء
هذا أوان الموت والحصاد

-٦-

قريبة دمشق
بعيدة دمشق
من يوقف النزيف في ذاكرة المحكوم بالإعدام قبل الشنق ؟
ويرتدي عباءة الولي والشهيد ؟
ويصطلي مثلي بنار الشوق ؟
أيتها المدينة الصبية
أيتها النبية
أُكتِبَ الفراق والموت علينا ، كُتِبَ الترحالْ
في هذه الأرض التي لا ماء لا عشب بها لا نار
غير لحوم الخيل والنساء
وجثث الأفكار

-٧-

لا تقترب ممنوع
فهذه الأرض إذا أحببت فيها حَكَمَ القانون
عليك بالجنون

- ٨ -

عدت إلى دمشق بعد الموت

أحمل قاسيون

أعيده إليهـا

مقبلاً يديهـا

فهذه الأرض التي تحدها السماء والصحراء

والبحر والسماء

طاردني أمواتها وأغلقوا عليّ باب القبر

وحاصروا دمشق

وأوغروا عليّ صدر صاحب الجلالة

من بعد أن كاشفني وذبحوا الغزالة

لكنني أفلتُ من حصارهم وَعُدتُ

أحمل قاسيون

تفاحةً أقضمها

وصورة أضمها

تحت قميص الصوف

من يوقف النزيف ؟

وكل ما نحبه يرحل أو يموت

يا سفن الصمت ويا دفاتر الماء وقبض الريح

موعدنا ولادةٌ أخرى وعصر قادم جديد

يسقط عن وجهي وعن وجهك فيه الظل والقناع

وتسقط الأسوار

عن وضاح اليمن والحب والموت

- ١ -

يصعد من مدائن السحر ومن كهوفها وضاح
متوجاً بقمر الموت ونار نيزك يسقط في الصحراء
تحمله إلى الشآم عندليباً برتقالياً مع القوافل السعلاة
وريشة حمراء
ينفخها الساحر في الهواء
يكتب فيها رقيةً لسيدات مدن الرياح
وكلمات الحجر الساقط في الآبار
ورقصات النار
ينفخها في مجلس الخليفة
فتستحيل تارة قصيدة
وتارة لؤلؤة عذراء
تسقط عند قدمي وضاح
يحملها إلى السرير امرأة تضج بالأهواء
تمارس الحب مع الليل وضوء القمر المجنون
تهذي، تغني، تنتهي من حيث لا تبدأ، تستعيد
تعود عذراء على سريرها خجلى من الليل وضوء القمر المجنون
تفتح عينيها على رماد نار نيزك يسقط في الصحراء

وريشة حمراء
يَنْفُخها الساحر في الهواء
فتستحيل تارة غزالة
قرونها من ذهب وتارة كاهنة تمارس الغواية
ولعبة النهاية
في حرم الخليفة
وليله المسكون بالأشباح والملالة

- ٢ -

لم أجد الخلاص في الحب ولكني وجدت الله

- ٣ -

قَبّلْتُ مولاتي على سجادة النور وغنيتُ لها موَّال
وهبتها شمس بخارى وحقول القمح في العراق
وقمر الأطلس والربيع في أرواد
منحتها عرش سليمان ونار الليل في الصحراء
وذهب الأمواج في البحار
طبعتُ فوق فمها حبي لكل ساحرات العالم النساء
وقُبلَ العشاق
بذرتُ في أحشائها طفلاً من الشعب ومن سلالة العنقاء

- ٤ -

من أين جاءت هذه الأشباح ؟
وأنت في سريرها تنام يا وضاح
لعلها نوافذ القصر ، لعل حرس الأسوار
لم يغلقوا الأبواب

- ٥ -

رأيت في نومي على نهديك نهر الموت
يشق مجراه بلحم الصمت
وكلب صيد ينهش النهدين
وطائر السمان
يبدأ في رحيله عبر مدار غربة الإنسان في العالم والأشياء
ووجه عبدٍ من عبيد القصر
يطل من عيني ومن مرآة هذا الفجر
مقبلاً نهديك في نومي رأيت العبد
ممدداً وعارياً فوق سرير الورد
مبتسماً للغد
من أين جاءت هذه الأشباح
وأنت في سريرها تنام يا وضاح
لعله الواشي الذي أراح واستراح

لعله الخليفة
أطلقَ في أعقابك العبدَ وكلب الصيد والكابوس

- ٦ -

من قبل أن يولد في الكتب
وفي الروايات وفي الأشعار
عطيل كان كائناً موجود
تنهشه عقارب الغيرة يا وضاح
من قبل أن يُولد في الكتب
عطيل كان قاتلاً سفاحْ
لكن ديدمونة
في هذه المرة لن تموت
أنت إذن تموت !
أنت إذن تموت !

- ٧ -

عطيل في عمامة الخليفة
يواجه الجمهور
بسيفه المكسور

- ٨ -

لم أجد الخلاص في الحب ولكني وجدت الله .

- ٩ -

متُّ على سجادة العشق ولكن لم أمت بالسيف
مت بصندوق وأُلقيتُ ببئر الليل
مختنقاً مات معي السر ومولاتي على سريرها
تداعب الهرة في براءة تطرز الأقمار
في بردة الظلام
تروي إلى الخليفة
حكاية عن مدن السحر وعن كنوزها الدفينة
ويدرك الصباح ديدمونة

- ١ -

نغتصب العالم بالشعر وبالثورة والوعيد
والموت والرحيل
نسقط أعياء على أرصفة التاريخ
نذبل في مناجم الفحم وفي أقبية الجليد
نموت واقفين
نموت في غربتنا ، لكننا نولد من جديد
من رحم الليل ومن لحم جبال الأرض
متوجين بعذاب الرفض
وحاملين صولجان الشمس
نغتصب الفجر بليل العالم الطويل
نبحر ميتين
لمدن المستقبل البعيد
نرفع فيها راية العصيان
نموت في سجونها أحياء
نصنع للتاريخ كبرياء

-٢-

جراحنا كفت عن الصراخ
مدينة صارت ونهرا باحثا في رحلة الموت عن الضفاف
وحجراً أسود في مملكة الخرائب
تغسله الأمطار
وأملاً يقبع في ضفاف يأس البشر الفانين
وغجرياً يذرع الأرض على حصانه الحزين
بحثاً عن النور وعن عائشة في مدن المستقبل البعيد
يموت في غربته ، لكنه يولد من جديد
طفلاً بلا حصان
يمد مرعوباً من النهار والليل ومن تعاقب الفصول والأزمان
يداً إلى لحم جبال الأرض
وعريها النائم في خيمة نار الشرق
والغسق المطفأ فوق قمم الجبال والسطوح
وصوتها المبحوح
ينفخُ صدر سفن البحارة الموتى وأعشاب كهوف النور
وجزر الياقوت

-٣-

لعندليب قمر البكاء
للزمن الذي يفرُّ هارباً وينقش الأسماء

في حجر النار على دفاتر الطفولة الزرقاء
للأمل المقبور
لثورة الأنهار في غربتها ووحشة الجسور
نبحر ميتين
من مرفأٍ لمرفأٍ نهيم
ونحرق السفن
فكل ما كان وما يكون لم يكن

- ٤ -

ماذا تقول الوردة الحمراء للبلبل في حديقة الشتاء

- ٥ -

عانقني في الحلم غطى جسدي المحموم بالورود
وقبّل الورود
أحسستُ أن الأرض غطت وجهها بالنور
ووقع المحذور
فيدُهُ امتدت إلى حديقتي وأحرقت في نارها الورود
وأيقظت من نومها الطيور
وقطرات المطر الأحمر والزلزال والبروق

-٦-

مجوس هذا العصر في غربتهم يبكون
لم يظهر النجم ولكن ظهر السادة واللصوص
وشعراء الحلم المأجور
وأغمدوا سيوفهم في جثث الأطفال
وفقراء المدن الجياع
وحرّفوا شهادة الأموات
والكتب المقدسة

-٧-

من أين يأتي النور ؟
ونحن في كل العصور حجر الطاحون
نستبدل الأغلال بالأغلال في الطابور
يبيعنا الطغاة للطغاة والملوك للملوك
لكننا نظل صامدين
نموت واقفين
نبحر واقفين
لمدن المستقبل البعيد
نغتصب العالم بالموت وبالثورة والرحيل
نموت في غربتنا لكننا نولد من جديد

نحب من جديد
نرفض من جديد
نثور من جديد
نسقط في حبائل الملوك والطغاة من جديد
نذبحُ في ساحات حرب الآخرين
نُطلق النار على الإخوة والأعداء
نحمل جرحانا على جباهنا وندفن الأموات
بلا تواريخ ولا أسماء
نقيم في قبورهم أحياء
نستأنف المسيرة الكبرى من الموت إلى الميلاد
نظل في كل عصور البؤس والضياء
معلقين بخيوط الأمل السوداء
منتظرين النار والطوفان

-٨-

يا فقراء العالم المنهوب
اتحدوا !
يا فقراء العالم المنهوب

- ١ -

قوارب الصيد وبرتقالة الشمس على الأمواج
محضورة بالنار
وطائر من ذهب يغمس في الموج جناحيه ويهوي ميتا عبر رمال الشاطىء الحمراء
وطرق موحشة للبؤس فيها مدن تهيم في الليل غراماً ومن الحب نهاراً ترتدي قناع
تستر عريها وتبكي في انتظار الليل والنهار
وقفتُ في أبوابها ملتاع
قال دليلي إنها مدائن الإبداع
فخُذْ مفاتيحك وافتح كل باب وانتظر في آخر الأبواب
ولتغتصب بوردة الحب نهار العالم النائم في الأعماق
ولا تبح بالسر فالرياض في « شيراز »
مغسولةٌ باللازورد ودم العشاق
والفجر في أعماقها مختبىءُ في عتمة الأوراق
قال دليلي واختفى بين كنوز مدن تذبلُ في الشمس وصوت العاشق الفقير في الصحراء
لكنني عرفت أسماء النجوم ورحيل البحر في قوارب الصيد وأبجدية الضياع

ولغة المطر
وأربعاء النار والرماد
وصرخة العاشق في وحدته مستنجداً بقوة الأشياء

-٢-

قهرت في شبابه الجسد
لكنه كان كنهرٍ هائج مأسور
حطم في اندفاعه السدود والجسور

-٣-

متيم قلبي بكل شيء
بجسد الوردة ، باللحم الطري الحيْ
بالموت والبحر وروح الليل
ومعجزات الفجر

-٤-

يطن قلبي في قفير النحل

-٥-

صرختُ في منازل مقفرةٍ دارت بها الرياح
أكلت برتقالة الشمس وفي دمي توضأتُ وصلَّيت إلى الصحراء
عمود نور لاح لي وواحة خضراء
يرتع في قيعانها سرب من الظباء
وعندما فوقت سهمي كي أُصيب مقتلاً منها ومن بقية الأشباح
توارت الواحة والظباء في السراب
وارتفع النور إلى السماء
واكتنفتني ظلمة وصاح بي صوت من القيعان
أتيتَ قبل موعد الوليمة

تنتظر الموت لكي تموت
فعُد إلى رياض « شيرازَ » وبوابات مستحيلها وانتظر المكتوب
وسقطت دمعة إنسان من الأفق على وجهي وغـطت مشهد الغـروب
وكلمات الصائح المجهول
والتمعت كنوز ليل العالم النجوم
تكتب أسماء العصافير على لوح من الطين وسنديانة عجوز
تواجه الصحراء والبحر وتبكي كلما مر بها العشـاق في أزمنة السقـوط
هزرتها، فسقطت أوراقها وغمرت مشارف الصحراء بالرموز :
زخارف وكلمات ودم ونور
تحرث أرضاً سحقت جبينها مجاعة السنين
والمطر العقيم

-٦-

أتيت قبل موعد الوليمة
وبعد أن تفرق الضيوف

-٧-

شطرت برتقالة الشمس إلى نصفين
وهبت نصفها غراب البين
ونصفها الآخر ألقيت به في البحر
فاشتعل البحر ولكن حبيبي لم يَعُدْ، لنجمع النصفين

-٨-

قبّلتُ شباك « الحسين » وغسلت الحجر الأسود بالدموع
نضوت في مواكب العزاء

طفولتي مستنجداً بقوة الأشياء
بفقراء الأرض
ومعجزات الفجر
تهدل النور على الرياض في « شيراز »
وفتحت أبوابها ورفرفت فراشة زرقاء
تطير فوق سورها وفوق وجه العاشق الفقير
صحا لكي يتبعها لكنها اختفت وراء السور
تاركة وراءها خيط دم يمتد في خمائل الأصيل
ناديتها :

عائشة!

عائشة! لكنها لم تسمع النداء
ولم تر العاشق في جحيمه يزحف نحو النار
منتظراً في آخر الأبواب

- ٩ -

«رحلتنا تمت » دليلي قال « فالاسكندر الكبير
غزا بلاد فارسٍ والهند
لكنه لم يجد الينبوع
فعاد محموماً إلى بابلَ كي يموت
أصابه مس من السحر على تخوم هذا العالم المسحور »
قال دليلي وبكى وخضَّلت لحيته الدموع
وسقطت فوق زهور الأرض
فأصبحت حمراءَ قال انها علامة القيامة »
« وشارة الإمامة »

-١-

أيقظني في الليل
غناءُ عصفور فأوغلت مع العصفور
في الغيهب المسحور
لم تستطع سجنَ الربيع آه في بستانها
رأيت غُصناً مزهراً يطل في الديجور
عليّ من فوق جدار النور .
بكيت ؛ فالربيع مرَّ ثم عاد وأنا ما زلت في بوابة البستان
مُصلياً لغُصْنِهِ المزهر، للنور الذي يأتي من الداخل، للألوان
وحاملاً نذري إلى عاصمة الخلافة
وحجر الحكمة والخرافة
لعل نجم القطب
يصير لي جسراً على نهر جحيم الحب
فأعبر الصحارى
أمشي وراء ناقتي والفجر قُدامي إلى بخارى
أعود منها حاملاً نذري إلى دمشق
مطارداً وجائعاً للحب .
أكتب فوق سورها معلقاتي العشر .

أعقر في بوابة البستان ناقتي وأمضي هائماً في الفجر
ممرغاً وجهي بعطر الزهر
مخبئاً وراء قاسيون
موتي وموت المدن الأخرى التي أصابها الطاعون
وقمر الطفولة المجنون

-٢-

خبأتُ وجهي بيدي
رأيت
عائشةَ تطوف حول الحجر الأسود في أكفانها
وعندما ناديتُها هوت على الأرض رماداً وأنا هويت
فنثرتنا الريح
وكتبت أسماءنا جنباً إلى جنب على لافتة الضريح

-٣-

سينتهي النهار
عما قريب ، ضمني بين ذراعيك وخُذْني نحلة عطشى إلى الأزهار

سينتهي النهار
بين ذراعيك وبين البحر والسماء والصحراء
قالت ومدَّت يدها للنار
فاحترقت سفينةٌ في بحر « قزوينَ »
وغاصت في دم الأمواج
وفتحت للبدويِّ وهو في غربته الأبواب

فسار لا يلوي على شيءٍ وراء كوكب الصباح والناقة والسراب
فوق سرير هذه الأرض التي تنهار
لتلد الرجال والأفكار

– ٤ –

وا أسفاهُ ذهبت صيحاتنا سدى

ـ ٥ ـ

تعرّت الأشجار
وسقطت أوراقها وكنستها الريح
ونحن في المنفى غريبا غربتين نرتدي الأكفان
نبحث في المعنى عن المعنى وفي سفر الخروج لم نجد بوابة البستان
ولا تعازيم سقوط مطر الأسفار
ولم نجد عشتار .
كانت خيام الحب في الصحراء
منهوبة والبدوي حولها يداعب الرباب
وكانت الغزلان
مذعورة تبحث في مصيدة الموت عن الغدران .
قالت وكنا نبرح « اللوڤر » مأخوذين
غريب غربتين
أنتَ فَخذني نحلةً عطشى وَضُم هذه النحلة في المابين
بكيت فالربيع في باريس
يُولد مرتين . .
في شكل امرأة

ترهص بالبراعم الخضراء والضياء والمطر
تضحك هازئة

- ٦ -

شاة بلا قلب يداوون بها المجنون

- ٧ -

رسائلي وكتبي أحرقها الفاشست
من قبل أن أكتبها في القلب
وختموا فمي بشمع الصمت
لكنني هربت من عاصمة الخلافة
مطارداً وجائعاً للحب
وقاتلاً مقتول

- ٨ -

في زمن الفوضى وعصر الرعب
أشعلت نار الحب

- ٩ -

وا أسفاه ذهبت صيحاتنا سدى

- ١٠ -

للغة القبيلة القادمة الجديدة
لوثن القصيدة
أتبع موتي حاملاً رأسي إلى الخليفة
في طبقٍ
فلتمطر السماءْ
دماً وأرجوان

-١١-

كنا حبيبين طريدينِ وملعونَين
ما بين نارين وعالمين
نكابد الغربة في المابين

-١٢-

أواه ما أقسى عذاب الحب
حين يغيب في سماء الليل نجم القطب
وحين يعوي الذئب

-١٣-

لا أستطيع شرح سر قمر الصحراء
وضحكات الجن في مدافن القبيلة
خواتمٌ تلمع في الظلمة قالت وبكت كم ليلةٍ إليك
نظرتُ من كوةِ قبري وأنا أغالب الأرق
وجسدي يغسله الفجر وخدي فوق خد الأرض
وفمها فوق فمي

لا أحد جاء

ولا ذهب

من بحر « قزوين » إلى حلب
أنام في أرجوحة القمر .
وسكتت ونحن في « اللوفر » ضائعان
في زحمة البشر

نَسير في أعقابهم أموات
نبحث عن أصواتنا في ضجة الأصوات
نبحث في المعنى عن المعنى وفي سفر الخروج لم نجد
بوابة البستان
ولا تعازيم سقوط مطر الأسفار
ولم نجد عشتار
وكانت الشمس الربيعيَّة
تصبغ في حمرتها أشجار باريسَ الخرافية
ـ جميلةٌ أنت
وقبَّلتُ فم الأرض وقبلت يد الأشجار
ـ جميلةٌ
وطار عصفورٌ وحطّ ينقر البذار
فاقتربت عائشة وداعبته فلوى منقاره وطار
أحس بالمطر
من قبل أن يسقط في الشوارع المشمسة المعطار
سنلتقي في الساعة العشرين
قالت
وكنت ميتاً داخل نفسي
ضائعاً
مستلباً
طريد
مرتحلاً وعائداً وحيد
أمشي وراء ناقتي وغصنُها المُزْهرْ قدّامي إلى باريس

قصائد حب
على بوابات العالم السبع

- ١ -

أشرد من دائرة الضوء الى الواحات
أهبط من منازل الكواكب الأخرى إلى « اللوفر »
مأخوذاً
بسحر العالم المخبوء في اللوحات
بالطائر الأعمى الذي يطارح الغرام
أنثاهُ في الظلام
بالكلمات وبنار الغسق المطفأَة الزرقاء
بوجه « بيكاسو » وراء واجهات الزمن الضائع
والغابات
بلمسة الفرشاة
على أديم جسد المرأة والوردة والسماء
بصيحة المهرج السوداء
وهو يرى قناعه يغرق في « اللوار »
أعود للبيت – وفي رأسي ضجيج مدن الأمطار

وعنكبوت النار

أغلق باب غرفتي منتحراً بالغاز

- ٢ -

عرفتُ ، يا حبيبتي ، كل سجون العالم القديم

لكنني اكتشف الآن سجون العالم الجديد

والقهر والاذلال في الأزمنة الحديثة

والموت في أقبية المدينة

وغرف الفنادق اللعينة

عرفت : كيف استبدل الطغاة

جلودهم في زمن الهزيمة

ولبسوا أقنعة جديدة

ورددوا الأغنية القديمة

رأيت ، يا حبيبتي ، كل طغاة العالم القديم

كيف ينامون ويأكلون

كيف يحبون ويضحكون

كيف يموتون وينتهون

لكنني ، أكتشف الآن ، طغاة العالم الجديد

في زمن الطوفان
وثورة الانسان
تبدلت أقنعة الممثلين ، وقع العالم في براثن
الملقن القابع في الظل وتحت رحمة المهرجين :
بائعي الأنقاض
فقتلونا قبل أن نحب ، يا حبيبتي ،
وصبغوا المسرح بالدماء

- ٣ -

هاجمني اللصوص في باريس
وانتزعوا دفاتري وخضبوا بالدّمْ
مكعبات النور والأسفلتْ
وتركوني ميتْ
لكنني نهضت ، يا حبيبتي ، قبل طلوع الفجر
أحمل زنبق الحقول وعذاب الحرف
ونار هذا العصْر
للوطن المفتوح مثل القبر

- ٤ -

« أركاديا » من بعد « نيسابور »

علقها الساحر في خريطة العالم في دبوس
أحاطها بسور
تفتح الجرح وسال الدم فوق كتب السحر وفوق
جسد العاشق والمعشوق

ضاجعها وانتزع الدبوس
وأطفأ الفانوس
فَمَن يدق البابِ؟ فالمجوس
عادوا إلى بلادهم تحت ظلال سعف النخيل
يبكون وتبكي الريح

« أركاديا » من بعد « نيسابور »
ما أوحش الليل وما أشد بخل النور
في هذه الشوارع الصماء والبيوت
فالحب والحياة والموت على أبوابها ممنوع

– ٥ –

قدمتُ أوراق انتسابي لرسول الرب
وقوميسار الشعب
من أجل أن تشرق شمس الله
على الغد المسكون بالخوف وبالأشباح
لكنه سلّمني لغرف التعذيب والسجون والبوليس

والنفي والتشريد
فالعملة الرديئة
قد طردت في مدن الأزمنة الحديثة
العملة الجيدة الجديدة
وعور «روما» طردوا أشرافها وطردوا
العشاق والثوار
ونصبوا الأحذية المثقوبة
والرمم الصلعاء والأبواق

- ٦ -

من أين يأتي الحب يا حبيبتي ، ونحن محكومون بالإعدام
ونحن في السيرك وفي حديقة الحيوان
واللغة المومس والتاريخ والأوهام
والعقم واليباب
محاصرون منذ ألفي عام
نحاول الخروج من دوائر الأصفار

- ٧ -

أحمل كل ليلة من جبل « القفقاس » هذي النار
أصرخ بالبوقات
ومدعي الثورات

في الوطن الغارق في البؤس من المحيط للخليج

والنوم والصلاة

أسعد حالاً هذه الدواب

وهذه الطبيعة الصامتة الخرساء

من فقراء المدن المرضى ومن حثالة الأموات في الأرياف

لكنني أُصلب عند مطلع الفجر على الأسوار

من كتابات

بعض المحكومين بالإعدام
بعد سقوط كومونة باريس

- ١ -

وُلدتُ في عصر الخيانات وفي أزمنة العذاب والثورات
كان أبي عبداً على محراثه مات وكنتُ شاعراً جوال
أصطاد في طفولتي فراشة القمر
فوق سطوح مدن النحاس
أدق في غيابها الأجراس
أحفر في قصائدي نفق
إلى سماء قريتي الزرقاء
مهاجراً مع الطيور ولغات كتب الثوار .
وُلدتُ مأخوذاً وكانت قدمي الريح وقلبي في يد الأقدار
مطرقة حمراء .
رأيت في تكهُّن الغيب وفي طوالع النجوم
وفي تصاريف الليالي طائراً مفترساً يأتي مع الفجرِ
فينقضُّ على القطيع
ممزقاً أوصال هذي المدن الشوهاء في عاصفة الرعد وفي
مخالب الحديد
وغارساً منقاره في لحمها المسنون

وباسطاً جناحه فوق حطام العالم القديم .
رأيت أعوان ملوك العالم الصغار
وأوجه الطُغاة
مذعورةً تحاصر الثوار
وطائر الرعد بلا جناح
يطلق صيحةً ويهوي ميتاً بطعنةٍ من خنجر مسموم

- ٢ -

كان أبي عبداً على محراثه مات
ولكني على مقصلة الجلاد
مستشهداً أموت

- ٣ -

لترتفع راياتُ كومونةِ باريس
لينهض فقراء الأرض من جديد

- ٤ -

دم على الكنائس القوطية الحمراء
دم على الأجراس
دم على قصائد الأمطار واللوحات
دم على دفاتر الأطفال
دم على باريس
يهطل مدراراً على بيوتها ويسقط الجليد

-٥-

أفك في قصائدي الحصار
عن هذه المدينة المذبوحة البالية الأطمار

-٦-

ثانيةً سيُقبل المُخلّص المسيح
لكنه في هذه المرة يأتي من بلاد الليل والثلجِ ومن وراء هذا الحائط المرصوص
ها أنذا أراه في الغيب وفي بوابة المستقبل البعيد
يحمل سيفاً بيدٍ وغصن زيتونٍ بأُخرى باسطاً صليبه فوق حطام العالم القديم

- ٧ -

لتحترقْ باريس
فحبنا جرحٌ وهذا الدم في سمائها نبوءة الحريق

- ٨ -

دسّ ليَ الحارسُ في السجن كتاباً أسودَ الغلاف
كان بلا عنوان
يحكي عن القديس أوغسطين
ومعجزات طائر الرعد وآيات نبيٍ غامضٍ في الصين
خبأتُهُ تحت قميصي وشكرت الحارس الغارق في الصمتِ وفي معطفه المنسول

جفت دموعي قبل أن تُولدَ في العيون .
كتبتُ في حاشيةَ الكتاب
رسالةً لامرأةٍ مجهولة
أحببتُها في زمن الطفولة
قلتُ لها أيتها البحيرة المسكونة
بكلمات الحب والنجوم والأسماك
قلت لها الوداع !
كتبت في دفاتر الموت لها تميمه
مُقبلاً عيونها الخضراء
قلتُ لها وانقطع الزمن
وهبط الملاك في باريس
ونهض الموتى من القبور
يبتهلون لمسيح العالم الجديد .
ينتظرون القادم المجهول في قصائد الحب وفي أجنة الربيع
متوجاً بالنار والصقيع .
قلتُ ولكن يدَ القديس أوغسطين
باركت الجنين
في بطن مَنْ أحببتُها في زمن الطفولة .
كتبتُ في دفاتر الموت لها رسالة طويلة
تحكي عن العذاب والحضور
ومعجزات النور

- ٩ -

لترتفعْ راياتُ كومونةِ باريس
لينهضْ فقراء الأرض من جديد

- ١٠ -

كان الفراق الموت
يأتي مع الفجر ليستخرج من صندوق هذا الجسد الجواهر
والأمل المسافر
وشعلة الحياة
يأتي مع الجلاد
يحمل ميراث عصورٍ أحرقتْ طغاتها صواعقُ الميلاد
وقاهرُ الطبيعة الانسان
فلتحملي أماه
نعشي على فراشة البرق الى الحقول والغابات
ولتنثريني في الضحى رماد
في مدن الجوع وفي أزمنة العذاب والثورات
أولدُ من خلال هذا العالم الواعد بالطوفان من جديد
مع الملايين التي عذّبها انتظارها الطويل
من أجل أن تنهضَ فوق هذه المدينة الشهيدة
كومونةً جديدة

مرثية الى أخناتون

مدينة الشمس التي تنام تحت الليل والأنقاض
تجوب في أطلالها الموحشة الخرساء
ساحرةٌ شمطاء
تبكي على الأحجار
وغرف الدفن التي بارحها الأموات والأحياء
من قبل أن يضطجعوا فيها وأن يستكملوا رسوم معبوداتهم
على التوابيت وفوق ذهب الجدران
وقبل أن يرتحلوا في سفن الشمس الى السماء
كانوا هنا لكنهم عادوا الى « طيبة » حاملين
متاعهم وعربات موتهم ولعنة حلّت بهم وطاردتهم دون أن
يواجهوا ضربتها العمياء

مرتلين للإله العاشق المنفي أخناتون
شعائر السحر وأغنيات حب فاجع ملعون
تمخضت أعياده فولدت نبوءة
ورمماً بلا حنوطٍ وبلا أكفان
تهيم في العراء
تغزل ثوب النار والدخان
منبوذة تبكي على الأطلال
بسبب الجريمة

لا تقبل الآلهة الصلاة والقربان
والنيل لا يمنحنا هباته وبركات مائه المقدس الطهور
والشمس في رحيلها تصبغ في « طيبةَ » بواباتها المائة
وتضع التاج على رأس إله عاشق جديد
سوف يموت قبل ان يكتمل البدر وقبل أن يفيض النيل
وقبل ان تخلع ثوب حزنها « إيزيس »
فما الذي تقوله النبوءة ؟
وما الذي دوّن أخناتون ؟
على نقوش قبره المنهوب
لا شيء غير نُذُر الآلهة الغضبى وصمت الحجر النائم في
وادي الملوك تحت كثبان رمال الأبد السحيق
وأغنيات العاشق المنفيِّ في مملكة الموت وفي غياهب العصور :

يا أيها المعبود
أنت الذي يعيش في الحقيقة
ممجداً مباركاً قدوس
تصعد في طفولة النهار
وموته الفاجع في الكهولة
من أفق الشرق الى الغرب على عباب بحر النور والبخور
متوجاً بزهرة اللوتس والثعبان
حياً جميلاً خالداً معبود
وعاشقاً معشوق
شمس النهار أنتَ في جلالك العظيم

وضعتَ نيلاً في السماء وصنعت منه أمواجاً على الجبال
تسقط والحقول
إنك في قلبي ترى مدائن الموت وأهراماتها والبحر والسحاب
إنك لا تموت
إنك لا تفنى الى الأبد
إنك لا تعطش في سفينة الشمس ولا تجوع
ولا يدب الشيب في شعرك أو تُنفى الى أصقاع موت النور
تحترق السماء من أجلك والنيل على غدائر الأرض وفوق
صدرها الحنون

يلثم اطرافك في جنون
يفيض بالسحر وبالغموض
يمنح معشوقاته الجواهر الحمراء
والنار والنجوم والأطفال
يحمل أوجاعي الى البحر وحزن البشر الفانين
قلتُ وكان الملك الأعمى على عصاهْ في المنفى يدب
في صحارى الغرب

يلمح في منفاه نار الرب
وطرقاً أخرى الى مدينة الشمس تؤدي والى أطلالها تقود
وشبحاً في غرف الدفن يُعيد رسم معبوداته ، حلّتْ به
اللعنة ، فاستحال تمثالاً من النحاس
يشير في ازميله نحو الصحارى باحثاً فيها عن النار وعن
ملامح الانسان

في الطقوس والشعائر السحرية المنقوشة بالكتابة المسمارية على الواح نينوى

- ١ -

أحبني آشور بانيبال
مدينة بنى لحبي وبنى من حولها الأسوار
ساق إليها الشمس بالأغلال
والنار والعبيد والأسرى ونهر الجنة الفرات
أحبني وكان نصف قلبه مأسور
في قاع بئر العالم المسحور
ونصفه الآخر في آشور
تأكله النسور .
عاصفة كان وفأساً في يد القدر
تهوي على جماجم الملوك والقلاع والمدن .
أحبني لكنني أواه لم أكُن
أحبه فماتت الأشجار
وجف نهر الجنة الفرات
واختفت المدينة
والنار والشعائر السحرية
وحلّ في مكانها ديكٌ من الحجر

يصيح عندما يعود فارس الحديد من مملكة الموتِ على ظهر جواد الريح والمطر
يبحث عن وجهي وعن ضفائري في مدن السحر وفي طلاسم الكهان في معابد الغسق
منتظراً ولادتي في قاع بئر العالم المسحور
غزالةً تعدو وراء عربات النفي في آشور

- ٢ -

يبيعني النخاس في سوق الرقيقِ وأنا مريضةٌ بالحب
أحلم بالقرُنفُل الأحمر في حدائق الفرات
وهو يغطي جسَدي المسكون بالموت وبالحياة
وصرخات طائر مفترس يموت في الأعماق
منتحراً وغارساً منقاره في جسد الأشياء

- ٣ -

أحبني الساحر والشاعر والمحارب
قدّم قرباناً . . . بنى مسلة
دوّن في متونها رُقاه
وحركات الريح والكواكب
ونفحات الطيب
دوّن أسماء زهور وطني البعيد
بكى على قبري ورشّ دم طفل يافع ذبيح
قبلني وكنت في ذراعه عاريةً أصيح .

واقتلعوا عينيه
وكان في انتظارهم آشور بانيبال
في قاعة المرايا
ممتشطاً لحيته وغارقاً في النور

- ٤ -

جارية أباعُ في الأسواق
في مدن الشرق التي يجتاحها الإعصار
انتظر المخاض.

- ٥ -

لعربات النفي في آشور
لملك العالم ، للشمس وللسنابل الخضراء
للطائر المقدس المحبوس
في العالم السفليِّ تحت قاع هذا الجبل المسحور
للنار والطقوس
لجسد الأرض الذي يُبعث تحت قبلات الصيف للفرات
أحمل آثار سياط السبي

في مملكة الرب

وفي مملكة الانسان

أبحث عن « تموزَ » في قصائد الشعر وفي الألواح
أضفر إكليلاً من القرنفل الاحمر

في تشردي ،

وكان ضوء القمر الأحمر في آشور
يصبغ وجهي ويدي ويغمر الضريح
فدبَّت الحمرةُ في خدي ودبَّ الدمُ في العروق
بكلمات سحره الأسودِ أحيا جسد الطبيعة الميِّتِ والجذور
وفجّر السحاب والبروق
فأرعدت وأبرقت ومطرت سماءُ ليل العالم الزهور
وسرحت شعري يد الريح وحام حول نهدي جائعاً عصفور
وحطّ فوق جسدي المصعوق
يبحث في حديقة الرؤيا عن الياقوت
والنار والينبوع
قالَ ،
وكنتُ
أطرد العصفور
عني وعن ضفائري : أيتها السروةُ
يا عشتار
والرّبةُ الأمُ وطقس الصحو والأمطار
يا مَنْ وُلدت من دم الأرضِ
ومن بكاء « تموز »
على الفرات
لنهرب الليلة عبر هذه الجبال
في زي راعيين
لكنه لم يكمل الحديث فالجنود
داسوه بالأقدام

لرأسه المقطوع

أنام في محارة مع الحصى والنور
والسمك الفضيِّ والأعشاب
في قاع نهر كوكب مهجور
أكتب في الألواح
نبوءةً تحل لغز الجوهر القاهر للموت وللهيولى
أعانق المخيفَ والجميلا
أرى على الشاطىءِ
نسراً جاثماً فوق غزالْ

وأرى آشور بانيبال

يطعن في حربته شمس الغروبِ ، وأرى
الأسرى على مشانق الإعدام
معلقين في ظلام الغسق المخيف
وكاهناً يرتل الصلاة :

رب الجنودِ
أرميا النبي ـ قالْ
هكذا سأدَع القُوّادْ

والأمراء يثملون وينامون الى الأبد
رب الجنود هكذا يقول
فما الذي كنتُ لموتي وأنا سبيّةٌ **أقول** ؟
وما الذي خبأهُ القدر ؟
في هذه الليلة تحت قدم الوحش الذي يربضُ في بوابة المجهول

الكابوس

- ١ -

عدتُ الى جحيم « بيكاسو » وليل الزمن الموغل في قصائدِ
العشق على قبر ملوك الحجرِ الساحر والألوان
وبهلوانات حريق الصمت في اللوحات
أبحث عن مملكة الإيقاع واللون وعن نسائها المتوجاتِ
بزهور الشمس في « شيراز »
أتبع موت الطائر المهاجر
وشاعر الذاكرة الجديدة
في كتب المستقبل البيضاء
وملكات المسرح المقنعات بنبيذ الخبز والأشعار
أحلم في عصر فضاء النور والانسان والقيثار
وسندباد مدن الكواكب الأخرى على شواطىء الذاكرة الجديدة
يجرفه التيار
يحمل في قاربه نبوءة الرياح
ووردةً ذابلةً مصبوعةً بالحبر والنبيذ
تكشف عن حضارة غارقة في قاع بحر اللون والإيقاع
يصعد من كهوفها المهرجون وبنات الماء والطيور
وخدم الفنادق
والعاهرات والرجال الجوف
يزدحم العميان والمرضى على أبوابها باكين
وباحثين في القواميس وفي المعاجم

عن لغة المستقبل المسكون بالكابوس
وجثث الملوك والآلات
وحاسبات نبضات القلب والنقود
يتبعهم كلب له رأسان
يأكل مَنْ يسقط منهم مَيّتاً ويترك الباقين
لكي يجفوا ويموتوا في جحيم مدن الطاعون
محترقين بشموس الطين

- ٢ -

كان على بوابة الجحيم «بيكاسو» وكان عازف القيثار في مدريد
لملكات المسرح المغتصبات يرفع الستارة
يعيد للمهرج البكارة
يخبىءُ السلاح والبذور في الأرض إلى قيامةٍ أخرى وفي منفاه
يموت في المقهى وعيناه الى بلاده البعيدة
تحدقان من خلال سحب الدخان والجريدة
ويده ترسم في الهواء
علامة غامضة تُشير
الى السلاح والى البذور
وعازف القيثار في مدريد
يموت كي يُولدَ من جديد
تحت شموسِ مدنٍ أخرى وفي أقنعةٍ جديدة
يبحث عن مملكة الإيقاع واللون وعن جوهرها الفاعل في القصيدة

يعيش ثورات عصور البعث والإيمان
منتظراً ،
مقاتلاً ،
مرتحلاً مع الفصول ، عائداً لأمه الأرض مع المتوجين
بعذاب النور
والرافضين وبناة مدن الإبداع
في قاع بحر اللون والإيقاع

- ٣ -

ينبتُ ريشُ الشاعرِ النبي والمجنون
في زمن الولادة العسيرة
والموت والثورة والحصار
يسقط ريش الشاعر المرتزق المأجور
في زمن الإرهابِ والسقوط
يسقط ريش الملك الطاووس
وهو على سريره يمارس العادة أو يخون
يسقط ريش خدم الفنادق
والعاهرات والرجال الجُوف
وهم على الأبواب واقفون
لكي يجفوا ويموتوا في جحيم مدن الطاعون
محترقين بشموس الطين
يتبعهم كلب له رأسان
يأكل مَنْ يسقط منهم ميتاً ويترك الباقين

- ٤ -

لسيدي أكتب ما أراه في خارطة التكوين
وكتب المستقبل الساكن في الماضي وسفر العودة ـ الخروج

ـ ٥ ـ

تهاجر الطيور في منتصف الليل الى شواطىء النهار
وأنت في جحيمك القطبي لا تذعن لليل ولا تنهار
تقاوم الصقيع والكابوس
تصنع للانسان في سقوطه ذاكرةً جديدة

هوامش

● محيي الدين بن عربي : فيلسوف ومتصوف عربي كبير ولد بمرسية وهي بلدة من بلاد الأندلس وانتقل الى اشبيلية في الثامنة من عمره فقرأ بها العلوم على مشاهير عصره ، ثم سافر الى مصر ودمشق وبغداد وجاور مكة وأقام في بلاد الروم طلباً للعلم والسياسة . وكانت وفاته بالشام وقبره بالصالحية في مسجد يعرف باسمه في سفح جبل قاسيون .

وهو يقول بوحدة المحبوب وإن تعددت صوره و « عين الشمس » هو لقب « النظام » الفتاة التي أحبها وجعل من الأشياء والصور مسارح تتجلى فيها صفات الحق وأسماؤه ثم عاد فجعل من « النظام » عيناً لتلك الصفات والأسماء ، فكل صفة وجودية ندركها في الأشياء إنما هي تجل خاصّ من تجليات هذه الفتاة . وقد كتب من أجلها ديوان شعره « ترجمان الأشواق » .

● وضاح اليمن : وضاح لقب غلب عليه لجماله وبهائه واسمه عبد الرحمن بن اسماعيل . مات أبوه وهو طفل . كان وضاح اليمن يرد مواسم العرب مقنعاً يستر وجهه خوفاً من العين وحذراً على نفسه من النساء لجماله . وكان يهوى امرأة من أهل اليمن يقال لها « روضة » . فلما اشتهر أمره معها خطبها فلم يزوجْها وزوجت غيره ، فمكثت مدة طويلة . ثم أتاه رجل من بلدها فأسر اليه شيئاً فبكى ، فقال له أصحابه : مالك تبكي ؟ وما خبرك ؟ فقال : أخبرني هذا ان روضة قد جذمت وانه رآها قد ألقيت مع المجذومين .

ورُوي أن أم البنين امرأة الوليد بن عبد الملك قد عشقت وضاحاً ، فكانت ترسل اليه ، فيدخل اليها ويقيم عندها ، فإذا خافت وارته في صندوق وأقفلت عليه . وذات يوم أسر أحد عبيد القصر الى الوليد أن وضاحاً يقيم عند أمِّ البنين . فجاءها الوليد وقال لها : هبي لي صندوقاً من هذه الصناديق . قالت : كلها لك يا أمير المؤمنين . قال : لا أريدها كلها وإنما أريد واحداً منها . فقالت له : خذ أيها شئت . قال : هذا الذي جلست عليه . قالت : خذه يا أمير المؤمنين . فدعا الخدم وأمرهم بحمله . فحمله حتى انتهى به الى مجلسه ، فوضعه فيه . ثم دعا عبيداً له فأمرهم فحفروا بئراً في المجلس عميقة . . ثم دعا بالصندوق ، فقال : يا هذا، إنه بلغنا شيء إن كان حقاً فقد دفناك ودفنا ذكرك وقطعنا أثرك الى آخر

الدهر ، وإن كان باطلا فإنا دفنا الخشب وما أهون ذلك . ثم قذف به في البئر وهيل عليه التراب وسويت الأرض . وجلس الوليد عليه ، ثم ما رئي بعد ذلك اليوم لوضاح أثر في الدنيا . . وروي : ما رأت أم البنين لذلك أثراً في وجه الوليد حتى فرق الموت بينهما .

● أركاديا : كل مكان أو منطقة يسود فيها السلام والبساطة والسكينة الريفية ، وقد اشتق الاسم من منطقة في البلوبونيز في اليونان القديمة .

● الرقم سبعة قد تواتر ظهوره في الدين والأساطير والسحر وذلك منذ الألف الثالثة قبل الميلاد . مثال ذلك الملحمة البابلية الخاصة بالخلق ففيها ذكر للرياح السبع وأرواح العواصف السبع والأمراض الخبيثة السبعة وأقاليم العالم السفلي السبعة والمناطق السبع للعالم العلوي والسماء وغير ذلك ، وكذلك وجود سبعة كواكب سيارة تؤثر في عالمنا الأرضي تأثيراً فعالاً .

● عشتار : هي الطبيعة الهيولي وآلهة الحب وسلطانة الظفر وآلهة الملذات والتناسل وفي وظيفتها الأولى كانوا يرسمونها راكبة أسداً أو ثوراً ورأسها مكلل بتاج مرصع بنجوم .

وما (الزهرة - فينوس) العذراء الإغريقية التي ظهرت فوق أمواج بحر « إيجة » الزرقاء إلا عودة الى الظهور ، فبكارتها الطاهرة كانت إدعاء ، واسمها لم يكن جديداً ، فما كانت سوى عشتار الكلدانية بهجة البشر والآلهة التي أسكرت آسيا منذ قرون خلت .

● الينبوع : هو ينبوع الحياة أو الجوهر المقدس الذي إذا اغتسل فيه الانسان قهر الموت . وقد بحث عنه الاسكندر المقدوني دون جدوى بعد أن تسنى له فتح العالم ، فعاد محموماً ، ليموت في بابل .

● أرواد : جزيرة صغيرة قريبة للساحل السوري ، تواجه مدينة طرطوس .

● نينوى : عاصمة آشور .

● آشور بانيبال : آخر ملوك نينوى ولم يكن هذا الملك القوي غازياً فاتحاً فحسب ، بل كان أيضاً محباً للعلوم والفنون . وقد قام بترجمة بعض كتب السحر والعرافة عن السومرية والأكادية بعد تأليفها بنحو ثلاثين قرناً . وقد استطاع ان يستعيد كثيراً من تماثيل الآلهة التي ظلت في الهياكل الأجنبية نحو ألف وثمانية

سنة . وقد ذكر لنا آشور بانيبال هذه الأخبار في كثير من مخطوطاته .

على أن المكتبة الوحيدة التي أسسها آشور بانيبال في قصر قويونجيك بنينوى تركت من لوحات الآجر كتلة لا تقل مساحتها عن مائة متر مكعب تكفي سطورها لتملأ ما لا يقل عن خمسمائة مجلد ، كل منها يحوي خمسمائة صفحة من القياس الكبير، وكانت هذه الألواح موضوعة في غرف القصر . وقد روى لايارد A. H. Layard وهو منقب انكليزي ولد في باريس في سنة ١٨١٧ وتوفي سنة ١٨٩٤ الذي اكتشف هذا الكنز التاريخي والأدبي العظيم أنه رأى هذه القوالب مبعثرة في عدة غرف مركومة بعضها فوق بعض . وأكبر جزء من هذه المكتبة يوجد الآن في المتحف البريطاني .

كتاب البحر

ركعتان في العشق لا يصح وضوؤهما إلا بالدم

الحلاج

تحولات نيتوكريس في كتاب الموتى

- ١ -

أكتب تحت قدم الأميرة العاشقة الكاهنة المعبودة التمثال أشعاراً
وفوقي القمر المصري في عباءة النجوم يلتف
وعبر الهرم الكبير يستلقي.
وفي الحدائق الوحشية الحمراء
محموماً على سجادة النور أنام ميتاً
وجسدي مصر وشعري النيل
محموماً أنام ميتاً وشفتي فوق فم الأميرة التمثال
محموماً وعيني ترصد السماء في تكوينها
وحركات الريح في الصعيد
والنخيل في الواحات
والطيور في وادي الملوك
تتبع الكاهنة العذراء في المدافن السرية المنهوبة الكنوز
فوقي القمر المصري
والسمان في هجرته الأولى الى منابع الشمس
وأنت ترصدين جسدي مصر وشعري النيل
أنت وأنا معتنقان
عاشقان التقيا من بعد ألف سنة في التيه .

- ٢ -

قدمتُ لها في القداس الأول والثاني والثـالث
خبز الجسد ، الخمر ، القبلات .

- ٣ -

ها أنذا عارٍ عريَ سماء الصيف الأبدي
البحر ، المنفى ، الصحراء الكلمات

- ٤ -

أقـوم بعد المـوت من قبرهـا
مرتـديـاً عبـاءة الشمسِ
وزهـرة الصبّار
في الضوء إذ تذوي أسى
تاجٌ على رأسي
تعويذتي الأهرام في صمتها
وساحرات مدن الأمسِ
أتبعها مغامراً رائياً
مقتحماً دائرة القوس
وحاملاً ناري وقيثارتي
وعالم الضياء والبؤس

تقول أهواك وتذوي على
حديقة الصبَّار في نفسي
فراشة يصطادها ساحر
تموت بعد اللمس في الضوءِ
مرّت على وجهي ومرّت على
منازلي حاملة موتي
تاركة خيط دم في الضحى
يمتد من بيتٍ الى بيت
أقول للسماء في عُريها
هل أنت نيتوكريس ؟
هل أنتِ ؟

- ٥ -

زمن للحب أتى وستأتي أزمان للموت

- ٦ -

لم يبق لنا إلا الصمت

- ٧ -

ترحل الشمس الى البحر
وفي يدها خصلة شعر الملكة

وقناعٌ وثني ودم
سال فوق الطرقات المهلكة
وأنا الكاهن في معبدها
تركتني فوق أرض المعركة
أرتدي أقنعتي منتحراً
قاتلاً حبي وحب الملكة

- ٨ -

يختبيء القمر
في شعرها وزنبق السماء
ويحمل الشفق
عبير هذا العالم المغسول بالمطر
وبعد أن ينسدل الستار
أبكي وأنا أصغي إلى العصفور في الأفق يغني
عاشقان التقيا من بعد ألف سنة في التيه
كنا ههنا نمارس الحب وكنا
آه كم أحب عينيك
وكم أحب أن أقبل الربيع في جسمك
والحديقة المعطار في شعرك
عبر الهرم الكبير
محموماً أنام ميتاً وجسدي مصر وشعري النيل
محموماً أنام وأنا أحلم في تدمير هذا العالم القديم

في إحراق هذا الوثن الصامت
في الفرار والرحيل من جحيم هذا الأسر نحو مدن الله
وفي الحلول في الثورة
في نسف جسور الموت
في الرقص على الأنقاض
في إغراق هذا المركب المليء بالجرذان
في العودة للظهور بعد الموت
في الحضور في العالم
في الرحيل للكواكب الأخرى على ظهر جواد الشعر
في البكاء تحت قدم العاشقة الكاهنة المعبودة التمثال
تحت مطر الخريف والسمان في هجرته الأولى الى منابع الشمس
وأنت في مهب الريح تبكين
وأنت وأنا نعبر بوابات هذا العالم المكتظ بالجنود والمنتحرين والمجانين
وبالموتى وبالأصفار والمرضى وبالمنتظرين
آه كم أحب عينيك وكم أحب أن أنام
في الحدائق الوحشية الحمراء
فوق ذهب النهدين
فوق سرة النهر أنام ميتاً
وجسدي مصر وشعري النيل .

- ٩ -

زمن للحب أتى وستأتي أزمان للموت

الأميرة والغجري

- ١ -

أدخل في عينيك
تخرجين من فمي
على جبينك الناصع أستيقظ
في دمي تنامين على سرير أمطار صحاري التتر الحمراء
مجنوناً أناديك بكل صرخات العالم الوحشية السوداء واللغات
كل وجع العاشق في قاع جحيم المدن
العاشق والولي والشهيد
في دمي تنامين
أنا أدخل في عينيك
أهوي ميتاً فوق سرير النار
أستلقي على صدرك في الحلم
تنامين على الأهداب
مجنوناً أناديك
على صدرك أستلقي
على صياح ديك الفجر في مملكة الله وفي مملكة السحر وفي
أصقاعها أواصل الرحيل

- ٢ -

مهاجراً يموت
حبي على أسوار هذا اللهب الكامن في عينيكِ
في صمتك ، في صوتك ، في جبينك
الممتقع المسحور

- ٣ -

حبي أغنيةٌ كتبتها ساحرةٌ فوق معابد عشتار
في فجر الانسان الأول قبل الألف الثالث من آذار
بعد الطوفان وقبل النَّفي إلى الصحراء

- ٤ -

من صحراء التتر الحمراء
من باريس إلى صنعاء
كانت عربات الغجر السعداء
تمضي حاملةً مولاتي وأنا خلف العربات
عطشي يقتلني ، جوعي ، فأضم غزالة
شمس الواحات
وأضم العالم في كلمات

- ٥ -

مجنوناً كنت أنادي باسمك كل الأسماء
كل المعبودات وكل زهور الغابات وكل الّربات
كل نساء العالم في كتب التاريخ وفي كل اللوحات
كل حبيبات الشعراء
مجنوناً كنتُ أنادي الله

- ٦ -

أعود من مملكة الله ومن مملكة السحر على أجنحة النهار
مجنوناً أناديك
بكل صرخات العالم الوحشية السوداء واللغات
كل وجع الأرض إلى الأمطار والشموس في ليل شتاء مدن العالم
مجنوناً أناديك
وفي بيروتَ أو بغداد أو باريس
عن عينيك عن وجهك في قصائد الشعر وفي واجهة المخازن الخضراء
في شواطيء البحار والغابات
عن عينيك عن وجهك في اللوحات والرسوم
مجنوناً أناديك
على جبينك الناصع أستيقظ في منتصف النهار

أستلقي على صدرك
في أصقاع عينيك
وفي سمائها أواصل الرحيل .

- ٧ -

حبي أكبر مني
من هذا العالم
فالعشاق الفقراء
نصبوني ملكاً للرؤيا
وإماماً للغربة والمنفى

- ٨ -

باسمك ، مجنوناً ، كنت أنادي الله

- ١ -

سيدة الأقمار السبعة في داخلها ترحل تستخرج ياقوت نهار الأسطورة ـ تحلم بالنجم القطبي ـ وفي ذاكرة الزمن الموغل في عربات الغجر الساعين وراء المطر الفرح ـ النور ـ تغني لليل الإغريقي وللنهر الوحشي القادم من طوروس ومن هضبات النوم بتركستان ـ تغني سيدة الأقمار السبعة ـ كانت ترحل في داخلها ـ ولنجم قبيلتها في البحر الأسود كانت في الحلم تصلي ـ قالت : أهواكَ وقالت : رحل الإغريق ، وجاءت سفنٌ غطّت وجه البحر ومدّت للأرض جسوراً قالت : أهواك ـ سنرحل عن هذي الأرض لباريس بهذا الصيف القادم من هضبات النوم بتركستان ـ وقالت : بدأ الموت بهذا العالم يفقد معناهُ ـ فمي ياقوت نهار الأسطورة فوق فم الليل ـ ونجمُ القطب على نافذة البحر يضيءُ ـ وأنت بعيدُ عني ـ وأنا في الحلم أراك على أرصفة المدن البيضاء تسير وحيداً ـ وتموت وحيداً في الغربة والمنفى ـ قالت : أهواك ـ وقالت ـ سيدة الأقمار السبعة في داخلها ترحل ، لكني كنت أراها في ضوء نهار العالم ، في الشارعِ ـ قالت : بدأ الموت بهذا العالم يفقد معناهُ وأنت بعيد عني وأنا عنك بعيدة

- ٢ -

مملكتي وخرائط أجدادي
تمتد وتمتد
وأنا أنتظر المد

- ٣ -

في « طيبة » ذات البوابات السبع ، العرّافة
قالت لا تنظر للخلف
الوردة قالت للصيف
وأنا فوق جوادي عبر البحر الأبيض
أتبع صوت العرّافة
للجزر اليونانية

- ٤ -

« ميلانو » غرقت في البحر

- ٥ -

قال النهر الوحشي القادم من طوروسَ ومن هضبات النوم بتركستانَ لسيدة الأقمار السبعة : يا قمر الحب ، تعاليْ نهرب عبر جبال الليل لباريسَ ، تعاليْ نركب أمواج البحر - الإغريق - الجزر اليونانية مدت للأرض جسوراً رحل البحر

وميلانو ظهرت من بين الأشرعة البيض ـ تعاليْ نهرب عبر جبال الليل ـ تعاليْ ـ قالت : أهواكَ ومدّت يدها للقمر المصلوب على بوابة بيت الزوج النائم كالدب القطبي على أطراف الصحراء ـ وقالت : بدأ الموت بهذا العالم بفقد معناهُ ـ ومدّت يدها الأخرى نحوي ـ سقط النيزك في الغابة ، أحرقَ كل الأشجار ـ الجزر اليونانية تغرق في دمعي هيلين تغني فوق الأولمب ـ تعاليْ ـ ركضت نحوي ، والتقت الأيدي ـ ووقفنا تحت الأسوار ـ المدن الطينيةُ تبكي والصيف الهنديُّ الأحمر فوق جواد الشمس السوداء ـ وأنت بعيدٌ عني وأنا عنكَ بعيدة .

- ٦ -

العرّاف الأعمى
يقرأ في مرآة البحر الأبيض
طالع مولاتي
سيدة الأقمار السبعة

أحمل موتي وأرحل

- ١ -

ناديتُ غزالة حبي في الصحراء الليبية - في العهد الملكيِّ البائد - كان البوليس ورائي - فاجأني البحر الأبيض بالجزر المخبوءةِ تحت لسان عروس الماء وتحت عيون الأسطول السادس - كنت وحيداً - كان البوليس ورائي - والليل الملكيُّ - ولارا تسبح في البحر الأسود - في سوجي - وخزامى في إربدَ - في ضوء بنادق حرب التحرير الشعبية للأرض الحبلى بالثورة ترنو وتصلي - فاجأني البحر الأبيض - كنت وحيداً - أبحث في الصحراء الليبية عن مفتاح المدن المنسيّة في خارطة الدنيا - لارا تنشر في الريح ضفائرها - ترقص في الغابات الوثنية - تمضي عائدة للفندق بعد عناق البحر - وفي منتصف الليل عشيق آخر ينسل إليها .

ويُعريها

ويُقبل عينيها

ويقبِّل نهديها

ويقول لها نفس الكلمات

وتقول له نفس الكلمات

(أحبك)

لارا ـ هي والآخر

كانت تبكي ، فالبحر سيأخذ منها الآخر

كانت تبكي ويدي تمتد إليها ويد الآخر

وفمي في فمها وفم الآخر

ودمي ودم الآخر

وحياتي وحياة الآخر

كنت وحيداً ـ يا حبي المدفون بقاع البحر الأسود

يا شمس ربيعي في الغابات الوثنية ـ يا حبي

كان البوليس ورائي ـ في الصحراء الليبية ـ

في العهد الملكي البائد ـ في قاع الدنيا

فاجأني البحر الأبيض

- ٢ -

يحمل العاشق في غربتهِ

موته ، تاريخه ، عنوانه

وعذاباً كامناً في دمه

وحضوراً أبدياً كانه

- ٣ -

يتفرق الأحباب قبل صياح ديك الفجر

في المدن الكبيرة يرحلون ويتركون

ما تترك العربات فـوق الثلج : ها هي ذي السماءُ
زرقاء من بعد الرحيل
والشمس تشرق من جديد فوق أشجار الحدائق والبيوت

- ٤ -

« لارا » و « خزامى »
في صحراء الليل الوثنية أشعلتا النار

- ٥ -

« لارا » رحلت بعد رحيلي
ضاعت في زحمة هذا العالم
في غابات البحر الأسود والأورال
عادت للأرض المسحورة تذرعها
في قداس رحيل الأمطار
و « خزامى » نذرتْ للبحر ضفائرها
ولنجم الميلاد
وأنا حطمت حياتي
في كل منافي العالم
بحثاً عن لارا وخزامى
وعبدت النار
مارست السحر الأسود في مدنٍ ماتت
قبل التاريخ وقبل الطوفان

واستبدلت قناعي بقناع الشيطان
ظهـرت لي لارا وخـزامى في مـوسـيقى الأشعـار
في حـــرف السين وحرف الهاء وحرف التاء

- ٦ -

برحيلي رحلت كل الأشياء

- ١ -

الله والقيثار في لهفتي
إليهما أوقدتُ نار الدليل
برّح بي العشق وها أنني
أموت في بوّابة المستحيل
أدرج بالأكفان لكنني
أقوم بعد الموت في كل جيل
أحمل أوراقي مع الريح والـ . . .
عشب إلى مدائن العاشقين
أوقظ مولاتي من نومها
وعندليب قمر الياسمين
أصرخ بالموتى وأعدو على
ظهر جواد ساحرات الأصيل
أصنع من غدائر الليل الـ .
أطفال أقماراً وللمبحرين
أموت في طائرةٍ فوق مد . . .
ريد وفوق قمم المستحيل
محترقاً في طرق المُنتهى
وحاملاً نار عصور الجليد
وفي فؤادي حسرة أنني

سوف أعود عاشقاً من جديد
أختار نفس الدرب ، نفس اللظى
ونفس حبي الرافض المستريب
عنواني البحر وبيتي على
مشارف الصحراء عبر النخيل
رسائلي الطيور في بحثها
عبر مدار الأرض عن أرخبيل
وكتبي الجبال في عُريها
إذ تكتسي عباءة من جليد
ووطني الحرف ومنفايَ لا
أبرح في حضرته أستعيد
كل حبيباتي على سوره
انطفأن أو مُتن كضوءٍ بعيد
غرقن في البحر وعفت على
قبورهن الريح بعد الرحيل
يا مُشعل الليل بأوجاعه
ومالىء العالم قالاً وقيل
العاشق الأعمى بقيثاره
يُرسل خلف الليل هذا العويل
ومدن الطاعون في صيفها
تحاصر العاشق وابن السبيل
كل حبيباتي على بابها
يُولدن أو يمتن مثل الربيع
مُحاصراً ، مُستلباً ، ضائعاً

يـرنو الى البحـر بقلب وجيع
قـالـت أخـاف فـأنـا هـهـنـا
جـارية لسيـدي ، لا أريد
أخـاف قـلبي كـاد مـن خـوفـه
يسقط تحت قـدم العـابـرين
فلنغلق البـاب ومـدّت يـداً
وفتحـت بـوابـة المـستحيـل
أهواكَ قالت ، وانتهى المـ . . .
. . . شهد الأول والثالث بعد المئيين
من أين يأتي النور والليل في
كل الدروب يـرصد العـاشقين
بـرّح بي العشق وهـا أنني
تحت السمـاوات وحيد طـريد
محتـرقـاً في طـرق المُنتهى
وحـاملا نـاري لعصـرٍ جـديـد

- ٢ -

رحلت عين الشمس
رحلت مولاتي
رحل البحر الأبيض
رحلت بيروت
رحل الشارع والمقهى
رحـل الغجري ـ المـطر ـ السحب ـ الكلمـات ـ الضحـك ـ
النور ـ النار

عادوا للوطن ـ المنفى
كي يُولد طفل الأرق ـ الوحشة ـ راقصة العاصفة ـ الشعر ـ القيثار
رحلت مولاتي
فلنرحل يا ديك الجن ـ أمير المنفى وصديق الشعراء ـ الفقراء

ـ ٣ ـ

بيكاسو في المنفى
يُشعل باللون البحر وقصر الكاهنة العذراء
يتسول فوق القمة ضوء الشمس الزرقاء
يجلد ظهر المتسول ، يبكي في نهر الغربة أزمانَ الغرباء

ـ ٤ ـ

رحلت سيدتي تاركة
مُدني عاريةً في العاصفة
وأنا فوق جوادي جالدٌ
صمتها بالكلمات العاشقة

ـ ٥ ـ

يتساقطُ الشعراءُ
تتبع موتها مدن العذاب

وتمد فوق ضريحها قوسا الى الصحراء
في زمن الذي يأتي ولا يأتي وفي عصر الفضاء

- ٦ -

في نهر الموت
يبكي حكمتُ - لوركا - ايلوار
يبكي المتنبي وأبو تمّام
تبكي ليلى المجنون وعائشةُ تبكي الخيام
وأنا أبكي وخزامى تبكي في المنفى الأطفال - الشهداء
في عصر الإرهاب
والعشق - الموت - الثورة - عائشةٌ تبكي
وخزامى - رحلت مولاتي -
رحل البحر الى الصحراء

- ٧ -

يتساقطُ الشعراء والعشاق والثوار في زمن السقوط ويُكسرون
يتعفنون ويذبلون ويهرمون ويُهزمون
لكنهم بعد السقوط على الخرائط يتركون
بصماتهم كشهادةٍ للقادمين

- ٨ -

المُتهم الأول
يتهم المتهم الثاني

- ٩ -

رحلت مولاتي
وأنا تابعها
أتبع موتي
من باريسَ الى بغداد
أحمل في جيبي صورتها وشهادة ميلادي
عشقي - ناري - عشبي - تاريخي - رائحة الأمطار
وجواز السفر المُلغى
أتبعها كالكلب إلى المنفى
ينزف قلبي في كل مطارات العالم
يستجدي شحاذاً قطرات المطر - الرؤيا
في مدن العشق - الحلم - الثلج - الشمس - الكلمات
رحل البدو - الغجر - الطقس - الأم - الربة - عشتار
رحلت تونس - بغداد
وأنا ألعق جرحي وخزامى تضحك ، مولاتي
رحل البحر إلى الصحراء
مَنْ قال بأن القيثار
كان دليلي من قال ؟
السحر الأسود كان دليلي وأبي كان مجوسياً
تبكي ليلى المجنون وعائشةُ تبكي الخيام
وخزامى الربة - عشتار

تبكي عند مغيب النجم طفولة حب ضاع
رحلت مولاتي
وأنا البحر على شاطئها ضاجعت المحار
أفتض بكارة هذا الليل المُلقى كالشال على الأشجار
أحصي دقات قلوب الأعداء ـ الأبواق ـ الأصفار
أتربص في سكيني ، من قال بأن القيثار
كان دليلي من قال ؟
فأنا غاليلو ـ سقراط ـ الحلاج
وأنا الحسن الصبّاح ـ الخيّام
في عصر المدن الأرضية ، عصر السفن ـ الأقمار
أبكي في نهر الغربة أزمان الغرباء .
رحلت مولاتي وخزامى رحلت في عصر الإرهاب
سأظل أحبك أنت النار ـ العشق ـ المنفى ـ تونس ـ بغداد
سأظل أحبك أنت النار الأبدية في عُري الصحراء

- ١٠ -

رحلت مولاتي
رحل البحر الأبيض
رحلت بيروت
رحل الشارع والمقهى
رحل الغجريُّ ـ المطر ـ السحب ـ الضحك ـ النور ـ النار
عادوا للوطن ـ المنفى

- ١١ -

يسائلني العرّاف عن نار بابلٍ
وما خبأت في باطن الغيب بابلُ
وكان على أقدامها النجم ساجداً
وكان على الأسوار حبي يقاتلُ
فصلّيت للنيران في عرصاتها
وقال مغني الحب ما أنا قائل

- ١ -

انتظرتك عشرين عاماً في المنفى دون جدوى
حتى وجدتك في الوطن
أيتها المعبودة ، أيتها الحمامة المقدسة
أنت منفاي ووطني
وقصيدتي المنتظرة
عندما أراك تدب الحياة في عروقي
وعندما تختفين ، تنطفىء النار
والسحابة والبرق والمطر في قلبي
أيتها المعبودة التي قهرت جميع معبوداتي
وتربعت ملكة على عرشهن
امنتُ بك
وبكلماتك
وإبداعاتك التي رأيت في سطورها
شمس العالم وهي تولد من جديد

- ٢ -

لقد هبطت بمعجزات حبك على أرض كوكب جديد
لأكتب على متون مسلاته
ونوافذ عماراته

وأجنحة فراشاته

وخدود نسائه

إنني أحبك

إنني أحبك

- ٣ -

أمارس طقوسي السحرية

على خريطة جسدك في الحلم

وعندما أستيقظ تتفتح ألف زهرة

على صحن خديك الخجلين

فأعود لأمارس طقوسي ثانية

بكلماتي التي أبعثرها

كما يبعثر الساحر رماد كلماته في الهواء

- ٤ -

العاشق الطفل على جواده الناريِّ فوق الكوكب الجديد

يكتشف الغابة والينبوع

وهو على خريطة الجسد

يعكف في الحلم على بحيرة العيون

منتظراً تحولات النور

وصرخة الولادة الجديدة

في جسد الطبيعة

وزرقة السماء في القصيدة

- ٥ -

تأوهات وعناقات : رأيت فرس البحر على الساحل والقمر
مقترباً منها، فأغوته؛ رأيت فمهـا في فمه ويـده في شعرهـا تغيب

- ٦ -

الفرس الحبلى وراء القمر ـ الجواد
تصهل قبل ساعة الميلاد
ليلد البحر عصافير وساحرات
والأرض معجزات

- ٧ -

الوطن الممتد كالقوس من القلب الى القيثار
الوطن الممتد كالسيف من النهر إلى الصحراء
يرهص بالشارات والأصوات
بخضرة الربيع في عينيك بالمخاض
الوطن ـ المنفى من الأعماق
متوجاً يصعد بالشمس وبالأسطورة
الوطن ـ الطفولة
رأيت مولاتي على أطرافه عمود نور يغمر الفرات
تحط آلاف العصافير على أكتافها وتُولد المُدن
بيضاء في الحلم

- ٨ -

مقيداً بالنار والسلاسل
أعود للمنفى مع الطيور والقوافل
منتظراً قيامة الشاعر والساحر والمقاتل
من تحت قوس القلب والقيثار
من تحت سيف النهر والصحراء

- ٩ -

أعبد في عينيك هذي النار
ووجهك الشاحب والضفيرة
والغربة ـ الطفولة ـ الأسطورة

- ١٠ -

عشقتك في المنفى وأنت صبيةٌ
وكان هوانا في الجوانح يكبرُ
فلما التقينا بعد نأيٍ وغربةٍ
رجعنا الى أرض الطفولة نبحر
كأنا وُلدنا من جديدٍ بكوكبٍ
هو الوطن الموعود أو هو أبعد
أقول لعينيك اللتين تلاقتا
بعيني أكان الأمس مرّ أو الغدُ
لقد أقبلت كل العصور وكل ما

هفوت له يوماً وما كنت أضمر
بخضرة عينيك السماء تلونت
وباحت بما تُخفي الطبيعةُ أنهرُ
وقال مغنيها هو الحب فاحترق
فنارك بعد اليوم هيهات تخمد

- ١١ -

حلفتُ بالمعابد المكسوة القباب بالذهب
بالحرف والغربة والسفر
أن أرحل الليلة نحو مدن الحلم
وأبني لك أهراماً على الفرات
في نار عصور البعث والثورة والأمل

- ١٢ -

العشاق الصغار
يمحون أسماء حبيباتهم ويبقون على اسم الأخيرة منهن فقط
أما أنا فلقد أبقيت عليهن ليخدمنك
واذا أمرت فسأطردهن في الحال

- ١٣ -

حتمي أمري الحرف
قدري ، ناري الحرف

وطني ، منفايَ الحرف
نظري في قلبك ، نوري الحرف
فلتقتبس الحرف ، كما تقتبس النار من النار
أنت السيد والمولى
وأنا بك أولى
فإذا أرسلتك تنظر في أمر الحرف
فلتُخرج ألفاً من باء
باءً من باء
ألفاً من ألف
مولاتي خامرها الخوف
فإذا جاء الليل
فلتفتح أبواب القلب
ولتُطلق عبدك من أسر الحرف
فأنا خادمُ مولاتي
عاشقها
تابعها
في الوطن ـ المنفى

ـ ١٤ ـ

قلبي هرم خوفو الكبير
أراك تضطجعين في مقصورته الملكية
ماسةً مشعةً منذ آلاف السنين

وأنا عبدك   أقبل يدك
وأحرس كنوزك الإلهيَّة
وأرعى الغزلان في حدائق قصورك
الغارقة في النور

- ١٥ -

خيط الدم الذي ينزف من قلبي
يمتد من باريس الى عتبة بيتك

- ١٦ -

لقد عدت الى الوطن
لكي أحبك

عن موت طائر البحر

الى ذكرى أرنستو
تشي غيفارا

في زمن المنشورات السريةِ
في مدن الثورات المغدورةِ
« جيفارا » العاشق في صفحات الكتب المشبوهة
يشــوي مغموراً بالثلج وبالأزهار الورقية
قالت وارتشفت فنجان القهوة في نهمٍ
سقط الفنجان لقاع البئر المهجور
رأيت نوارس بحر الروم تعودُ
لترحل نحو مدار السرطان
ونحو الأنهار الأبعد
في أعمدة الصحف الصفراء
يبيع الجزارون لحوم الشعراء المنفيين
العرّافة قالت هذا زمن سقطت فيه الكتبُ المشبوهة
والفلسفة الجوفاء
دكاكين الوراقين
طيور ميتةً
فتعال نمارس موت طيور البحر الأخرى
فوق سرير الحب الممنوع
انتحبت في صمتٍ فالليل طويلٌ
في مدن الثورات المغدورة

والبحر الأبيض في قبضة بوليس الدول الكبرى
يبحث عن أسماء العشاق المشبوهين
رأيتك في روما في زمن المنشورات السرية
بين ذراعي رجل آخر تمضين الليل
بكيتُ ، رآني البوليس وحيداً
خلف نوافذ ملهى القط الأسود أبكي مخموراً
وورائي خيط من نور يمتد لنافذة أخرى
أشبعني الضابط ضرباً
وجدوا في جيبي صورتها
بلباس البحر الأزرق
ترنو للأفق المغسول بنور الغسق الكابي
وبنار الليل القادم من مدريد
يبيع الجزارون لحوم الشعراء المنفيين
رأيتك في مبغى هذا العالم
في أحضان رجال ونساء تمضين الليل
بكيت ، رآني البوليس وحيداً
في مدن الثورات المغدورة
مجنوناً أتحدث عنك
البوليس رآني

العاشقة

- ١ -

كانت تصغي بجوارحها وبعينيها للموسيقى الوثنية
للنهر المتنهد في غابات جبال الأطلس
للمدن الأسطورية
للساعات الضائعة الجوفاء
لثمار الليل الذهبية فوق سرير الأمطار
كانت في أحضان الزوج النائم عذراء
تلعب بالقمر الحافي فوق رؤوس الأشجار
تتبع موت فراشات ربيع مات على طاولة المقهى
وتمد يديها ضارعة
فالموعد فات
والليل على شرفات البحر الأبيض يسترخي محموم النظرات

- ٢ -

بيروت اغتصبت في هذي الليلة في الحانات

- ٣ -

كانت تصغي لكن العاشق مات
في المقهى منتظراً سيدة الأقمار السبعة
في موسيقى « باخ »
وقصائد « ايلوار »
في الأسبوع الرابع من كانون الأول في أعياد الميلاد
كانت تتمنى لو مات العالم
لو زحفت كالكلبة تحت الأمطار
لو ضربت بسياط من نار
لو حُملت قرباً للبحر المستلقي تحت الشرفات
لكن الموعد فات

- ٤ -

كانت تفصلها عني
سنواتٌ من سفرٍ ـ أجيالٌ
أنهارٌ ـ قارّات
كتبٌ
مدنٌ
أسوار
لكني كنت أراقبها من ثقب الباب

سأنصب لك خيمة

في الحدائق الطاغورية

- ١ -

غـزالةٌ تـأتي من البحـر
وزهـرة تـطلع من صـدري
وسـاحرٌ يحمـل في كفـه
صـاعقـة الميـلاد والموت
وخلف سور الليل صفصافةٌ
يغسـل عينيها نـدى الفجـر
تنشـر في الليـل منـاديلها
وتغمس الأوراق في النهـر
تأوي العصافير إليها وفي
غيـابهـا تـنـام في قـلبي
حـاملة بـذور أحـلامنـا
وصبـوات النـور والـزهـر
وكلمـات لم نَـقُلهـا ولـم
تَبُـح بهـا غـزالـة البحـر
أغتصب العـالم فيهـا وفي
حـروفهـا أمـوت في الأسـر
مـرتـديـاً أكفـان كينـونتي

وغسق الميلاد في القبر
وحاملاً للنور قيثارتي
وصاعداً إليك من بثري
أقرأ في نجم الضحى طالع الـ . .
غابات والسحاب والطير
محترقاً منتظراً عائداً
اليك من مملكة السحر
مقبِّلاً وجهك في سحره الـ . . .
غارق في ارتعاشة الثغر
مطارِداً مطارَداً يحتمي
بالأرنب المذعور في الصدر
ينشر في رحيله خصلة
من ليلك النائم في الشعر
يصرخ جوعي ودمي ضارعاً
وكل ما في جسد الأرض
صار فمي فماً إلى الليل والـ .
غابات والأنهار والصخر
حتى كأن الأرض من جوعها
مدت فماً اليك تستجدي
حاملة اليك ياقوتها
وخاتم « اللُبيك » والورد
نذراً وقرباناً وتعويذة
مسكونة بالبرق والرعد
حتى اذا ما اقتربت لحظة الـ . .

عـنـاق فـي مـمـلكـة السحر
وسجـد الساحر في بيتك الـ . .
مـصـنـوع مـن قصائد الشعر
واقتربت يداه من وردة الـ . .
ثـغـر ومـن تـمـيمـة النهـد
ومسّـه النـور بـأقـداسـه
وبـاح لـلعـاشـق بـالسـر
وصاح فوق الطور مستنجداً
غـزالـة عـدت الى البحر
ونجمـة في قـاع نهـر الى
بـلادهـا تعـود في الفجـر
تـاركـة بـذور كينـونـتـي
وجسدي الميت في الأرض
ممـزقـاً محـتـرقـاً داميـاً
تحت سياط الجوع والخوف
أحـمـله كـل مـسـاء الـى
عرافة المعبـد في « دلفي »
أسألها عنك وعن نجمة الـ . .
صـبـاح فـي مـدائـن الموت
تجيب والثعبـان في جيدهـا
لـم تـأت حتى الآن، لم تأت
فـارحـل الى بـلادهـا مـرةً
أخـرى وَبُح للبحـر بالحب

- ٢ -

ماذا قال العاشق للبحر ؟ وماذا قالت عرافة « دلفي »
ماذا قالت للقارىء كفي ؟

- ٣ -

شعراء النصف المظلم من كوكبنا
حين جعلت شراعاً شعرك في الريح
وحين رسمتك في سور الصين
وحين جعلت أريجك ريحاناً وبكيت على أقدامك تحت
الأقمار السبعة في بابلَ أو في جزر الإغريق
وقفوا تحت الأسوار وقالوا ما قالوا في الريح
لكن الريح
مسحت ما قالوا
حين جعلت شراعاً شعرك في الريح

- ٤ -

سقطوا على أسوار مملكة المغني عندما اقتحموا مغاليق
الغيوب

وتوهموا أن الوصول اليك بالكلمات يا أيقونة الحب المنيع
فطغت قصائدهم على ألفاظها وتساقطت فوق السطوح

- ٥ -

ناديت من بئر الشقاء ومن ضفاف المستحيل
فرأيت تحت وسائد الشعراء أنهاراً من الكلمات جاهزة بلا قدم وروح
تسعى الى كل الجهات على البطون
وتْباع فى سوق الرقيق وتُشترى وتُباع في كل العصور
فبكيتِ أن الليل حاصرني وسدّ عليّ نافذة الهروب
وغزالتي في البحر والعرّافة العذراء في « دلفي » وقارئة الغيوب

- ٦ -

رسمتُ عينيك على وسادة الاسكندر الكبير
وشعركِ الشراع فوق السفن البيضاء في إزمير
وقلتُ مَنْ رآكِ ـ والعالم بحرٌ وأنا سفينةٌ ـ أصبح مجنوناً
ومَنْ رآكِ لا يموت
وجهك أوربا وعيناكِ ضياء الفجر في كشمير
وجهك تصوير على بوابة السماء في بكين

رآك بيكاسو تعودين من البحر على ظهر جواد الريح
فاغتصبت ألوانه عينيك بالأزرق والوردي
تحت قبة السماء في أيلول
فهربت ألوانه وأغرقت أحزانها في « السين »
عائدة للبحر في أزمنة التكوين

- ٧ -

سأقول للكلمات كُوني وردةً سأقول للشعراء كونوا صادقين
سأقول للسنوات عودي للحياة تفجري
سأقول كوني وردة لغزالة البحر العشيق
سأمزق الأوراق ، أرمي تحت جسر الليل قنبلةً وأقتل ذلك الوحش العنيد
سأقول للأزهار كوني خيمة لحبيبتي
وسأشعل النيران في المدن الغريقة تحت قاع البحر والورق العتيق

- ٨ -

في وجه المدن الخائنة المومس أرمي قنبلةً
وأحز بسكيني رأس الملك ـ الطاغية ـ الجزار
في وجه الليل الأعمى أقتل نفسي منتحراً
في حانوت الخمار
في وجه الشمس الحمراء

يحمل تابوتي للمنفى الفقراء
في وجه الأرض الحبلى
أسجد مأخوذاً للنار

- ٩ -

سأدق عليك الأبواب
سأدق عليك الأبواب

- ١٠ -

أيتها الثورة ، يا حبي الأول ، يا رايات الأمل الحمراء

- ١١ -

رحلت إزمير في داخلها
تحمل النار الى قاع المدينة
وأنا أحمل موتي راحلا
عبر عينيها وعيني ياسمينة

- ١٢ -

رسمت عينيك على أيقونة العذراء
وشعرك الشراع فوق السفن البيضاء

- ١٣ -

لا تبكِ والعالم بحرٌ فأنا سوف أناديك
وأبكي أيها الدرويش في شيراز
سوف أناديك من المدائن المسبية ـ الممنوعة ـ الفاقدة الذاكرة ـ المنسية ـ المقطوعة الأثداء

- ١٤ -

حدائق الورد التي خبأها في شعرك الظلام
ترحل للبحر مع الشمس وها أنت مع الشمس تغيبين على الأمواج

- ١٥ -

الطفل والعاشق في وجهه الـ آخر يرثي المدن الخائنة
يفر من جحيمها ثائراً ممارساً طقوسه الباطنة
مدمراً حياته حالماً بالمدن الفاضلة العاشقة
منتظراً غزالة البحر والـ مراكب البيضاء والصاعقة

- ١٦ -

محكوم بالإعدام أنا
مع وقف التنفيذ

- ١٧ -

عقوبتي الحياة

سيرة ذاتية لسارق النار

المخاض

- ١ -

قالَ اقتليني فأنا أحبُ عينيكِ
ومن أجلك أبكي
كانت الكنائس القوطية الحمراء في بطاقة البريد
تستحم بالشمس
وبيكاسو غلاف العدد الأخير من مجلة « الحياة »
يرنو لضياء العالم الأخير
قالت لغةُ الوردة في حدائق الليل
على شفاهنا تزهرُ .
منْ يبكي على أسوار هذي المدن ـ الملاجيء ـ القبورِ ؟
منْ يبكي على شطآن بحر الروم في منتصف الليلِ ؟
ومن يفك لغز الوحش في « طيبة » ؟
فالعالمِ في العصر الجليديِّ على أبوابه الجنود
والطغاةُ يحجبونَ بالجرائد الصفراء نار الليلِ
والنبيذ والقيثار .
قالت : بحضورٍ غائب ، مسكونة ، اتبع
موت قمر الثلج على نافذة المدينة ـ الأسطورة
الجميع كانوا يكذبونَ
وأنا بوحدتي مملوءةً ، أسقط أعياءً على

طاولة المقهى
ونارُ الليل في كأس النبيذ تُشعل البحر
أراكِ قادماً من آخر الدنيا ، على شفاهنا
تُزهرُ بعضُ الكلماتِ
ينتهي عذابُنا
لنبدأ الرحلةَ من جديد

- ٢ -

من قبل أن تُولَد في ذاكرة البحر وفي ذاكرة الوردة والعصفور
ماتتْ على نوافذ الفجر وفي دفاتر الوحشة نيسابور
تاركةً حضورها الغائب في حدائق الليل وفي أجنة الزهور
وخصلةً من شعْرها فوق سرير المطر المهجور

- ٣ -

قال اقتليني فأنا أحب عينيكِ
وضاعَ الصوت

- ٤ -

شوارع المدينة
موحشةٌ ، بعدك ، حتى الموت

- ٥ -

كان مذيعُ نشرةِ الأخبار في منتصف الليلِ
يُعيدُ الموجزَ . الأطفالُ كانوا
نائمينَ . كانت
السماءُ حبلى ، شارة غامضةٌ ،
صيحةُ انسـانٍ يمـوتُ في مكـانٍ مـا . رأيتُ البـرق
في حربته يشق جوفَ الليل
والمستنقع الجاثم في أحشائهِ
رأيتُ نيسابور في سريرها عاريةً تضاجع التنينَ
كان وجهها الميت في حنوطه مبللاً بعرق الليلِ
وبالحمى ، رأيتُ بطنها منتفخاً
ويدها تحتضن التنينَ ، تمتد جذوراً في عروق الأرضِ
كانت في سرير المطر - الوجود تلتف ، تنامُ
ومذيع نشرة الأخبار في منتصف الليلِ
يعيد الموجز . انتظرتُ أن تستيقظي أيتها
الكاهنةُ - العذراءُ . فالعالمُ في العصر الجليديِّ
على أبوابه الجنودُ والطغاةُ
يحجبون بالجرائد الصفراء نارَ الليلِ
والنبيذ والقيثار ، لكنكِ
أوصدت بوجهي البابَ والتابوتَ
أغلقت عيونَ الفجرِ

أرسلتِ ورائي العسس ـ اللصوص .
أرسلت كلاب الصيد ، ناديتُك ، ضاعَ
الصوتُ في الهواء . كانوا يكذبون كلما داهمهم
صقيعُ هذا الليل ، كانوا يكذبون ، إنهم
سيدتي ، كلابٌ صيد الملك ـ الأمير . كانوا
يكتبون الشعر عن عينيك والثورة من خلف
متاريس الأمير ـ الورق العتيق ، من خلف
متاريس سفارات ملوك البدو والبترول .
كانوا يكذبون ، إنهم ، سيدتي ،
أحذيةٌ جديدةٌ معروضة للبيع في أسواق « بيروت »
وفي أسواق هذا الوطن الممتد
كالجرح من المحيط للخليج . قالت : لغةُ الوردة
في حدائق الليل على شفاهنا تزهرُ
من يبكي على أسوار هذي المدن ـ الملاجىء ـ القبور ؟
منْ يبكي على شطآن بحر الروم في منتصف الليل
أراهُ قادماً من آخر الدنيا
على شفافه تُزهرُ بعضُ الكلمات
ينتهي عذابهُ
ليبدأ الرحلة من جديد

- ١ -

قمرٌ عراقيٌ على الأشجار يمسح خدَّهُ
ويدق باباً بعد بابٍ دون جدوى
فالأميرة قبل أن يستيقظَ الفقراءُ كانت
في جناح يمامةٍ رحلت
ولم تَقُل الوداع ! فمنْ رآها
فليُبلغها السلام

- ٢ -

كان أمير القمر
فوق جواد النار في سهوب أسبانيا
التي تزحف نحو البحر
يحمل في خاتمه أولاده السبعةَ ، لما مرّ في
جُنينةٍ مسكونةٍ بالسحر
فكمنت صبيةٌ له ، ونادت نجله الأصغرَ
أغوته بتعويذةِ حبٍ ، عَقلت لسانهُ وطلسمت
عيونه بالسر
وعندما همّ بها
همّت به : اختفى

وضاع الولدُ الأصغرُ
في سهوب أسبانيا التي تزحف نحو البحر
ومنذ ذاك الزمن البعيد ، والأمير
يصيح في الليل ، ينادي نجله الأصغر ، والسهولُ لا تجيب

- ٣ -

أكلما مررتُ بالقنطرة
أراكِ يا سيدة النساء
تغتسلين ، وجمالُ وجهكِ الفتان
تمضي به المياه
فلا تظني عندما أغني
بأنني فرحان
فإنني أموت كالعصفور
إن لم أغنِ لكِ ، يا سيدة النساء

- ٤ -

أشجارُ وردٍ غرسوها فوق قبر شاعر مجهول
كانت الى جوارها تأوي العصافيرُ
وتبكي امرأة مجهولة طوال يوم السبت
وعندما جفّ ترابُ القبر
اختفى قناع المرأة المجهولة ، الأورادُ ماتت
والعصافير ؛ وظل القبر
تحوم فوق صمته سحابةٌ مسحورةٌ طوال يوم السبت

- ٥ -

قال انتظريني عند البوابات السبع
سنواتٌ سبعٌ مرت
كبرت أشجارُ الغابة فيها
جفّ النبعْ
والمرأة لم تفِ بالوعدْ
لكنّ العاشق
ظل طوال السنوات السبع
يذهب كل مساءٍ ، منتظراً ، عند البوابات السبع

الزلزال

إلى الشاعر عبد اللطيف اللعبي ورفاقه

- ١ -

تُشرق شمسُ الله في عينيكِ إذْ تغربُ في قوارب
الصيدِ على شواطىء المغربِ
حيث فقراء الأطلس المنتظرون معجزات القمر الولي
في الأضرحة - الطلاسم - الذبائح - النذور ، حيثُ
النسوةُ المكفناتُ بسواد الخرق - الأطمار
حيث الشاعرُ الأندلسيُّ يرتدي عباءة الريح
يطير حاملاً قيثارهُ فوق جبال النوم
فوق المدن المفتوحة ، المقطوعة الأثداء ، حيثُ
القمر الوليُّ في عيون قارعي طبول الملك الأخير
في « قرطبةٍ » يغيب في البحر ،
أراك : تدخلين ملجأ الأيتام
تحملين عصفوراً ووردتين من حدائق « الحمراء »
تبكين على سريرك البارد في منتصف الليل
وفي الصباح من شرفة « أفريقيا »
تُطلين على غُريك من زاوية المقهى
أراك - وأنا أحمل من منفىً الى منفىً
ترابَ الوطن - القصائد الممنوعة - الجرائد السرية - النار ؟
أراك : تعبرين السوق والبوليس في المحضر -
في مَخافر الحدود محموماً يغطي بالدبابيس وبالشمع

وجـوه فقـراء الأطلس ـ الخرائط ـ الـذبـائـح ـ الأضرحةَ ـ النذور
حيث الشاعرُ الأندلسيُّ في سجـون العالم الجديدِ
في زنزانةِ الخليفة الأخيرِ في « قرطبةٍ » يموتْ

- ٢ -

توقفت عائشةً ، فالباص لا يذهبُ في الليلِ
الى كوبـا ، ولا يعود

- ٣ -

كلُ الدروب أصبحتْ بعيدةً ، لكنها مشمسـةً تلوحُ من بعيد

- ٤ -

قالَ أعودُ ـ غارسيا لوركا ـ إذا ما انتصفَ الليل
وفي الوادي الكبير نامت الزهور

- ٥ -

العاشقُ الأندلسيُّ عصبوا عيونَهُ وَقَتلوهُ
قبل أن ينتصف الليـلُ وقبل أن يصيحَ الديك

- ٦ -

قالت رأيتُ الملكَ الأخير في « قرطبةٍ » كانَ
بسيف الخشب المكسور فوق عرشه متكئاً
مكتئباً يهتز مثل ريشةٍ في الريحِ
كان حوله السياف والشاعر والمنجِّم المخصيُّ
في بلورةٍ محدقاً يقول مولايَ

أرى سحابةً حمراء فوق هذه المدينةِ المفتوحةِ
المقطوعة الأثداء ، مولايَ أرى نسراً عظيماً
جاثماً فوقك ـ مولايَ أرى الحريقَ في كل مكانٍ
وجواري القصر والغلمان بالسم يموتون ، أراكَ
عارياً أعمى على قارعة الطريق في « قرطبةٍ » تشحذُ
قالت عندها أومأ للسياف أن يقطعَ
رأسَ الشاعر ـ النديمِ .
مرت ليلةً
وفي الصباح أُحرق المنجم المخصيُّ بالتنور
« مولايَ » انتهتْ
فالباصُ لا يذهب في الليل الى كوبا ولا يعودُ
والجرائد الصفراء لا تحجب وجه فقراء الأطلسِ
المنتظرين معجزات القمر الولي .
قالت ، وبكتْ : في ملجأ الأيتام
كنا نخدع البوليس في منتصف الليلِ
ونمضي حاملين الصحفَ السريةَ ـ القصائدَ الممنوعةَ ـ النار
الى الأضرحة ـ الطلاسم ـ الذبائح ـ النذورِ
حيث النسوةُ المكفناتُ بسواد الخرق ـ الأطمارِ
حيث الشاعرُ الأندلسيُّ يرتدي عباءة الريحِ
ويبكي حبّه الضائع في « قرطبةٍ »
رأيت عصفوراً ووردتين من حدائق « الحمراء » في شَعْرِكِ
كان « اللعبيُّ » يعبر الشارعَ

من منفى الى سجنٍ ومن سجنٍ الى منفىً
تقولين ، أنا أقول أيضاً : « إنه الزلزالُ »
في « الأطلس » في كوبا رقصنا
عندما أمطرت السماءُ
قال ضاحكاً « ألبرتُ » : من أين يجيءُ النومْ
والبحر وليٌّ عاشقٌ
يحمل في سلته المحارَ والأسماكَ واللؤلؤ
هل عاد من الغابات « جيفارا » ؟
رقصنا عندما أمطرت السماءُ والبحر وليٌّ كانَ
يبكي حبهُ الضائع في المغربِ . قالتْ وتقولينَ
أنا أقولُ أيضاً :
إنه الخليفةُ الأخيرُ في « قرطبةٍ » يموتْ

السمفونية الغجرية

- ١ -

كان المغني الغجريُّ يرشقُ العذراءَ بالوردة
والعذراءُ مثل ريشةٍ تدور حول نفسها
تحاول اللحاق بالليل الذي كان على مَشارف « الحمراء »
مقتولاً تغطي صدره الخناجرُ ـ الزنابقُ ـ النجومُ .
كان الغجريُّ شاحباً يطرد في غنائه الأشباحَ
كانت يدهُ ترسم في الهواء شارةَ الغريق ـ العاشق ـ المخدوع
والعذراءُ مثل ريشةٍ تطيرُ خلف يده الراجفة ، الضارعة
« الحمراءُ » كان غارقاً كعهده بالصمت .
صاح الغجريُّ استيقظي أيتها الأعمدةُ ـ الهياكل ـ الأقواسْ
يا مكعبات النور في قصيدة المستقبل ـ النبوءة ـ الرحيل
صاح استيقظي أيتها الأسطورةُ ـ القبيلةُ
العذراءُ مدت يدها ليده وعانقتها
رقصا معاً وأصبحا لسان لهب
فاشتعلت في شعْرِها الوردةُ .
صاح الغجريُّ احترقي أيتها الصغيرةُ الحسناءُ
مال رأسها ، تلاقت العيون والشفاهُ
هذا زمنُ الموت على وسادة الربيعِ .
مال رأسه فاحتضنته وهو يبكي

يطرد الأشباح في غنائه الصاعدِ من قرارةِ
الأسطورة ـ القبيلة
« الحمراءُ » كان غارقاً كعهده بالصمت والفجرُ
على أبوابه يرسم أشجاراً وقبرات ليلٍ راحلٍ .
تلاقت العيونُ والشفاهُ
صاح الغجريُّ خائفاً توقفي أيتها الريشةُ في
مدار هذي اللعبة ـ الفاجعةِ .
العذراء دارت دورتينِ
وقفتْ
تحاولُ اللحاقَ بالليل الذي كان على مشارف « الحمراءِ »
مقتولاً تغطي صدرَهُ الخناجر ـ الزنابق ـ النجومْ

- ٢ -

توقفت هجرةُ أحزان المغنى ،
وَقعَ الطائر في الكمينِ ،
مرت عرباتُ الغجر ، الليلة ، في وحول هذا
الشارع المحاصر ، المسكون بالأشباح .
كان الغجريُّ يمسح السكين بالمنديل ثم
يعبر الشارع محشوراً مع الأشباح في المقهى
يغني خائفاً لنفسه . قارئةُ الكفِ له قالتْ
هناك مدن رائعةٌ أخرى وراء النهر ، حيثُ الشمسُ

لا تغيب في الليل ، ولا يُخدعُ فيها العاشق ـ الغريقُ
في منتصف النهر ، ولا ترحل فيها الريشةُ ـ العذراءُ
صاح اقتربي فإنني رأيتُ عينيكِ بأسفارِ
النجوم ـ الريح ،
أجدادي على بوابة الشمس
وفي المدافن السرية ـ الكهوف ، كانوا يرسمونَ
وجهك الغارق بالنورِ،
وكانوا كلما عاد الربيعُ أحتفلوا بعودةِ الروحِ
الى الطبيعة الميّتة .
الأشباح غابتْ واختفى المقهى
وكان الغجريُّ راكعاً يبكي ،
وكانت يدُهُ في يدها
قارئةُ الكف له قالتْ : هناك مدنٌ رائعةٌ أخرى
وراء النهر ، فارحلْ
فهُنا ، الخطوطُ في كفك ، لا تقولُ شيئا .
طفقتْ تبكي ،
وكان الغجريُّ راكعاً يبكي على مكعبات النورِ
في قصيدة المستقبل ـ النبوءة ـ الرحيلِ
صاحَ استيقظي أيتها الأعمدةُ ـ الأقواسُ
في وحول هذا الشارع المحاصر ، المسكون بالأشباحِ
كانت يدهُ في يدها صماء ، لا تقولُ شيئاً
نهضتْ قارئةُ الكفِ ودارتْ دورتين ،
وقفتْ

تحاول اللحاق بالليل الذي كان على مشارف « الحمراء »
مقتولاً تغطي صدره الزنابق ـ الخناجر ـ النجومْ

القربان

الى بابلو نيرودا

- ١ -

يُسلخ جلدُ الشاةِ بعد ذبحها لكنّ جلدَ ذلكَ
المنتظر ـ الانسان ، قبل ذبحه يُسلخ في المنازل
الأرضية ـ المحاضر السرية ـ الملاجىء ـ المحاكم ـ المصارف .
المسالخ ـ الشوارع العارية ـ السجون ، يُشوى في
جحيم الكلمات ـ اللغة ـ القوالب الجاهزة ـ القاموسِ
يستعير من أوراقه . . الأجنحة ـ السماءَ
كان الشعراءُ يطبخون الموتَ والطيورَ في رؤوسهم
وكنتُ في الجبال أصطاد لك الفراشة ـ الوعلَ ـ
الغزال ـ القمرَ .
المنجمون آحتشدوا في مدن الطفولة . البحر على
السواحل ـ الممالك ـ الأبواب . هل غير وهو صامتٌ :
لغته وصوتَهُ ؟
والطائر المنحوتُ في وجهك : هل مزّق
في الحلم قناع العاشقِ ؟
الحلاج كان بقميص الدم مشبوحاً على القاموسِ
في عيونه : مدينة أصابها الطاعونُ

ركعتان في العشق

تعاليْ

حاملُ القربان ألقى وردةً في النهرِ .

قاتلتُ مع الاسكندر الأكبر في فارسَ لكني

مع المراكب ـ الطيور أبحرتُ الى زماننا هذا : معي

شهادة التطعيم والبطاقة الشخصية .

الأنهار كانت ترتدي أكفانها .

رأيتُ « نيرودا » مع الهنود في مذابح « الأنديز » في

مطارح القارة حيث الجوع والإنجيل والمنشور في

الشوارع العارية ـ المسالخ ـ السجونِ

حيث المدفع ـ الدبابة ـ البيان في الإذاعة ـ الجريدةُ الصفراءُ

يُنهي دورة الفصولِ ،

يلوي عنق الوردةِ ،

قاتلتُ مع الإغريق في مجاهل الشرق ،

وقعتُ ، وأنا أمارس السحر ، أسيراً ،

فتعلمتُ من الأنهـار كيف أحملُ النار الى زماننا هذا

وأصطادُ لكِ الفراشة ـ الوعل ـ الغزالَ ـ القمرَ .

المنجمون احتشدوا في مدن الطفولةِ

الحلاج كان بقميص الدم مصلوباً

وكان قائد « الزنج » على الفرات يُنهي لعبةَ الخليفةِ

الأبله ، لكن ملوك المال والبترول في « الأنديز »

حيث الجوع والإنجيل والمنشور

كانوا يقتلون بأسم عجل الذهب ـ الطغاة في كل العصورِ .

حامل القربان ألقى وردة في النهرِ
قال اشتعلي أيتها الأنهار في القارة باسم الفقراء
حامل القربان ، قال أشتعلي أيتها القارات

- ٢ -

لجوهر الحب الذي يكمن في العذاب والإبداعْ
لسيدي الشاعر ، لا أقولُ ، وهو يرحل : الوداعْ

- ٣ -

أميركا الشعوب والقصيدة ـ العاشقة ـ القربانْ
جئناكِ بالخبز وبالمنشور والسلاحْ

- ٤ -

ماذا أضاف الدمُ للقاموسِ ؟
ركعتان في العشقِ
رأيت البحر في طفولة الشاعر يستحم في غدائرِ
العاشقة ـ القصيدة ـ القربانِ .
كان الفقراء يذرفون الدمع في شوارع المدينة العاريةِ
الحلاج قال ساخراً للقاتل المأجور : هل سترفعُ السوطَ

بوجه الكلمات ـ الجبل ـ القاموس ؟ مولاتي ستبكي ،
عندما يهزمني الخليفةُ الأبلهُ
في هذا السباق القذر المجنون في دائرة الضوء .
رأيتُ الشمس في عيونه يصطادها العبيدُ والمؤرخون
خدمُ الملوك في مزابل الشرق .
رأيتُ الدم في شوارع القارة مكتوبا به الإنجيل والمنشور ،
مطبوعاً به جبين « نيرودا »
على طوابع البريد والأبواب .
كان الفقراء يذرفون الدمع في شوارع المدينة العارية ـ
القضية ـ المحكمة ـ التاريخ
كان الخدمُ ـ الثعالب ـ السادة في العواصم الكبرى
وفي مصانع السلاح والبنوك يغرقون شعباً كادحاً بالدم .
كان الجنرالُ ـ القاتلُ المأجورُ
وهو خائفٌ ، يذيع من دبابةٍ ، بيانه الأول
ركعتان في العشق
تعالي
حاملُ القربان ألقى وردةً في النهرِ
لا أقبل أن أُهزمَ في الحب ، ولا أقبل أن أُساومَ الأنهارَ
قاتلتُ مع الاسكندر الأكبر في فارس ، لكني
مع المراكب ـ الطيورِ
أبحرت الى زماننا هذا ،
وفي العواصم الكبرى رأيتُ الشعراء يطبخون الموت والطيورَ
في رؤوسهم ، وكنتُ في الجبال

أصطاد لك الفراشة ـ الوعل ـ الغزال ـ القمرَ .
المنجمون احتشدوا في مدن الطفولةِ .
الاسكندر الأكبر باح لي بسر الوردة الزرقاءِ .
كان « الخضرُ » في الحاشية الكريمةِ .
المؤرخون حذفوا أسماء قتلانا ، أضافوا بعض أسماء
لصوص الخيل . قال خدمُ الملوك : هل تبيع هذي الوردة
الزرقاء ؟ لكني مع المراكب ـ الطيور أبحرتُ ،
تعاليْ ! شفتي بملح ميلادك أملحت . رأيتُ الشمس
في عيونها يطفئها العبيد والمخنثونَ
ورأيت الدم في شوارع القارة ،
« نيرودا » على خريطة التكوين يستقرىءُ أقمارَ
براكين الهنود الحمر ، غابات من النعاس ،
ليل البحر يستلقي على أسرَة العمال في مناجم النحاس
كان الجنرال ـ القاتل المأجورُ
وهو خائف ، يذيع من دبابةٍ ، بيانهُ الأول
ركعتان في العشق
تعاليْ
حامل القربان ألقى وردة في النهر .
قال اشتعلي أيتها الأنهارُ في القارة باسم الفقراء
حاملُ القربان قال اشتعلي أيتها القارات

- ١ -

اللغةُ الصلعاءُ كانت تضع البيانَ والبديعَ
فوق رأسها « باروكةً »
وترتدي الجناسَ والطباق في أروقة الملوكِ
في عصر الفضاء ـ السفن الكونية ـ الثوراتِ .
كان شعراءُ الكدية الخصيان في عواصم الشرقِ
على البطون ، في الأقفاص يزحفونَ
ينمو القُمَلُ ـ الطحلبُ في أشعارهمْ ،
وشعراء الحلم المأجور في الأبراج كانوا بالمساحيقِ
وبالدهان يُخفون شحوب ربةِ الشعر التي تشيخُ
فوق قمة « الأولمبِ »
كانوا يسرقون غارها الذابل في المتاحف ـ المزابل ـ النصوص
كانوا يجمعون ورق الخريف من مقابر المدارسِ
الشعرية الدارسةِ .
الخصيان كانوا يمدحون الخدم ـ الملوك في الأقفاصِ
كان سارق النار مع الفصول يأتي
حاملاً وصية الأزمنة ـ الأنهارِ ،
يأتي رائياً :

يهجس ـ في سباق خيل البشر الفانينَ ، في توهج الأرض التي حلّ بها ـ
بالرجل الشمس ، وبالقيثارة المرأةِ
حُرِّين من الأغلال ،
يستبصر أمواج التواريخ وأحزان سلالاتِ
الطيور ـ الحجر ـ الموتى ،
على بِرْدية يكتب أسماء أميرات « بخارى »
حاملاً وصية البحر الى الطفولة ـ المساجد ـ الأسواقِ .
قال وهو في معطفه الطويلِ
كالمسلة المصرية ـ النخلة في « الكونكوردِ » :
هل دخلت من نافذة الفجر الى قلبي ؟
ومن أعطاك حق النوم والترحال والبحث عن
الأسوار في مدينة العشقِ ؟
رأيتُ وجهه الشاحب في مطار « باريسَ »
بكيتُ عندما ودعني للمرة الأخيرةِ
الخصيان كانوا يمدحون الخدم ـ الملوك في الأقفاصِ
كان سارق النار على البارِ ،
يغني للعصافير التي أنهكها التجوالُ في حدائق الثلجِ ،
وكنتُ متعباً ،
أقاوم النومَ الذي يهبط من سلالم الليلِ
مع الدخان والأمطار .
قال نشرب الليلةَ نخب هذه الاميرة الشاعرةِ
المنفية .

الأمطار كانت تغسل الأشجارَ والجراح والسطوحَ .
موسيقى كمان العازف الروسيِّ في زاوية البارِ ،
رأيت مدن الطفولة البيضاء في ألحانها
وأنهر الجليد والغابات في « الأورال »
أقسمنا معاً بالرجل الشمس ، وبالقيثارة المرأةِ
والأميرة الحسناء من أعماقها تضحكُ .
من أعطاك حق البحث في مدينة العشق عن الله ؟
وعن نافورةٍ تبكي ؟
رأيت وجههُ الشاحبَ في قرارة الكأسِ ،
وكانت يده تمر فوق شعرها الأحمر في دوامة الرقصِ ،
وفوق الليل والجليد والدخانْ

- ٢ -

بحثتُ من حانٍ الى حانٍ ومن منفىً الى منفىً
عن الوجه الذي يحمله سارق نار الشعرِ
من معابد الألهة ـ الانسان ،
عن أميرة المنفى التي كنا وراء شعرها الأحمر
في مدينة الطفولة ـ المعابد ـ الأسواق نجري
لاهثينَ ، نشربُ الأنخابَ ،
والخصيانُ كانوا يمدحون الخدمَ ـ الملوكَ في الأقفاصِ
ينمو القُمَلُ ـ الطحلب في أشعارهم .
كنا وراء شعرها نروض الخيولَ في سهوب هذا الشرق .
من أعطاك هذا القمر الأخضرَ ؟

هل دخلت من نافذة الحزن الى قلبي ؟
رأيت سارقَ النار على كرسيِّه ينام في زاويةِ
البار وحيداً .
رحلتْ ، قال : « فمن سيحرس الأنهارَ
في عرس نهار الموت » ؟
« مَنْ بالغضب الشعريِّ في النهر سيُلقي » ؟
بالمصابيحِ
عظام الزمَنِ الجديد للأرض ، هنا أسمعها ، تنمو
جواد النار في ملاحم الإغريق تحت قدمي يجمحُ
لا أسم له ، من كل معنى فارغ ، هذا العذاب
« رحلتْ » قال فهل ستدهم الصاعقةُ
المسلة المصرية ـ النخلة ـ في « الكونكوردِ » ؟
هل سيهجر الربيعُ باريسَ ؟
رأيتُ وجهه الشاحب في قرارة الكأسِ
وفي المراةِ
كان ميّتاً ، يبدو كمن عاد إلى الحان من القبر لكي
نرحلَ في الفجر معاً على ظهور الخيل في سهوب هذا الشرقِ
هل ناديتني يا أيها الرعدُ ؟
بخارى أصبحت قريبةً ،
فلتحملْ القبيلةُ الكواكبَ الآفلة ـ الأقمارَ
في الفجر لكي تلقي بها من قمم الصخور للنوارسِ
الأمطار كانت تغسل الأشجار والجراح والسطور
موسيقى كمان العازف الروسيِّ في زاوية البار

رأيتُ مدنَ الطفولة البيضاء في ألحانِها ،
وأنهرَ الجليد والغابات في « الأورالِ »
أقسمنا معاً بالرجلِ الشمس ، وبالقيثارة المرأةِ .
هل تحققتْ معجزةُ الحياة بعد الموتِ ؟
هل ناديتني يا أيها الرعدُ ؟
أرى عاصفةً شعريةً تجتاح هذا الكوكبَ الموغلَ
بالإرهابِ والعنفِ .
أرى الشاعرَ في صيحته يحرث أرض الحلمِ
هل ناديتني ؟
« سأطرد المنطق من حظيرتي »
مسافراً في النار والأقوالِ
في عرس نهار الحب ،
مُنقَضّاً على فريستي : القصيدة ـ المرأةِ ،
كالمنجِّم ـ الساحر في مدينة العشقِ
رأيتُ وجهه الشاحب بعد الموتِ يفترُّ
عن إبتسامةٍ وشعرها الأحمر كالشلالِ
ينثالُ من السماءْ

الموت في البسفور

الى ذكرى ناظم حكمت

- ١ -

مررتُ بأستامبول بعد الليلة الألف
وبعد السنة العاشرة
التقيتُ بالرفاق : كان بعضهم مات
وكان بعضهم شاخ
وكان بعضهم خان
ضياء القمرِ الطالع في البسفور بعد الليلة الأولى
وكان البعضُ ما زال كما تركتهُ
يرحلُ في الرسوم والأشعار والخمرة والحب إلى
مدينة الحلم ويبكي كلما حاصر « طروادة » في أحلامه
« الإغريق » دكوا سورها
وآغتصبوا نساءها
يبكي ؛ ولا يبكي عذاب الفقراءِ عندما يُحاصرونَ
ويُبادون على أسوار هذي المدنِ الشهيدةِ
التقيتُ بالرفاق :
كان يونسُ الأعرج قد ماتَ
وكان يوسفُ السجينُ عند النبعِ
ما زال إلى « مدريدَ » في سفينةٍ من ورقٍ يرحلُ
وهو يخدعُ السجانَ عند النبع مقهوراً ،
وكان الشيخ بدر الدين في عباءةٍ حمراء

من شقائقِ النعمانِ مذبوحاً من الوريدِ للوريدِ
كان قمرُ الخيانة الأسود في أساور النساء والأقراطِ
والحانات والأسواق والمراكب البيضاء في البسفورِ .
كان عاملُ الميناء في معطفه الأزرق مشبوحاً
على كرسيِّه في البار ، عملاقاً بلا أسلحةٍ
كأننا لم نضربِ البحرَ بسيفِ البرقِ
أو لم نحترق
من أجل أن نضيءَ ليلَ البشر ـ الآلهة ـ الطيورِ
كان البعضُ ما زال كما تركته
يمارسُ التمثيل فوق المسرح الخاوي
وفي السيركِ
على ظهر جواد الخشب.
الرفاقُ كانوا يذبلونَ ويموتونَ
على أرصفة الميناء في بطء
ولكنَ المغني كان في غنائهِ
يقاوم الذبولَ والموتَ ، وفي جحيمه محترقاً
يضيءُ ليلَ البشر ـ الآلهة ـ الطيور

ـ ٢ ـ

بَعدكَ كان الموتُ والفراق في استامبول
يمارسان لعبةَ المنتظرِ المخدوع
« مُنورُ » تزوجت ورحلت
والآخرون أحرقوا الجسور

- ٣ -

تغوص في الأعماق لكنكَ لا تغرقُ .
هل عُدتَ من المنفى الى سلطانة العشق على سحابـة خضراء ؟
هل رأيتَ في عيونها الحريم والأقمارَ ؟
نجمُ القطب لا يبوح بالسرِ .
سـأبكي عندمـا تفتح لي بـوابةَ الحـديقة : الـوصيفةُ الـزيتية العينينِ ، وهي تفــرش السجـادةَ الحمــراء تحت قــدمي ، يتبعني يونس في عكازهِ .
السلطان في مملكة الموت ، أنا ساعي بريدٍ
يحمل الدموعَ والجليدَ والشموسَ للعشاقِ .
هل رأيتَ من نافذة السجن ينابيعَ الربيعِ
وقطار الليل وهو يُرسل العويلَ في عاصفةٍ ثلجيةٍ ؟
كنتُ الى المنفى أُساقُ
وأنا مقيدٌ بشعرها الأحمرِ
أعوي وأعض القيدَ .
مَنْ يرحلُ في نفســي ولا يعودُ ؟
هل رأيتَ ؟
لا شيءَ سوى الضوضاء والتصفيق في القاعاتِ
كان الليل في كل مكانٍ
وأنا مقيدٌ بشعرها
أتبعها كالعبدِ .

هل رأيت ؟
كان يوسفُ السجينُ قد أصبح للسلطة جاسوساً
وكان عاملاً في محلج القطنِ
وفي المطبعة السريةِ .
الزمان دارَ
سقط الثلجُ على بوابة الحديقةِ .
السلطان في مملكة الموت أنا
أتبع مولاتي الى المنفى .
قبورُ الشهداء هي ميراثي
سأبقى حاملاً وسامهم
خارج قاعات الملوك ولصوص الشعر والقبائل الجديدة .
الرفاقُ كان بعضهم ضُيِّعَ أو ضاعَ
وكان بعضهم ما زال في بسالةٍ يواصل المسيرة الكبرى
وكان يونسُ الأعرجُ ، ما زال على إيمانهِ
يذرع كل ليلةٍ خريطةَ العالمِ في عكازهِ
وعندما يعود للقبرِ
يمد يَدهُ ليمسحَ الترابَ عن وجه المغني
وهو في غنائه يقاوم الذبولَ والموتَ وفي جحيمه محترقاً
يضيءُ ليلَ البشرِ ـ الآلهةِ ـ الطيور

استامبول ٤ ـ ١١ ـ ١٩٧٣

اشارات

● أمير القمر وأبناؤه السبعة : أسطورة شعبية اسبانية عن أمير عربي كان يتصف بالفروسية والشهامة (قصائد عن الفراق والموت)

● في المقطع الثالث من نفس القصيدة استخدمت مضمون أغنية من أغاني « الفلامنكو » استمعت اليها في مدينة الفجر بجوار قصر الحمراء في غرناطة ، وكان يغنيها مغنٍ غجري . وعندما انتهى من أغنيته ، قال : لنشرب نخب هذه الليلة المرتحلة الى هناك (وأشار) بيده الى الأفق اللامرئي . قلت : ان الموت قد جاء الى هذا العالم من هناك . فلنؤجل النخب الى الغد . قال : عندما سيأتي الغد ، سيكون الموت قد سبقنا الى هذا المكان . ثم طفق يغني من جديد .

● (الحمراء في قصيدة (السمفونية الغجرية) هو (قصر الحمراء)

● (ركعتان في العشق) للحلاج

● الجمل التي بين قوسين في قصيدة (السيرة الذاتية) لسان جون بيرس .

● يونس ويوسف والشيخ بدر الدين في قصيدة (الموت في البسفور) من ابطال بعض* قصائد ناظم حكمت أما (منور) فهي زوجته الأولى التي كتب لها وفيها أجمل قصائده عندما كان في السجن .

وقد تزوجت (منور) بعد رحيل الشاعر وارتحلت .

● القصائد التي يضمها الديوان كتبت في عام ١٩٧٣ . أما القصائد التي كتبت عام ١٩٧٢ فسيضمها ديوان آخر بعنوان (كتاب البحر) . لأن لكل منهما رؤية شعرية مستقلة ومختلفة عن الأخرى .

● الكونكورد : من أكبر ميادين باريس وفيه تنتصب المسلة المصرية .

● كان بروميثيوس صديقاً ومعلماً للبشرية . فقد دافع عن الجنس البشري ضد زيوس رب الأرباب كما جاء في النظرية الميثولوجية الواسعة الانتشار ، حيث اراد زيوس الانتقام لنفسه من الانسان الذي استطاع معرفة أسرار عديدة ، ذلك بإفنائه والاستعاضة عنه بأجناس جديدة

وقـد نقـل هسيـود Hesiod (٥١٠ ـ ٦١٦) في الأعمـال والأيـام مـآثـر بروميثيوس المبكرة :

في اجتماع بين الآلهة والبشر في Mecone كان على الحمية أن تقرر أي الأجزاء التي ينبغي أن تقدم كقربان للآلهة من الحيوانات المذبوحة ، لقد قدم بـروميثيوس أفضـل أجزاء الثـور المغطاة بفضـلات الذبيحة في حين غـطى بـاقي الأجزاء السيئة كالعظام مثلاً ببعض الشحم واللحم .

ولمـا دعي زيوس لـلاختيار ، اختـار القسـم المغطى بـالشحم فلم يجد في داخله إلا العظام ، ولذا فقد استشـاط زيوس غضبـاً ، واهتاجته رغبةً جامحة لإفناء الجنس البشري .

سرق بروميثيوس النار واخفاها في سـاق (شمار Fennel) عميق ، ولا زال ساق الشمار يستعمل لحد الآن في الجزر الإغريقية كوسيلة لنقل الضوء

وكمـا جاء في بعض الأسـاطير فـإن بـروميثيوس قد استمـد النار عن طـريق حمل عصا طويلة [عمود ـ صولجان] بـالقرب من الشمـس . وقـد شاع استعمـال ساق الشمار هذا نتيجة لشيوع تلك الأسطورة .

وهكذا احتل بروميثيوس شرف سارق النـار من أجل النـاس إذا أخذنـا بنظر الاعتبار مـسألة ميثولـوجية النـار ككل فينبغي ان نلزم الحـذر من الاهتمام بـطريقة الحـدس الأنثـولوجية السـريعة [يقصـد بها غيـر الـدقيقـة] الشـائعة بين علمـاء الأساطير . فمثلاً لو تحدثنا عن طير من الطيور باعتباره جالباً للنار فلا يمكن أن نعني إلا طـابعه الـرمزي بـاعتبـاره تجسيدا للبـرق . كثيـراً مـا عـولجت اسطورة بروميثيوس بهذه الطريقة ، على الرغم من كـونه بـطلاً حضاريـاً مآثـره سرقـة النار لصنع الناس من الطين

Encyclopaedia Britanica

Vol 18 P. 576

شيراز

الى رفائيل ألبرتي

- ١ -

آخـر طفل في المنفى يبكي « مدريدَ »
يغني نار الشعراء الأسبان المنفيين الموتى

لوركا ـ ماشادو

آخر عملاق في معطفه يبكي
تحت النجم القطبيِّ
وتحت الثلج
وقفنا بجوار عمود النور وكانت « روما تبحث عن روما »
ناديتك ألبرتي !
فأجاب الشعر
أضاء البرق الكامن في سحب كانت تمضي نازفةً
في ليل المنفى
كـل عذابات الأسبانِ
أجابت روما
وأجابت موسيقى البحـر الوحشيـة
كنا أطفالاً أوغلنا في الغابة
لكن الموسيقى هدأت والبحرُ توارى في كتب كانت تحكي عن
نور يأتي من داخل « توليدو »
عن نجم عربي يتجول في أوربا وينام على بوابة « توليدو »
كنا أطفالاً في الوطن ـ المنفى
نبني مدناً للحب .
أجاب الشعر ـ البرق ـ الموسيقى

آخر عملاق في معطفه يبكي
ويجف المطرُ
الأسبانيُّ على أشجار الغابة
« ماشادو » في الفجر يموت مريضاً ووحيداً
كل عذاباتِ الأسبان تعود
لتولد منها هذي النار الزرقاء
الكتب ـ الموسيقى ـ الأشعار ـ اللوحاتُ
وقفنا ناديتك ألبرتي !
فأجاب الطفل ـ الرجل ـ الشعرُ
وكانت روما تبحث عن روما في منشور سريٍ
أو عين امرأة تسبر أغوار سماء لم تمطر
أو كأس نبيذ لم يُشرب
كانت روما تنهض من تحت الأنقاضِ
وقفنا تحت عمود النور
رأينا نار الشعراء الأسبان المنفيين الموتى
لوركا ـ ماشادو
ورأينا العربيَّ القادمَ من « توليدو »
جدي السابع في معطفه الجلديِّ يُساق الى الموت أو المنفى
ناديتك ألبرتي !
فأجاب الشعرُ
[illegible] في المنفى يبكي الوطن الأمَّ
ويبكي مدريدْ

- ٢ -

روما موصدة الأبواب
خريف وحشيٌ يتسترُ
خلف قناع الصمت المتفجر
برداً وعويلاً وضراعات ملاكٍ في الأسمالْ

- ٣ -

شعري أورثني هذا الفقر القاتل ، هذا
الحب اللهب : السيف القتّالْ
سيُحَزُّ به عنقي يوماً من أجل الفقراءْ

- ٤ -

فليسقط شعراء ملوك العصر الحجريِّ الببغاواتْ
وليسقط شعراء الجنرالاتْ

- ٥ -

حبي دمرني
روما دمرها الزلزال

- ٦ -

قلت سلاماً للبحر الأبيضِ
قلت سلاماً للغاباتْ
لكن المنفيين الموتى كانوا في [illegible]

- ٧ -

روما نائمة وأنا أتنصت للفجر القادم من خلف الأبوابْ

- ٨ -

ناديتك ألبرتي

فأجابت صيحات المنفيين الأسبان

في كل بقاع الأرض المحكوم بها بالموت على الأنسانْ

٢١-٨-١٩٧٤

قراءة في كتاب الطواسين للحلاج

- ١ -

أصرخ في ليل القارات الست ، أقرب وجهي من سور الصين ، وفي نهر النيل أموت غريقاً ، كل متون الأهرامات معي ، ومراثي المعبودات ، أموت وأطفو منتظراً دقات الساعات الرملية في برج الليل المائل ، أبني وطناً للشعر ، أقرب وجهي من وجه البنّاء الأعظم ، أسقط في فخ الكلمات المنصوبة ، يُبنى حولي سورٌ ، يعلو السور ويعلو : كتبٌ ووصايا تلتف حبالاً ، أصرخ مذعوراً في أسفل قاعدة السور . لماذا يا أبتي أنفى في هذا الملكوت ؟ لماذا تأكل لحمي قنطط الليل الحجريّ الضارب في هذا النصف المظلم من كوكبنا ؟ ولماذا صمت البحر ؟ الإنسان المفعم موتاً في هذا المنفى ؟ هذا عصر شهود الزور ؟ وهذا عصر مسلات ملوك البدو الخصيان . أقرّب وجهي من وطن الشعر ، أرى آلاف التعساء المنبوذين وراء الأسوار الحجرية . في منتصف الليل يغيب النجم القطبي وينبح كلب قمر الموت . لماذا يا أبتي صمت الانسان ؟

- ٢ -

منْ تحت مسلات طغاة العالمْ
من تحت رماد الأزمان
من خلف القضبان
أصرخ في ليل القارات ، أقدم حبي قربانْ
للوحش الرابض في كل الأبواب

- ٣ -

أجيال وقوافلْ
أمم وممالكْ
أهلكها الطوفان

- ٤ -

واحدة بعد الأخرى ، ترتفع الأيدي في وجه الطغيان
لكن سيوف السلطان
تقطعها ، واحدة بعد الأخرى ، في كل مكانْ

٥

فلماذا ، يا أبتي ، لم ترفع يدك السمحاء ؟

- ٦ -

ثورات الفقراءْ
يسرقها ، في كل الأزمان ، لصوص الثوراتْ

- ٧ -

« زاباتا » كان مثالاً ومئات الأسماء الأخرى
في قاموس القديسين الشهداءْ

- ٨ -

فلماذا ، يا أبتي صُلب الحلاج ؟

- ٩ -

في أحواض الزهر وفي غابات طفولة حبي ، كان الحلاج رفيقي في كل الأسفار ، وكنا نقتسم الخبز ونكتب أشعاراً عن رؤيا الفقراء المنبوذين جياعاً في ملكوت البنّاء الأعظم ؛ عن سر تمرد هذا الانسان المتحرق شوقاً للنور ، المحنيّ الرأس الى السلطان الجائر . كان الحلاج يعود مريضاً وينام سنيناً ويموت كثيراً ويهز القضبان الحجريَّةَ في كل سجون العالم . قال الحلاج : « وداعاً » فاختفت الأحواض . وداعاً ! غابات طفولة حبي ، سيصير الماء دموعاً والموت

رحيلاً في هذا المنفى . هذا عصر شهود الزور ، وهذا عصر مسلات ملوك البدو الخصيان ـ الدول الكبرى ـ الجنرالات ـ الآلات . لماذا يا أبتي لم ترفع يدك السمحاء بوجه الشر القادم من كل الأبواب ؟ لماذا تُنفى الكلمات ؟ يصير الحب عذاباً ؟ والصمت عذاباً ؟ في هذا المنفى ؟ وتصير الكلماتْ
طوق نجاةْ
للغرقى في هذا اليم المسكون بفوضى الأشياء ؟

ـ ١٠ ـ

كل الفقراء اجتمعوا حول الحلاج وحول النار
في هذا الليل المسكون بحمى شيءٍ ما ، قد يأتي أو لا يأتي
من خلف الأسوار

الموت والقنديل

- ١ -

صيحاتك كانت فأس الحطاب الموغل في غابات اللغة العذراء ، وكانت ملكاً اسطورياً . يحكم في مملكة العقل الباطن والأصقاع الوثنية ، حيث الموسيقى والسحر الأسود والجنس ، وحيث الثورة والموت . قناع الملك الأسطوري الممتقع الوجه وراء زجاج نوافذ قصر الصيف ، وكانت عربات الحرب الآشورية تحت الأبراج المحروقة ، كانت صيحاتك صوت نبي يبكي تحت الأسوار المهدومة شعباً مستلباً مهزوماً، كانت برقاً أحمر في مدن العشق أضاء تماثيل الربات وقاع الآبار المهجورة . كانت صيحاتك صيحاتي وأنا أتسلق أسوار المدن الأرضية ، أرحل تحت الثلج ، اواصل موتي في الأصقاع الوثنية ، حيث الموسيقى والثورة والحب ، وحيث الله

- ٢ -

لغة الأسطورةْ
تسكن في فأس الحطاب الموغل في غابات اللغة العذراء
فلماذا رحل الملك الأسطوريُ الحطّابْ ؟

- ٣ -

مات مغني الأزهار البريةِ
مات مغني النار
مات مغني عربات الحرب الآشورية تحت الأسوار

- ٤ -

صيحاتك كانت صيحاتي
فلماذا نتبارى في هذا المضمار ؟
فسباق البشر الفانين ، هنا ، أتعبني
وصراع الأقدار

- ٥ -

كان الروم أمامي وسوى الروم ورائي ، وأنا كنتُ
أميل على سيفي منتحراً تحت الثلج ، وقبل أفول
النجم القطبيِّ وراء الأبراجْ
فلماذا سيف الدولة ولَّى الأدبارْ ؟

- ٦ -

ها أنذا عارٍ عُريَ سماء الصحراءِ
حزينٌ حزنَ حصانٍ غجريٍ
مسكونٌ بالنارْ

- ٧ -

وطني المنفى
منفايَ الكلماتْ

- ٨ -

صار وجودي شكلاً
والشكل وجوداً في اللغة العذراءْ

- ٩ -

لغتي صارت قنديلاً في باب الله

- ١٠ -

أرحل تحت الثلج ، أواصل موتي في الأصقاعْ

- ١١ -

أيتها الأسجار القطبية ، يا صوت نبي يبكي ، يا رعداً
في الزمن الأرضيِّ المتفجر حباً ، يا نار الإبداع .
لماذا رحل الملك الأسطوريُّ الحطاب ليترك هذي
الغابات طعاماً للنار ؟ لماذا ترك الشعراء
خنادقهم ؟ ولماذا سيف الدولة وليَّ الأدبار ؟ الروم
أمامي كانوا وسوى الروم ورائي وأنا كنت أميل

على سيفي منتحراً تحت الثلجِ وقبل أفول النجم
القطبيِّ وراء الأبراجِ . صرختُ : تعالوا !
لغتي صارت قنديلاً في بابِ الله ، حياتي
فرت من بين يدي ، صارت شكلاً والشكلُ
وجوداً . فخذوا تاج الشوك وسيفي
وخذوا راحلتي
قطراتِ المطر العالق في شَعْرِي
زهرةَ عباد الشمس الواضعةَ الخد على خدي
تذكارات طفولة حبي
كتبي ، موتي
فسيبقى صوتي
قنديلاً في باب الله

لعاشق الدب الاكبر

- ١ -

كان إذا ما عاد من أسفارِهِ
أراهُ تحت الثلج
في الليلِ
يسيرُ
حاسر الرأس ، وحيداً
فإذا ناديتُهُ
أجاب في ابتسامةٍ غامضةٍ
مختفياً في الليل والريح
وفي داخله ، مواصلاً عذابه اليوميَ والرحيلْ
للبحث عن قارة حبٍ طُمرتْ
تحت نديف الثلج والعويلْ
منتفضاً على رصيف الشارع الأبيض في معطفه الطويل
كأن ألفَ سنةٍ مرت عليه وهو في داخلِهِ
محترقاً يرحل أو يعود
منتظراً علامةً جديدة تظهر في غياهب السماء
أو إشارة تلمع في المجهولْ

- ٢ -

كان شهاباً دامياً
يعود من أسفاره محترقاً مقرورْ

- ٣ -

كان إذا ما عاد : لا أعرف من أين أتى
وأين كان ذلك المسحورْ

- ٤ -

كنتُ أراهُ
فإذا ناديته ، أجاب في ابتسامةٍ غامضةٍ
مختفياً في النور والديجورْ

- ١ -

قالت : ما أقسى ، حين يغيبُ النجم ، عذابَ العاشق أو حين يموت البحر . انتظريني ـ قال المجنون ـ وظلي ميتة بين الموتى واقتربي من ضوء الشمعة ، ان الله يرانا ويرى وجهي الخائف مقترباً من وجهك محموماً تحت نقاب الدمع . اقتربي ، فدموعك في شفتي ملح البحر وطعم رغيف الخبز . انتظريني ، قال المجنون

- ٢ -

كانت أغصان السرو وأشجار الدفلى تُخفي عني مدناً ونجوماً ، تسبح في عطر بنفسج ليلٍ يصعد من أغوار القلب الانسانيِّ ، وكانت امرأة عارية فوق حصان تضحك في العاصفة . انتظريني ! لكن البحر الميِّت غطاها بالأعشاب وبالزبد المتطاير في الريح . اقتربي ، ناداها ، لكن صهيل حصان البحر الأُسطوري تمزَّق فوق صخور الشاطىء ، وانطلقت بضفائرها الذهبية ، تعدو عارية ، آلهة الشعر المجنون الى « دلفي » تبكي أقدار الشعراء

- ٣ -

كانت في الفجر تمشط شَعرَ الأمواج
وتداعب أوتار القيثار

- ٤ -

كانت بضفائرها الذهبية ترقص عارية تحت الأمطار

- ٥ -

دهمتني ، وأنا في منتصف الدرب الى « دلفي »
صاعقةٌ خضراء

- ٦ -

كنا أربعة : أنا والموسيقيُّ الأعمى
ودليلي
ومغني آلهة « الأولمب » الحكماء

- ٧ -

حملتني في البحر « الأيجيِّ » الى « دلفي » أشرعة الفجر البيضاء

- ٨ -

وضعوني في باب المعبد أخرس مشلولاً
وضعوا فوق جبيني زهرة عباد الشمسِ
وغطوني بردَاءْ

- ٩ -

قالوا انطق باسم الحبِّ
وباسم الله
وتكلَّمْ واقْرأْ هذا اللوح المحفوظ وراء المحرابْ

- ١٠ -

شَقَّ ملاكٌ صدري
أَخْرَجَ من قلبي حبةَ مسكٍ سوداءْ

- ١١ -

قال اقرأ ، فقرأت وصايا آلهة الشعر المكتوبِ على الألواح
صَعَدَتْ كلماتي من بئر شقاء العشَّاق الشهداءْ

- ١٢ -

كانت تستلقي بضفائرها الذهبية عارية فوق رمال الشاطىء
تبكي عند مغيب النجم حصان البحر الأسطوري وترسم
في الأفق دوائرَ حمراءَ وتهمس للريح : اشتعلي يا نار
الحبِّ ، وكُوني شارة هذا الليل الأبدي القادم من أطلال
المدن الإغريقية ، كوني مغزل نار قميص الفجر الشاحب ،
كوني مفتاح الباب المغلق واشتعلي حبا يا قطرات المطر
المتساقط في كل الغاباتْ
كانت ترسم فوق الرمل عيوناً وشفاهْ
ويداً تستجدي قطرات المطر الخضراءْ
قالت فلنرحل . قال المجنون انتظري ، ظلّيَ ميتة بين
الموتى ، واقتربي من ضوء الشمعة ، إن الله يرانا ويرى
وجهي الخائف مقترباً من وجه... محموماً تحت نقاب
الدمع انتظري ، قال المجنون

...

منحتني آلهة الشعر الصافي
وأنا في درب العودة من « دلفي »
البركاتْ
وسلاحَ الكلماتْ

١٩٧٤ - ١٠ - ٣

أولد

وأحترق بحبي

- ١ -

تستيقظ « لارا » في ذاكـرتي : قـطّاً تترياً ، يتــربص بي ، يتمـطّى ، يتثاءب ، يخــدش وجهي المحمـوم ويحــرمني النوم . أراها في قاع جحيم المدن القطبية تشنقني بضفائرها وتعلقني مثل الأرنب فوق الحائط مشدوداً في خيط دموعي . أصــرخ : « لارا » فتجيب الريـح المذعورة : « لارا »، أعدو خلف الريح وخلف قطارات الليل وأسأل عاملة المقهى . لا يدري أحد . أمضي تحت الثلج وحيداً ، أبكي حبي العاثـر في كل مقاهي العالم والحانات .

- ٢ -

في لوحات « اللوفر » والأيقوناتْ
في أحزان عيون الملكات
في سحر المعبودات
كانت « لارا » تثوي تحت قناع الموت الذهبي وتحت شعاع النور الغارق في اللوحات
تدعوني ، فأقرب وجهي منها ، محموماً أبكي
لكن يداً تمتد ، فتمسح كل اللوحات وتخفي كل الأيقونات
تاركة فوق قناع الموت الذهبي بصيصاً من نورٍ لنهارٍ مات

- ٣ -

« لارا ! رحلتْ »
« لارا ! انتحرت »
قال البوّاب وقالت جارتها ، وانخرطت ببكاءٍ حارْ
قالت أخرى : « لا يدري أحد ، حتى الشيطان »

- ٤ -

أرمي قنبلة تحت قطار الليل المشحون بأوراق خريف
في ذاكرتي ، أزحف بين الموتى ، أتلمس دربي في
أوحال حقولٍ لم تحرث ، أستنجد بالحرس الليلي
لأوقف في ذاكرتي هذا الحب المفترس الأعمى ، هذا
النور الأسود ، محموماً أبكي تحت المطر المتساقط
أطلق في الفجر على نفسي النارْ

- ٥ -

منفياً في ذاكرتي
محبوساً في الكلماتْ
أشرد تحت الأمطارْ

- ٦ -

أصرخ : « لارا ! »
فتجيب الريح المذعورة : « لارا ! »

- ٧ -

في قصر الحمراء
في غرفات حريم الملك الشقراوات
أسمع عوداً شرقياً وبكاء غزال
أدنو مبهوراً من هالات الحرف العربي المضفور بآلاف الأزهار
أسمع آهات
كانت « لارا » تحت الأقمار السبعة والنور الوهاج
تدعوني فأقرب وجهي منها ، محموماً أبكي ، لكن يداً تمتد ، فتقذفني في بئر الظلماتْ
تاركة فوق السجادة قيثاري وبصيصاً من نور لنهارٍ ماتْ

- ٨ -

« لم تترك عنواناً » قال مدير المسرح وهو يمطُّ الكلمات

- ٩ -

تسقط في غابات البحر الأسود أوراق الأشجارْ
تنطفىء الأضواء ويرتحل العشاق
وأظل أنا وحدي ، أبحث عنها ، محموماً أبكي تحت الأمطار

- ١٠ -

أصـرخ : « لارا ! » فتجيب الريـح المذعـورة : « لارا » في
كوخ الصياد

- ١١ -

أرسم صورتها فوق الثلج ، فيشتعل اللون الأخضر في عينيها
والعسليُّ الداكن ، يدنو فمها الكرزيُّ الدافىءُ من وجهي ،
تلتحم الأيــدي بعنـاق أبدي ، لكن يــداً تمتـدُّ ، فتمسـح
صورتها ، تـاركة فـوق اللون المقتول بصيصـاً من نورٍ لنهـارٍ
ماتْ

- ١٢ -

شمس حياتي غابت . لا يـدري أحد . الحب وجـود أعمى
ووحيـد . ما من أحـدٍ يعرف في هـذا المنفى أحداً . الكـل
وحيدٌ . قلب العالم من حجرٍ في هذا المنفى ـ الملكوتْ

٢٦ ـ ١٠ ـ ١٩٧٤

قمر شيراز

- ١ -

أجرح قلبي ، أسقي من دمه شعري ، تتألّق جوهرة في قاع النهر الإنساني ، تطير فراشات حمر ، تولد من شعري ، امرأة حاملة قمراً شيرازياً في سنبلةٍ من ذهبٍ مضفوراً ، يتوهج في عينيها عسل الغابات وحزن النار الأبدية ، تنبت أجنحة في الليل لها ، فتطير ، لتوقظ شمساً نائمة في حبات العرق المتلألىء فوق جبين العاشق ، في حزن الألوان المخبوءة في اللوحات : امرأة حاملة قمراً شيرازياً ، في الليل تطير ، تحاصر نومي ، تجرح قلبي ، تسقي من دمه شعري ، أتعبد فيها : فأرى مدناً غارقة في قاع النهر النابع من عينيها، يتوهج سحر عسليٌ يقتل مَنْ يدنو أو يرنو أو يسبح ضد التيار . أرى كل نساء العالم في واحدة تولد من شعري . أتملَّكها ، أسكن فيها ، أعبدها ؛ أصرخ في وجه الليل ولكن جناحي يتكسر فوق الألوان المخبوءة في اللوحاتْ

- ٢ -

مجنوناً بالنهر النابع من عينيها
بالعسل الناريِّ المتوهج في نهر النار
أسبح ضد التيار

- ٣ -

أكتب تاريخ الأنهار
أبدؤه بطيور الحبِّ وبالنهر الذهبيِّ الأشجار

- ٤ -

بدمي يغتسل العشاق
وبشعري يبني الغرباء
في المنفى « شيراز »

- ٥ -

أتملكها ، أسكن فيها
أعبدها
أرسم في ريشتها مدناً فاضلة يتعبد فيها الشعراء

- ٦ -

مجنوناً بالنهر النابع من عينيها
بالسيل الجامح والفيضان
باللهب المفترس الجوعان
أسبح من غير وصول للشاطىء ، أغرق سكرانْ

- ٧ -

أُفرد أجنحتي وأطير اليها في منتصف الليل ، أراها نائمة

تحلم بـالقمر الشيرازيِّ الأخضر فـوق البوَّابـات الحجـريـة يبكي ، يتدلَّى من أغصان حديقتها ويظلّ وحيداً يتعبد فيها . ما كان يكون . حياتي كانت في الأرض غياباً وحضوراً تملؤه الوحشة والترحال وأشباح الموتى . كوني أيتها المشربة الـوجنة بـالتـوت الأحمـر والـورد الجبلي الأبيض . زادي في هـذي الرحلة ، كوني آخر منفى وطن ، أعبده ، أسكن فيه وأموتْ

- ٨ -

قولي للحب « نعم » أو قولي « لا »

- ٩ -

قولي « ارحل ! » فسأرحل في الحال
قولي « أهواك »
أو قولي « لا أهواك »

- ١٠ -

قنديلا ذهب عيناك
ويداك شراعان

- ١١ -

أُخفي فاجعة تحت قناع الكلمات ، أقول لجرحي
« لا تبـرأ » ولحـزني « لا تبــرد » وأقـول « اغتسـلوا بدمي » للعشاق

- ١٢ -

تلتهم النارُ النارَ وتخبو أحزان العشاق الرحَّل في صحراء الحب وتبقى « شيراز » ونبقى نرحل في الليل اليها محترقين بنار الحزن الأبديَّة ، تنبت أجنحة في الفجر لنا ، فنطير ، ولكنا قبل وصول الركب اليها ، نتملكها ، نسكن فيها ، ونعودْ

- ١٣ -

وجدوني عند ينابيع النور قتيلاً ، وفمي بالتوت الأحمر والورد الجبلي الأبيض مصبوغاً وجناحي مغروساً في النورْ

- ١ -

« واترلو » كان البدء ، وكل جسور العالم كانت تمتد لواترلو ، لتعانقه ، لترى مُغْتَربين التقيا تَحْتَ عمود النور، ابتسما ، وقفا وأشارا لوميض البرْق وقصْف السحب الرعدية . عادا ينتظران ، ابتسما ، قالت عيناها : « من أنت ؟ » أجاب : « أنا ! لا أدري » وبكى ، اقتربتْ منه ، وضعتْ يدها في يده ، سارا تحت المطر المتساقط ، حتى الفجر ، وكانتْ كالطفل تغني ، تقفز من فوق البرك المائيَّة ، تعدو هاربة وتعودُ . شوارعُ لندنَ كانت تتنهَّد في عمقٍ والفجر على الأرصفة المبتلَّة في عينيها ، يتخفى في أوراق الأشجار . أجاب : « أنا ، لا أدري » وبكى . قالت : « سأراك غداً »، عانقها ، قبّل عينيها تحت المطر المتساقط . كانت كجليد الليل تذوب حناناً تحت القبلاتْ

- ٢ -

عانقها ثانية وافترقا تحت سماء الفجر العارية السوداء

- ٣ -

كانت تبكي في داخله سنوات طفولته الضائعة العجفاء

- ٤ -

كان يراها في الحلم كثيراً منذ سنينٍ . كانت صورتها تهرب منه إذا ما استيقظ أو ناداها في الحلم. وكان بحمى العاشق يبحث عنها في كل مكانٍ . كان يراها في كل عيون نساء المدن الأرضية، بالأزهار مغطاة وبأوراق الليمون الضارب للحمرة ، تعدو حافية تحت الأمطار ، تشير اليه : « تعال ورائي »

يركض مجنوناً ، يبكي سنوات المنفى وعذاب البحث الخائب عنها والترحالْ

- ٥ -

كانت تنشب في داخله معركة بين المعبوداتْ :

واحدة ماتت قبل الحبِّ وأخرى بعد الحب وأخرى في المابين وأخرى تحت الأنقاضْ

- ٦ -

ثورة موتي كانت زلزالْ

- ٧ -

و « تعال ورائي » ظلت في لحم السنوات العاري

ودم الحب المُغتال

جرحاً لا يُشفى وحنيناً قتّال

- ٨ -

كان يراها في كل الأسفارْ
في كل المدن الأرضية بين الناسْ
ويناديها في كل الأسماء

- ٩ -

كانت تتخفّى في أوراق الليمون وأزهار التفاحْ

- ١٠ -

« واترلو » كان البدء وكل جسور العالم كانت تمتد لواترلو ، تسعى للقاء الغرباء

- ١١ -

تحت عمود النور التقيا ، ابتسما ، وقفا وأشارا
لوميض البرق وقصف السحب الرعدية ، كانا يعتنقان

- ١٢ -

كان يمارس سحراً أسودَ في داخله : « تأتي أو لا تأتي ؟ من يدري ؟ » مجنوناً كان

- ١٣ -

كانت في يده دمية شمعٍ يغرز فيها دبوساً من نارْ
« حبيني » قال لها ، واتقدت عيناه
بشرارة حزن يصعد من قلب المأساة

- ١٤ -

شاحبة كالوردة تحت عمود النور رآها . جاءت قبل الموعد . كانت في معطفها المطري الأزرق . قبّلها من فمها . سارا . قالت : « فلنسرع ! » ضحكا دخلا باراً ، طلبا كأسين . أقتربت منه ، وضعت يدها في يده . قالت عيناه لها : « حبِّيني » غرقا في حلمٍ . فرآها ورأته . في ارض أخرى تحرقها شمس الصحراء . ابتسما ، عادا من أرض الحلم . أراها صورته بلباس البدو الرُحل . قالت :
« من أنت ؟ »
أجاب : « أنا لا أدري » وبكى . كانت صحراءٌ حمراءْ
تمتد وتمتدُّ الى ما شاء الله
لتغطي خارطة الأشياء

- ١٥ -

عانقها ، قبّل عينيها . لندنُ كانت تتنهَّد في عمقٍ
والفجر على الأرصفة المبتلة في عينيها يتخفَّى في أوراق
الأشجارْ

- ١٦ -

« عائشة اسمي » قالت : « وأبي ملكاً أسطورياً كانْ
يحكم مملكة دمَّرها زلزال في الألف الثالث قبل الميلاد » .

٢ - ١٢ - ١٩٧٤

هوامش

● **كريم** : شخص أسطوري احترق وأصبح رماداً عندما حاول أن يحل قميص حبيبه .

● **رفائيل البرتي** : من أعظم شعراء أسبانيا الأحياء ولد عام ١٩٠٢ . حارب في صفوف الجمهوريين وشارك مشاركة فعّالة في مقاومة الفاشية في بلاده . اشترك مع لوركا في تأسيس اتحاد المثقفين المناهضين للفاشية عام ١٩٣٦ . قضى معظم سنوات حياته في المنفى بالأرجنتين . وكان من أول الشعراء الذين رحبوا بثورة كوبا . يعيش الآن في روما .

● **انطونيو ماشادو** : من أهم الشعراء الأسبان في القرن العشرين ويمثل جماعة الأدباء التي سمت نفسها جيل (١٨٩٨) . ولد عام ١٨٧٥ في اشبيلية ومات سنة ١٩٣٩

لم تكد الحرب الأهلية تشتعل في بلاده حتى ذهب الى فالنثيا ليحارب في صفوف الجمهوريين ثم سار في سنة ١٩٣٩ على قدميه حتى وصل فرنسا عبر جبال البرانس ولكنه لم يلبث أن مات من الإجهاد بعد وصوله الى الحدود بقليل

● **توليدو** : طليطلة .

● هناك تضمين في المقطع الخامس من قصيدة (الموت والقنديل) من قول المتنبي :

وسوى الروم خلف ظهرك روم   فعلى أي جانبيك تميل ؟

● **دلفي** : من المعابد المهمة جداً عند قدماء الإغريق كان ينسب إلى أبولو خلال العصور التاريخية ، على الرغم من أن أسطورة المعبد التي تؤكدها بعض القرائن الأثرية ، تنهي الينا أن هذا المعبد كان هيكلاً لالهة الأرض ، رغم انه كان قد اكتسب فعلاً صفة العراقة وعلى النقيض مما كان يفعله معظم من كانوا يدلون بنبوءات يونانية ، فلم يكن ابولو يبعث بأحلام منذرة الى من يسألون المشورة أو يستخدم الوسائل الآلية مثل ضرب القرعة أو يلجأ الى الفأل ذاته ، بل كان يوحي

مباشرة الى نبته (البوثيا) نسبة الى بوثو Pytho وهو الاسم القديم لمدينة دلفوس بالإجابة عن السؤال المطروح ، فتنطق وهي في حالة غيبوبة بكلمات قد لا تحمل أي معنى على الإطلاق بالنسبة للسائل ، الذي يتسلم بعد ذلك من احد كهنة المعبد رداً مكتوباً في الوزن السداسي يمثل عادة الترجمة الحرفية لما قالته .

- **الإيجي** : نسبة الى بحر إيجه الذي يحاذي ويفصل بين اسيا الصغرى وبلاد الإغريق

- المقصود بالشعر الصافي في (القصيدة الإغريقية) : الشعر الذي تسكنه القضية بحيث يصبح هو اياها وهو مفهوم مغاير تماماً لمفهوم الرناسيين وغيرهم للشعر الصافي

مملكة السنبلـة

النور يأتي من غرناطة

- ١ -

أتكور طفلاً كي أُولد في قطرات المطر المتساقط فوق الصحراء العربية ، لكن الريحَ الشرقية تلوي عنقي ، فأعود إلى غار (حِراء) يتيماً ، يخطفني نسرٌ ، يلقي بي تحت سماء أخرى ، أتكور ثانية ، لكني لا أولد أيضاً ، أتخطى الوضع البشري ، أدور وحيداً حول الله وحول منازله في الأرض، يلاحقني صوت كمان يعزف في الليل عليه مئات العشاق المسكونين بنار الميلاد ، أحاول أن أتوقف عند الوتر المرتجف المقطوع ، ولكن الموسيقى تجرفني ، أصرخ عند الذروة ، إيقاع مصحوب ببكاء إنسانيٍّ يندفع الآن ويخبو ، موسيقي أعمى ينزف فوق الأوتار دماً ، يرفع مثلي يده في صمت فراغ الأشياء ، ويبحث عن شيء ضاع ، يدور وحيداً حول الله ، بصوت فمي أو فمه يصرخ ، تحمله الذروةُ نحو قرار الموجة ، يبكي تحت سماء بلاد أخرى ، لكن الأوتار تظل تلاحقني في صمت القاعة . من منا يولد في هذي الصحراء الآنْ .

- ٢ -

يعري الموسيقي الأعمى جرحك أم جرحي ؟ من منّا ينزف فوق الأوتار دماً ؟ من منا العازف تحت الشرفات العربية في غرناطة ، يبكي حباً ما ، وحبيباً ما ، ويطوف أزقتها مخموراً في وحشة من يرحل أو يبقى ، يبدأ أو يُنهي رحلته ، ويقول وداعاً لمآذن قصر الحمراء ، يدور وحيداً ، حول الله وحول منازله في الأرض ، يلاحقه صوتُ كمانٍ . لن أبحث عن أوتارٍ أخرى ، فغنائي بلور حطمه في أرض الصيرورة صوتُ غناء الإنسان الواعد والحب الموعود . لماذا عربانُك في بابي تقفُ الآن ؟ وخيلُك تصهل تحت وميض البرق الداهم في هذا الليل الأسباني ؟ لماذا لم تُطلق قوسك في برج الجوزاء لكي يأخذ وجهي شكل أبي الهول الرافض في بسمته العدمَ المجهولْ ؟

- ٣ -

ما يبقى هو هذي النار
وعذاب الشعراء

- ٤ -

رجل في سفر ، يترنَّح وهو يتوِّج امرأة بضفائرها ، ويعانقها ويقول لها : يا ضوء الحب ويا لغةً يُستولدُ منها وبها ولها هذا الطفل المتكور كي يولد في قطرات المطر المتساقط فوق الصحراء العربية ، لكن الريح الشرقية ، تلوي عنق

الطفل وتذرو السحب البيضاء هباءً ، ويظل الرجل الطفل سنيناً في سفرٍ . ما يبقى يهدمه أو يبنيه الشعراءْ ، ويقول لها من منّا الخاسرُ في لعبة هذا الحب الهدّامْ ؟
ولماذا يسكنني هذان الضدّان ؟
« لن يبني بيتاً ، من لا بيت له الآن »
لكن المرأة تبكي غربتها في منفى لغة الرمز ، تخون ويسقط تاج الذهب المضفور على قدميها . صوت كمانٍ يعزف في الليل عليه مئات العشاق ، يلاحقني ، أتوقف عند الوتر المرتجف المقطوع ، ولكن الموسيقى تجرفني ، أصرخ عند الذروة من منا ، غرناطة ، خان وباعَ عذابَ الشعراءْ وسنابل قمح الفقراء ؟
من منّا مات على الأسوار ؟
إيقاع مصحوب ببكاء إنسانيّ يندفع الآن ويخبو موسيقي أعمى ينزف فوق الأوتار دماً ، يرفع مثلي يده في صمت فراغ الأشياء ، ويبحث عن شيء ضاع ، يدور وحيداً حول الله ، بصوت فمي أو فمه يصرخ : مَنْ منّا خان الآخر ؟ من منّا حباً مات ؟

ـ ٥ ـ

المرأة ظلت تبكي في منفاها الأبدي وتبكي النافورةُ في قصر الحمراء .

١٩٧٧/٦/٢

إلى سلفادور دالي

- ١ -

مملكة السنبلة ، الآن ، أراها في كتب الشعراء الفاشية وفي موسوعات البوليس السرِّيِّ تُعرى ، تُنهب ، يُعدم فيها الشعراء ويُنفى عنها الحكماءُ .
يسمل «دالي» في ريشته عينيها ، يرقص فوق قبور المنفيين الموتى ، يرسم في ذيل غرابٍ جنرالاً من ورق تحمله الريح إلى مزبلة التاريخ . يُصفِّي الموتُ حسابَ الإرهاب ، يُعرِّي أقنعة الفنِّ العدميِّ الصاعد من أرض خرافات الفاشية بعد أفول شموس عصور الإيمان ، وموت الثوراتْ .
ونعيب الغربان
فوق الأنهار الوحشية بعد الطوفان
يصعد للقمة وحش في عينيْ إنسان
يرسم في ريشته جنرالاً من ورق فوق خرائب
«بلباو»

- ٢ -

شعرور متشاعر
يطلق في الفجر النار على شاعر
ونويقِد

مأجور وعميل للبوليس السري ، رخيص ، في ذيل غراب ،
يشرب نخب شويعر
في ملكوت الفاشية تحت سماء خريف عاقر .

- ٣ -

يدخل « دالي » من باب خلفيٍّ ، مأخوذاً بحريق الألوان
وخداع المجد المزهوِّ بريش الطاووس الفنان .

- ٤ -

نار الشعر تهاجر
ويموت الشاعر
لكن الأرض تدور وتبقى شاهد نفي للجدل الدائر
في هذا العصر المسكون بصوت الرعد الماطر

- ٥ -

(لوركا) يغتسل الأن بينبوع الدم
(ماشادو) تحت رماد النجم
يكتب في حجر بركاني أبياتاً فوق الثلج
(ألبرتي) في روما يستقبل في غرفته ، الآن ، الشمس
(بيكاسو) كالطفل ينام سعيداً ، منتظراً ، خاتمة الدرسْ

- ٦ -

في قصر الحمراء
يبحث عبد الله
عن سيف خبأه بين دواوين الشعراء
يبكي حباً ضاع
ينتظر الشمس ، لتشرق ثانية فوق الحمراء

- ٧ -

لا غالب إلاّ الله
فلماذا يبكي عبد الله ؟

- ٨ -

مملكة السنبلة ، الآن ، أراها تنهض بعد الموتْ
يتحرك في داخلها شعب كخلية نحل
تنهض (جورنيكا) من تحت الأنقاض ، تُصفي ميراث القتلْ

- ٩ -

تمضي مركبة نحو المريخ

تسقط أوراق التين
عن عورة (دالي - سولجستين)

- ١٠ -

يضرب عرّاف أشجار الزيتون بسيف الريحْ
يجرح خد الأرض العطشى ، فتدور على قرنيْ ثور مذبوحْ
يأتي عصر يوضع فيه الشعراء الفاشيُّون
في أقفاص ويُطاف بهم في السوق
ويُنادى بقوافي الكذب الموزن عليهم وبجرٍّ المرفوع .
تسقط فوق كتاب البحر المفتوح
قطرةُ نورْ
من أبعد نجم ، يخرج (لوركا) من بين الأقواس
كالريح فتياً ، كالنار
يستقبل (ألبرتي) عبد الله
في قصر الحمراء
يتلاقى كل العشاق الفقراء

١٩٧٥/١٢/٠

الأولى

- ١ -

ما بين ليالي القطب البيضاء ونار خرائب هذا الفجر الدامي ، تتوقف أحياناً مركبة حاملةً جثثاً وطيوراً ميتة ، تنزل منها سيدة في عمر الوردة ، تمضي في جوف الليل إلى غابات البحر الأسود ، يتبعها ويتوّجها نجم أسطوري أخضر ، تحاول أن تتوقف ثانيةً ، لكن الريح تناديها في جوف الغابات ، فتمضي تاركةً فوق مدار الأرض القطبي المدن ، الحانات ، قواميس الشعراء العشاق ؛ وعائدة للمركبة - السيدة المجهولة - لكني أتبعها وأحاول أن أستبقيها في خوف الطفل وذعر الملاح بُعيد غياب النجم القطبي على أطراف الأقيانوس المهتاج ، ولكني أسقط تحت ضباب الأشجار ، وألمح من بين أصابع كفي في الأفق رحيل المركبة - السيدة المجهولة ، نقطة ضوء أسود في قاع إناء الأفلاك السيّارة، تخبو وتجفُّ لتبقى فيها نارٌ لا تخبو في القاعْ .

وأوارُ قتالْ

أحمله كل مساء وجعاً وضياعاً في الحاناتْ

فإذا جن الليل ، ينام ، ليصحو ثانية في جوف الأسحارْ

حباً مفترساً ، أعمى ، لا يُشفى أو يُروى أو يُغتال

- ٢ -

ها أنذا أرحل في نومي ، ما بين ليالي القطب البيضاء ونار خرائب هذا الفجر الدامي ، أتوقف أحياناً في بارٍ أو مقهى فجرٍ أتنفس في عمق ، أزفر ، أتوقف عند نوافذ هذا البيت وذاكَ ، أقول لنفسي : من يدري ، قد تهبط في هذي المرة حافية تحت الأمطار بوارسو أو باريس ، أو هي نائمة خلف نوافذ هذا البيت المهجور ، سأسأل عمّال محطات المترو ، من يدري ، قد تفتح نافذة في هذا الفجر ، وتهبط منها نحو الشارع في عمر الوردة ، غامرة بضفائرها وجهي ، وأقول لنفسي وأنا أبكي في برد الطرقات : لماذا لم تتحدَّث أوراق البردية عنها ؟ ولماذا لم تترك عنواناً في شباك بريد الليل الآتي ؟ وأحدِّث أشجار الشارع عنها ، وأقول لها : إني أعمى ضيّعت حياتي ما بين المنفى والمنفى ، أترقَّب مركبة تهبط من بين أصابع كفي . ما بين عذاب الشعر وموتي هبطت مرات ، لكني لم أسأل أو أتساءل في حمّى دوران الأفلاك ، لماذا تركتني أبحث عنها في كتب السحر وقاع الآبار ؟

- ٣ -

أحياناً ألمح إيماضاً وإشارات في قاع إناء الصمت المكسور وفي ليل الأفلاك السيارة ، ثمّة إنسان في جوف الليل يراقبني في نجم دريٍّ آخر ، يقرأ أفكاري ويُسرِّح شعري

مبتسماً ، أسمعه يتلفظ باسمي ، ويقول : تعال إذا ما جن الليل القادم أو أعولت الريح وراء جبال الأورال ، أقول له : إني أعمى ووحيد. ينطمس الصوت وأبقى فوق رصيف محطة نومي مشدوداً في حجرٍ مغناطيسيٍّ مغموراً بالظلمة في قاع جحيمي . ما بين عذاب الشعر وموتي ، ألمح إيماضاً وإشارات أخرى من مركبة تمضي ما بين خرائب هذا الفجر الدامي وسماء ليالي القطب البيضاء .

- ٤ -

سيدتي المجهولة في جوف الليل تراقبني، أتنهد في حمى دوران الأفلاك .

١٤ - ٥ - ١٩٧٧

مقاطع من عذابات

فريد الدين العطّار

- ١ -

بادرني بالسكر وقال : أنا الخمر وأنت الساقي، فلتصبح يا
أنتَ أنا محبوبي ، يرهن خرقته للخمر ويبكي مجنوناً
بالعشق ، عراه غبارٌ ، قلبي من فرط الأسفار إليك ومنك ،
فناولني الخمر ووسِّدني تحت الكرمة مجنوناً ولتبحثَ عن
ياقوت فمي تحت الأفلاك السبعة ، ولتُشعل بالقبلات
الظمأى في لحم الأرض حريقاً . مرآةً لي كنتَ ، فصرتُ أنا
المرآة، أعريك أمامي وأرى عُريـي، أبحث في سكري عنك
وفي صحوي ، ما دامت أقداح الساقي تتحدث دون لسانْ .
يا روح عناصر هذا العالم ، يا أضواء اللّيل الفضيةِ والزرقاءْ
ها أنذا أسجد في الحضرة سكرانْ
ضيفاً لمليكة هذا الليل المسكون بروح الصهباء
أهذي والخمر معي تهذي ، قيثار العشق ، أُعريك أمامي
في الحانْ
ما كنت أبوح بحبي ، لو لم تسكب هذي الغاباتُ الملكية
خضرتها في الماء

- ٢ -

ما في الجبة إلاّ الإنسانْ

- ٣ -

مرآةً لي كنت ، فصرت أنا المرآة

- ٤ -

أعقرُ ناقة هذا الليل الصحراوي الأسيان، وأهذي بجوار الدن المجروح أقولُ : سيأتي عصر أو زمن يُصبح فيه الإنسان سديماً لأخيه الإنسانْ
(ومليكاً للأفلاك . . .) السبعة ، يرهن خرقته للخمر ويبكي مجنوناً بالعشق، وتنهض عائشة من تحت الأعشاب البرية والأحجار السوداء غزالاً ذهبياً تعدو وأنا أتبعها تحت الكرمة مجنوناً ، أمسكها وأُعريها وأرى عريي . مرآة لي كنت ، فصرت أنا المرآة . أقول : سيأتي ! لكن الريح وراء الأبواب تراقص أجساد الأشجار العارية الصفراء وتُلقي بمصابيح الشعراءْ
في قاع الآبارْ
ما كنت أعري جرحي في الحضرة لو لم أفقد عائشةً
في حان الأقدار

ما كنت أبوح بسري للنجم الثاقب لولاكْ
لا غالب إلّا الخمّار ، فناولني الخمر ووسِّدني تحت الكرمة
مجنوناً
ولتبحث عن ياقوت فمي تحت الأفلاك

- ٥ -

حولك في النوم أطوفْ وأسقط في كابوس الصحو الملتاثْ

- ٦ -

لن أُهزم حتى آخر بيت أكتبه ، فلنشرب في قبة هذا الليل
الزرقاء
حتى يدركنا الليل الأبدي ونغفو في بطن الغبراء

- ٧ -

سأموت أنا وتموتين
فلماذا . . في أعراس الدنيا تبكين ؟
وتدورين ؟
يا قرة عين الساقي المجنون

- ٨ -

سَفَرٌ لا حد له وسباق قذر في حلبات الدنيا ؛ والدنيا رغم

بريق نجوم الليل ، سحاب يركض مهزوما ؛ يسقط من شرفات هواها اللص الفاتك والعبد المملوك . لماذا نرحل إن كنا قد جئنا ؟ ولماذا قبل قطاف الورد نموت ؟ لماذا في أعراس طفولتنا نبكي ونلف بخوف وندور ؟ ناولني الخمر ووسدني تحت الكرمة مجنوناً ، فالموت الحيُّ المتربص في الحانات وفي الأسواق وفي عينيْ هذا الساقي يُغمد في صدري سكينا ؛ أصرخ ، لكني من فرط الأسفار إليك ومنك ، أُسائل في سكري عنك وفي صحوي . فلتصبح يا أنت أنا محبوبي ، يرهن خرقته للخمر ويبكي مجنوناً بالعشق .

- ٩ -

مرآة لي كنت ، فصرت أنا المرآة

- ١٠ -

لا غالب إلاّ الخمار

دم الشاعر

- ١ -

صوت الشاعر فوق نحيب الكورس يعلو ، منفرداً ، منحازاً ضد الموت وضد تعاسات البشر الفانين ، بنار سعادته السوداء يجوب العالم ، منفياً يتطهر ، لا اسم له ، وله كل الأسماء، بقانون أزلي يتحول، يقتل هذي الوحشة، يقضي بالشعر عليها ، كم هو شرير أن يسكنك الشعر : « إلهي ، بين يديك أنا قوس، فاكسرني » ، ومحب محبوب ، فاهجرني، كم هو شرير هذا الحب القاسي، لا اسم له ، وله كل الأسماء ، فتياً كالريح على أبواب المدن المسحورة يأتي أو لا يأتي، كرماد حريق يتوهج في قلب الشاعر منطفئاً أو مشتعلاً، يولد مبتوراً أو مكتملاً ينمو في أدغال النفس الوحشية طفلاً يحبو في أصقاع النور، ليشعل نار الإبداعْ.

- ٢ -

كم هو شرير أن يسكنك الشعر ويعلو صوتك فوق نحيب الكورس ، منفرداً ، يأخذ بالألباب .

- ٣ -

ينخرُ سوس الكلمات
الكتب الصفراء
فعلامَ الضجة في سوق الورّاقين ، علامَ يزايد هذا الوزّان ؟

- ٤ -

وزنتك يا وزّان الشعر ، فكنت خفيفاً في الميزان*

- ٥ -

نائية تلك الأرض ، ربيع يزهر فيها وهو مريض ، يُجبر أن يتفجر موسيقى وزهوراً حمراء وأمطاراً ، وعليها يتأوه تحت ضياء المصباح الزيتي وتحت الأيقونات ، وحيداً مهجوراً عمرُ الخيام ؛ وعائشة تبحث عن وجهي في مرآة الزمن المكسور معلّقة رأسي فوق خيام قبيلتها نذراً للطير ، ربيع شهوانيٌّ أسودُ في عينيها يدعوني ؛ وأنا في القرن العشرين ، بنار صواعق حبي أدعوها ، كمجوسيٍّ يهذي في أعياد الجسد الأرضية تحت الأقمار السبعة ؛ في بار إغريقي ، أدفن وجهي في نار ضفائرها الحمراء وأرقص حتى الفجر ،

(*)عن سان جون بيرس .

أقول سلاماً للنار
(ولكن النار)
تأخذ شكل العنقاء ، وتصبح عائشة في الفجر رماداً
وتطير إلى أرض أخرى ، بين يديك أنا قوس ، فاكسرني ،
ومحب محبوب ، فاهجرني ؛ كم هو شرير هذا الحب
القاسي ، لا اسم له ، وله كل الأسماء .

- ٦ -

رجل بالموت مضاء ، قلق ، تحبسه أعمدة ووهاد وجسور ،
يركع في منتصف الليل أمام العنقاء . هنالك عاصفة تعوي
وتزمجر عبر البار الإغريقي
ـ علينا أن نسرع
ـ فات الوقت
ـ البرد شديد في الشارع
ـ لا ؟
ـ ماذا تكتب أنت الآن ؟
ـ معذرة لا أكتب شيئاً ، بل لم أكتب منذ انتحرت عائشة
أو رحلت ، فالموت فراق ، والعكس صحيح أيضاً ، والشاعر
إنسان مثلي أو مثلك ، لا تاريخ له ، إلّا تاريخ الروح .

يمد الرجل المسكون بضوء الموت يداً لصديقته ويُسرُّ لها
شيئاً ، **يضحك** . تبكي .عائشة في المرآة بنار ضفائرها الحمراء

ترقص حتى الفجر ، تقول سلاماً ، للنار

- ٧ -

ما بين الشاعر والكومبارس
هذا الباب المغلق والمتراس

- ٨ -

بدم الشاعر ، هذا الحب القاسي ، يكتب تاريخ الروح .

قدّاس جنائزي إلى
نيويورك

- ١ -

وحش حجريّ يتربع فوق الفولاذ المسنون ، بعين واحدة
يرنو لليل المثقوب بطلقات رصاص ، ينفث في وجه الفجر
دخاناً ، ينشب في لحم الساعات مخالبه ، يتمطى فوق رغاء
الأصوات المسحوقة ، تغلي في داخله أوساخ الطوفان
البشري المهزوم ، بعينٍ أعماها النور يحدق في طقس
الروتين اليومي ، وجدولٍ أعمال النمل ، وفوق قناني الخمر
الفارغة السوداءْ .
يتناوم سكرانْ
تملؤه أحلام اليقظة ، منتفخاً ، جوعان

- ٢ -

كانت في صندوق قمامة ليل تثقبه صيحات الأطفال
تبحث عن حكماء اليونان السبعة أو نجم الميلاد
« اقتربي منّي ! » قال لها ، مكسور القلب ونام

- ٣ -

موسيقى تعلن عن « عامورة » في القرن العشرين
و « سادومْ »
المجهول المعلوم
للأجساد البشرية في علب الليل المهزوم

- ٤ -

في FIFTH AVENUE ينطفيء النورْ .

- ٥ -

TELL ME WHAT WASTHAT?

- ٦ -

في نقطة ضوء « والت ويتمنْ »
يبحث عن أمريكا في أمريكا . . .
من يبكي بين مخالب هذا الوحش الضاري ، منْ ؟

- ٧ -

الأبيض والأسودْ
الأحمر والأصفر

طفح جلدي ودماملُ فوق جبين الوجع الأكبر

- ٨ -

جنرالات وملوك مأجورونْ
من كل القارات ، برسم البيع ، هنا ، في أفلام
الجنس الممنوع وفي إعلانات الصابون

- ٩ -

ادفع دولاراً ، تقتل إنساناً ، باسم القانون

- ١٠ -

لمغني الشارع في « هارلمْ »
وجهُ عجوزٍ ، خشبي ، محزوز، نائمْ
تحت رماد الصيف الزنجي الراحل

- ١١ -

سيدتي ، تبحث عني ، وأنا أبحث عنها في الطوفان
ضلّت قدمي في أبراج الفولاذ المسنون وضاع العنوان

- ١٢ -

الحب دخان

- ١٣ -

تذرف دمعاً فسفورياً ، عين الوحش الرابض قرب البحر ،
يعدّ نقود الصرافين ويقرأُ طالعه في سفر الرؤيا
إعصار دموي يطفو فوق الكرة الأرضية ، مصحوباً بالهزات
وبالرعد ، فيصبح هذا الليل نهاراً والأسود أبيضْ
والأصفر أحمر
والأبيض أسود
والأحمر أصفر ؛
وطيور من نار وحديد ، تستأصل هذا الوجع الأكبر

- ١٤ -

أرثي للطوفان البشري المهزوم وكهان الهيكل

٩-٣-١٩٧٧

صورة للسهروردي في شبابه

- ١ -

لو كان البحر مداداً للكلمات لصاح الشاعرُ : يا ربي ، نفدَ البحرُ وما زلت على شاطئه أحبو . الشيب علا رأسي وأنا ما زلت صبياً لم أبدأ بعد طوافي ورحيلي ، فإذا احترق الخيَّام بنار الحب وأصبح في حان الأقدار حجاباً ، فأنا حول النار فراش ما زلت أحوم وأُفني ليلي سُكراً ، أتأمل وجه القمر الفضي الأزرق في صحراء الحب يغيب ، ليترك في أقداح العشاق رماداً . كنت أحبك حتى الموت ، فأين مضى حبك ؟ واعجباً ! قلبي مرتعد كالوَرْقة يسألني : أين مضى ؟ ما أوحش هذي الصحراء ، ولدنا فيها ، أحببناها ورحلنا ، عانينا فيها موت الروح ، حملناها كبريق ذهبي يتغلب هذا الليل عليه ، يموتْ .

كنتِ أريدك لي وحدي ، لكنك كنتِ لكل العشاق
كنتِ تخونين الواحد باسم الآخر ، يا مشروع امرأة ألقيتُ بها في سل الإهمال .
أتأمل وجه القمر الفضي الأزرق في مرآة الحان
أتأمل وجه العشاق

الشيب علا رأسي وأنا ما زلت صبياً لم أبدأ بعد طوافي
ورحيلي في الكلماتْ .
فإذا نُحر الحلاج وأصبح في تاريخ العشق شهيداً ، فأنا لم
أبدأ عرس دمي حتى الآن

- ٢ -

كنت أُحبك حتى الموت ، فأين مضى حبك ؟ واعجبا !
قلبي مرتعداً كالورقةِ
يسألني : ما أوحش هذي الصحراء
أتوغل فيها مجنوناً ، بالكلمات
أتأمل وجهي في المرآة
وأقول له : ها نحن معاً ، فاكتم أمر رحيلي ، حتى لا
تُنهَب ، يا حادي الأضعان

- ٣ -

بدم القلب ، كتبت وأشعلت النار
بهشيم الكلمات
لكني لم أبدأ في إشعال النار بقلبي ، حتى الآن

- ٤ -

يسري سم بعروقي ، قطرات دمي تصرخ ظامئة وتقول

أحبك أو كنت أحبك ، لا أدري الآنْ
فأنا أخبط في ليل وأموت على قدحي ظمآن
حانات العالم تعرفني ومقاهي أرصفة الفجر الأسيان

- ٥ -

يا من أوقفني ما بين الجسد المشدود كقوس والمُطلَقْ
يا من أوقعني في هذا المأزق
حطّم هذا الزورق
بصخور شواطىء يم الليل الأزرق

- ٦ -

أعرفها تلك الشطآن ، فمنها أبحر أجدادي للصين وعادوا
مبهورين بأنياب التنين، ومنها أقلع عمال البحر لصيد اللؤلؤ
في بحر الهند وعادوا، أكثر مما كانوا، فقراءْ
أعرفها تلك الصحراء المائية ذات الأثداء
وهي تعري سرتها للشمس الحمراء
أعرفها وأراها كل مساء في حان الأقدار
بجواهر زائفة وعيون من خزف تلك الشمطاء
تغوي الساقي ، فيخون
ويبوح بسر شهيد العشق المقتول

- ٧ -

أوقفني في باب الممنوعات
« منها » : قال : « الكلمات »
« فتعقلْ في هذا الباب » وغاب

- ٨ -

ممنوع : أفلاطون
وأرسطو والمتنبي وجلال الدين
في هذا الجحر الملعون

- ٩ -

يسقط رأسي مقطوعا في طبق السلطان
وأنا لم أبدأ رحلة عمري حتى الآن

سأبوح بحبك للريح وللأشجار

- ١ -

تقبع في غرفتك الآن وحيداً ، تنهال التذكارات ، فها هي ذي الدنيا : جسد امرأة تتأوه تحتك ، مغمضة عينيها ، يسقط ثلج أسودُ فوق الخدين ، فتبكي في صمت ، فسنابل قمح الجسد العاري ، تكسرها ريح مغيب ، يتوغل في مدن لم تولد . من أي مدار شمسيٍّ تهبط فوق الأرض : العربات الذهبية حاملة للجسد المنفي ، بذور الإبداع ونار الخلق الأولى ؟ من أي السنوات الضوئية ، يأتي هذا الضيف الحجري بسلة أثمار الصيف ؟ فتبكي في صمت . من أي نهار ينبثق الفرح الباكي ويموت ، ليترك فوق الأوراق نجوماً وعصافيرْ

وإلى أين تسير ؟

هذي الدنيا بعباءتها في الريح ؟

امرأة حبلى في الشهر التاسع قرب البحر تصيح

تتشهّى القمر الليموني النائم فوق سطوح الريف

- ٢ -

يا امرأة الهملايا وسفوح الأنديز

نامي في قاع محيط الروح
حتى يتفجر البركان ويعوي كلب الرؤيا المسعور

- ٣ -

ربات الأقدار
يرقصن على موسيقى الجاز
في صالة رقص الأمطار

- ٤ -

ها أنت تشد الأوتار وتبكي في أعقاب طقوس الإخصاب
لبذور الخلق الأولى ، تحت رماد الأحقاب

- ٥ -

عاصفة تقتلع الأبواب
تلقي بخريطة هذي الدنيا فوق الأرض وتطفىء ضوء المصباح

- ٦ -

ها أنت تواجه نفسك في المرآة
بقميصك نار تشتعل الآن

- ٧ -

يتوغل في قلبك حزن الليل الإسبانيّ وثلج الغابات الروسيَّة، تسقط من فوق الكرسيّ مريضاً ، تأكلك الحمى ، تصرخ ، لكن الصرخات تضيع هباء . النجدة ! إنسان يحترق الآن وحيداً في غرفته ، يتشبث بالحبر وبالأوراق، بخارى بمآذنها الزرقاء تصلي للأنهار الوحشية في أعماق الليل وتتلو آيات زرادشت الأشجار ، ربيع شعوب يولد من حبات القمح ومن صلوات الريح ، وأنت تصلي للشعب المأخوذ العاري من حد الماء إلى حد الماء
ترسم خارطة لعيون المعبودات وربات الأقدار
تسقط من فوق الكرسي مريضاً فوق الخارطة البيضاء

- ٨ -

يا امرأة الهملايا وسفوح الأنديز ، لماذا فوق سرير الأمطار تنام جبال الفيروز ؟

- ٩ -

يموت الشاعر منفياً أو منتحراً أو مجنوناً أو عبداً أو خدَّاماً في هذي البقع السوداء وفي تلك الأقفاص الذهبية ، حيث الشعب المأخوذ العاري من حد الماء إلى حد الماء يموتُ

ببطء ، تحت سياط الإرهاب ، وحيداً ، معزولاً ، منبوذاً ، محروماً قرب الأقفاص .

- ١٠ -

يا امرأة ستكون
سأبوح بحبك للريح وللأشجار
وأعيد كتابة تاريخك فوق الخارطة البيضاء

ـــــ تأملات في الوجه الآخر للحبّ ـــــ

- ١ -

لا أكتب شعراً من ذاكرتي أو ذاكرة الموروث المحبط ، لكني في حرب عصابات الشعر على الأعراف المحشوَّة قشاً والموت المجّاني ، وراء المتراس دماً أنزف ، مسكوناً بقوى الثورة والكون المتغير ، أصنع ذاكرة لوجود الإنسان الغائب والحاضر . روحي مركبة ترحل نحو الداخل والخارج باحثة عن جوهر هذا الحب الثابت والمتحوِّل في قاع الإبداع التاريخيِّ وفي بهو مرايا القرن العشرينْ .

لغتي تخرج من معطف أبطال البشر الفانينْ
تسكنها صيحات سكارى ومجانين
ولدوا من أوجاع العصر الذريِّ وطوفان حروب التحرير
جُنُّوا في أقبية التعذيب
ماتوا في حرب الطبقات الشعبية مجهولين
حلَّت فيهم روح الشهداء القديسين
في بهو مرايا القرن العشرين
تتسكع حاملة قنبلة بيد وبأخرى أوراق الريح
تخطف جلاداً أو ملكاً ديناصور
تعدمه باسم قوانين حروب التحرير
تُسقط أزمنة شاخت وتقيم على أنقاض الأزمان جسور
اللغة الفعل النار النور

تعلن ميلاد الإنسان الشاعر في كوكبنا المهجور

- ٢ -

فليستيقظ صنّاع الكلمات
ومغنو الثورات

- ٣ -

الثورة شعر والشاعر إرهابي ضد اللامعنى واللامعقول

- ٤ -

قانون جدليٌ يتحكم بالكلمات ، فيفرغها من معناها أو يملؤها ويجسّد فيها طاقات لا حصر لها ، يصبح من فرط غناها هو إياها ، يتحكم بالإنسان الشاعر ، بالأرض المجنونة وهي تدور .

- ٥ -

الشاعر إرهابيٌ ضاق به التعبير
يسكن عقل الثورة ، مسكوناً بقوى التغيير
وبآلات التدمير

- ٦ -

يسقط أحياناً في فخ خديعة أهواء الليل ويصبح بوقاً أو طبلاً
أجوف في ركب السلطان

- ٧ -

سيدتي ، لم تؤمن ، حتى الآن بأن الأرض تدور
وبأنا ذرات ،لا تفنى ، سابحة في النور
نتعانق تحت نجوم الليل وفي ضوء الشمس نموت
نترك ما تتركه الثورات المغدورة من نار وبذور
في رحم الأرض المحروث

- ٨ -

أُطلق ، من خلف المتراس ، عليك النار
يا طاووس المجتمع المتسلق ، يا قاذورة عار

- ٩ -

أنسف ذاكرة الإنسان العربيِّ المستلب المأخوذ
أنسف ذاكرة العبد المملوك

والموروث المحبط والملك الصعلوك
أنسف ذاكرة الشعراء المأجورين وذاكرة القراءِ المخدوعينْ
أنسف ذاكرة الثوار المرتدين
والعملاء المذعورين

- ١٠ -

الشاعر إرهابي ضد الإرهاب
يخرج من معطف ثوار التاريخ ويخرج من معطفه الثوار

- ١١ -

أرمي قنبلة في قاعات لصوص الشعر وأحشو أفواه جواري السلطان رماداً ، أنزف خلف المتراس دماً ، أتوقف بين كنوزي وشباب الأرض الخالد محروماً ، فاستيقظ يا ألم الحب ، مددت إليك يداً أستعطي فملأت دياجيري بالبرق الخاطف . لن يغشاني بعد اليوم نعاس أو نوم أو ينزع عني أحد هذا الإكليل الشوكي صليبي وأنا : فوق لصوص الشعر المأجورين وفوق شعارات المرتدين . صعوداً ! يا ألم الحب مددت إليك يداً ، أستعطي ، فملأت سلالي بثمار الليل الذهبية ، ها أنذا أجثو تحت سماء الوطن العربي المنهوب وأرمي قنبلة في وجه ملوك البترول البدو . صعوداً ! فالشاعر إرهابي مجنون يسكن عقل الثورة ، مسكوناً بقوى التغيير .

- ١٢ -

العالم ساحة إرهاب للشعر ، ومنزل حبٍ للشاعر في القرن العشرين .

رؤيا في بحر البلطيق

- ١ -

تحت قنابل حرب الطبقات وفي غرف الأحياء الشعبية في مدن القارات الخمس ، أتحصن ضد تعاسة حبي بالموت ، أجرُّ ورائي خيط دم ، تسكنني حمى التاريخ ورؤيا عشاق ، نزفوا قبلي دمهم في أقبية التعذيب وناموا تحت الرايات المهزومة ، يصرخ في وجهي شعراء مأجورون وباعة أنقاض الثورات المغدورة ، أحمل رأسي في طبق من ذهب في أبهاء ملوك البدو وقاعات لصوص الشعر وأبكي أزمان الشعراء الثوار . أقول لماذا رحلت عائشة ، تاركة للنار طعاماً ، هذا العبد الآبق في أزمنة القتل يجر ورائي خيط دم ويطاردني في كل مكان ويسد بوجهي بوابة شيراز .

- ٢ -

كنا ندفن موتانا تحت الأنقاض
نبكي من ظلوا أحياء
تحت الأشجار المحروقة والأسوار

- ٣ -

عائشة شمس الفقراء
رحلت بقطار الليل الثلجي إلى شيراز
وأنا نصفي في المنفى والنصف الآخر في الدار
محترقاً ، مجنوناً ، أتبع شارات النار

- ٤ -

من ألقى قنبلة في قاع الآبار المهجورة في مدن القارات ؟
ومن محترقاً مات ؟
تحت قنابل حرب الطبقات

- ٥ -

في بهو مرايا السلطان
يرتجف الشعراء الخصيان
ترتجف الأصفار
والكلمات المأجورة تحت نعال الثوار

- ٦ -

غربان السلطة ، سيدتي ، شعراء ، هم ، أيضاً وإذا لم

أخطىء نظَّامون
بتراث ملوك العجم ـ البدو الفاشيين
وبمال الشعب ـ البترول المنهوب
يتحصن بعض منهم والبعض بحد السكين
وبنوك التأمين

ـ ٧ ـ

جيفارا الليلة فوق مداخن هافانا يظهر للناس
والعذراء على شاشات التلفزيون وفي باب نجوم الأخبار
تعلن عن قمصان للنوم وعن شقق للإيجار
فلماذا يا شيراز
لم تعلن عائشة عن قائمة الشهداء ؟

ـ ٨ ـ

في بحر البلطيق وفي سوق الورّاقين رأيت الشمس بمنقار الليل الوحشي تجاهد أن تبقى في الأفق الأزرق ، لكن الليل الأقوى كان إلى قاع البحر يشد الشمس ، فتهوي غارقة في دمها ، ورأيت الطلاب بباريس أمام القمع البوليسيِّ وفوق مقاعد جامعة السوربون وفي المترو ، للجسد المسكون بضوء وحمى الموسيقى الرعدية ، كانوا يشْدونْ

وأنا محترق مجنون
أتحصن ضد تعاسة حبي بالموتْ
وألوذ بحبل الصمت

- ٩ -

في بحر البلطيق
أقتل نفسي منتحراً وأموت غريق

- ١٠ -

يموت الدكتاتور ويبقى الشاعر

كوبنهاجن - الدنمارك
٢٠ - ٤ - ١٩٧٦

حجر التحوّل

- ١ -

خرجتْ من نار الشعر طقوس الحب ، وظل الشاعر كاهن هذي النار يصون ، بعينيْ طفل ، دعوته ، ويفسر لغز أبي الهول الصامت في فجر حضارات ماتت ، لكنْ ها هو ذا في صخب المدن الكبرى الآن ، وما زال هو الكاهن يستبدل ثوب الكهنوت بزيٍّ آخر . يخلعه الشارع والجمهور عليه . ليدافع عن مهنتِه .

« كان حليفاً لليل ، وعليه أن يشرح ، في دعوته الآن ، النور » ، ويشعل نار الأمل الأرضيّ ويحرث أرض الله ، الحبلى بالثورات

فالشعر هو العصيان

والفرح المكتوب عليه أن يشقى في كل الأزمان

وحضور وغياب لطقوس الحب السرِّيِّ بنار الكلمات

فعلى الشاعر أن يختار

ما بين ربيع الأرض المتمرد والعبد المخصيِّ بباب السلطان

والطبل الأجوف والقيثار

والحلزون الأعمى والنمر الوثّاب

والثائر والشحاذ

- ٢ -

خرجت من نار الشعر الآيات
ونبُّو الثورات
فلماذا شاعرنا مات ؟
فوق رصيف مهجور ، منتحراً بفقاعات الكلمات
ورصاص الطقس المتغير للمأساة وللملهاة

- ٣ -

أتبرَّأ من قافية يزني فيها ثرثارو الشعراء
في لا ـ زمن الثوار

- ٤ -

أشطر قلبي نصفين ، وأعطي نصفاً رحلات الشعر الكونية والبحر وعمال وفلاحي وطني وربيع الأرض الثائر والشعراء المسكونين بنار الشعر الزرقاء ، ونصفاً معبوداتي وقضية شعبي العربي الخارج من منفى التاريخ ، وأحبو طفلاً لاتوج بالحبر وبالصهباء ، مليكة هذا العشق الداهم صاعقة كالقدر الإغريقي الأعمى ، لا مهرب منه ، فإذا ما بحثتْ عني يوماً ، وجدت ناراً ورماداً بمكاني . ليست لغزاً هذي الأبواب الذهبية في عينيك ، وما كلماتي إلاّ صلوات تصعد

من بئر شقاء وفم ينطق باسم جميع المغلوبين . صراع بدأ الآن ، وهذي عربات الفقراء تهاجم أسوار المدن .
الفلاحون العمال : جنود الثورة فوق عروش الطغيانِ ورأس المالْ .
يتوهَّج في داخلهم وطن ينهض من تحت الأنقاضِ وموت الأطفالْ .

- ٥ -

أتبرّأُ من شعرٍ يزني باسم الشعر، ويعلن إفلاس الإنسان

- ٦ -

لا أفهمكم يا شعراء الذات المشبوحة في عامود ضياء
يتقيأ بعض منكم والبعض يغيِّر كالحرباء
ألوان الأشياء
وجلود الحملان
بجلود الذئبان

- ٧ -

ليست لغزاً هذي الألعاب اللفظية في الحانات
ومواخير مدارس أزياء الشعر الصلعاء

- ٨ -

عندي منها آلاف الألعاب
أتركها لمهرج سيرك الألفاظ
فأنا ملك الغابة والحطَّاب

- ٩ -

ألعنكم باسم الفقراء
واللغة الحية مزهرة فوق شفاه البسطاء

- ١٠ -

بتراث معرّي النعمان
والمتنبي وعلي وأبي حيان
وتراث الثورات
أتحصن ضد اللاجدوى ورديء الزمن المرفوض بكل الأزمان

- ١١ -

حبي مشنقةٌ أصعدها في ساعات الصمت وأشنق نفسي لكن جذوري تتشبث في هذي الأرض المعطاء ، وتقطع عني

سلسلة الأفكار السوداء ، وتوقظ فيّ تراثاً مقموعاً للثورات
المغدورة، يبدأ بالنبض كساعات ميتة أيقظها في الليل
حريق ، أنهض من فوق المشنقة السوداء غريقاً بالنور القادم
من مملكة الشعر وشعبي العربي الخارج من منفى التاريخ ،
وأصبح قطرة نور أو مطر فوق قباب الوطن الصاعد من تحت
الأنقاض وموت الأطفالْ
وعروش الطغيان ورأس المال

- ١٢ -

باسم جميع المغلوبين ، صراع بدأ الآنْ .

- ١ -

يعوي في داخله ذئب ، مفجوعاً بأفول النجم القطبي وموت الفجر على أرصفة المدن الأرضية يطعن عينيه الضوء الخابي في نافذة ، يسمع وقع خطاها راحلة ، تذرو الريح كرات الثلج النارية في عري الشارع . ها أنت وحيد ، مملوء بالغربة في هذا العالم ، تخرج ليلاً من باب الفجر ، لتبحث عمن في النوم رأيت ، تحاول أن تجتاز الأفق وحيداً ، بكوابيس نهار مات تعود ، لتبدأ من حيث بدأت ، لترفع هذي الصخرة نحو القمة ، في كل صباح تشنق نفسك ، لكن العنقاء بنار الشعر تعود لتنفض عنك رماد الأشياء ، فحبك يبقى الكنز المرصود ، وتبقى أنت بشوق ملتهب ، منتظراً ، مسكوناً بالغربة ، تنزف منك الكلمات ، أميراً للمنفى ، يغتصب العالم بالكلماتْ .

- ٢ -

تتذوق طعم الفتح وحيداً ، تجتاز الأفق بنار الشعر الزرقاء تتقمص روح الأجداد

تعبر نهراً بعد البحر ، وبحراً بعد الصحراء
سيفك ومض البرق ، وخيمتك الغابات العذراء

- ٣ -

ما بين الرهبة والرغبة
ترحل نحو الداخل ، مسكوناً بالغربة

- ٤ -

العالم منفى في داخل منفى والناس رهائنْ
ينصب بعض منهم للبعض كمائن
في هذا الشبر من الأرض وفي ذاك الصقع الشاسع

- ٥ -

ما بين الواقع والأسطورهْ
يتحدى الإنسان مصيره

- ٦ -

ما سيكون هو الكائن

- ٧ -

يطعن عينيه الضوء الخابي تحت الأعمدة الحمراء ، يقول لها :
« حبيني ! » فتجيب بحزن : « سأحبك حتى آخر يوم من عمري »
لكن الصحراء
تزحف نحو الأعمدة الحمراء
فتغطيها ، وتغطي صيحات الريح المجنونة تحت الأنقاض

- ٨ -

ما بين استغلال الإنسان
لأخيه الإنسان
وحريق الكلمات
تولد في رحم الأرض الثورات

- ٩ -

علماء الآثار اكتشفوا في صحراء الحب قناع الفاتح في صندوق ذهبي وتعاويذ بخط كوفي بللها دمع وقناع امرأة من عاج كُتبت في أسفله بضعة أبيات من شعر ، كان البيت الأول منها ممحواً ، ورماد حريق بالقرب من الوجه يشير بأن

لصوص الآثار انتهبوا شيئاً ما ، كان الموت يحدق في مرآة صدئت فوق الحائط ويسرِّح شَعر السنوات الضوئية في هذا الركن المعزول من العالم ، ما بين الواقع والأسطورة ، يرحل نحو الداخل ، مسكوناً بالغربة : هذا العصر الدامي ، ها أنت أمام مجاعات التاريخ إلى الحب ، تعيد إلى الشعر براءته وإلى لغة الرفض بكارتها خارج لعبة موروث الكتب الصفراء ، تحاول أن تلوي أعناق الكلمات بقلب حطَّمه البحث عن الحب الأعظم في شارات عبور المدن الأرضية بعد الطوفان وفي صيحات البشر المحرومين وفي سحر عيون المعبودات .

- ١٠ -

ها أنت تدقُّ على أبواب العصر الآتي بالكلمات

قراءة في ديوان
«شمس تبريز»
لجلال الدين الرومي

- ١ -

قالت عائشة للناي الباكي : مَنْ يقتل هذا الشاعر أو يعتقه
من نار الحب الأبدية . ها هو ذا أوغل في السكر
وأصبح بي مجنوناً ، وأنا أصبحت به . . . أيضاً .
وكلانا مجنون سكرانْ
يبحث عن وجه الآخر في الحان
نتحطم مثل إناء الخزف الملآن
لمّا يعرونا ، قبل صياح الديك ، خمار الظمآن
ها هو ذا شمس الدين
يشرق من « تبريز »
يمنحني بركات العاشق والمعشوق
وكلانا ثمل مجنون
المعشوق هو الكل الحي ، وأما العاشق
فهو حجاب وهو الميت
برماد حريق أتغشى وبأسمال الفقراء
أمسك كأس شرابي بيد ، وبأخرى شعر حبيبي
أرقص عبر الميدان

في أحشائي نارٌ لا تخبو، فلماذا لا تحرقني النار؟
ها أنذا أضع الكفن الأبيض والسيف أمامك
فلتضرب عنقي وأنا سكران.

- ٢ -

خطفت مني قلبي
سلبت مني نفسي
أخذت مني العالم
فرت مني
لم تترك لي غير الشوق الواري وفؤادي الظمآن

- ٣ -

ديك مخصي بثياب النظام
ينطح صخر قوافي الشعر الموطوء، ويخفي عورته بالأوزان
قال لخادم سيده السلطان
سأجيء برأس الشاعر هذا، حتى لو كان يصلي في
المسجد أو في الحانة سكران

- ٤ -

ينهش صدري رخ أسطوري رافق رحلات الرجل المجهول إلى أصقاع الدنيا . كان « سنائي » و « العطار » رفيقيْ رحلته الأولى ، ينهش صدري وأنا أسمع عائشة تبكي في بستان طفولتها
كانت للرجل المجهول القادم من مدن العشق السبع ، تقول بحزن :
كان فراقاً مراً ، فافعل ما كنت تريد سوى هذا !
يا هذا مجنون أنت وسكران
وأراها شاحبة تقفز من فوق السور إلى البستان
ببنفسج عينيها تختبىء امرأة وحريق دخان
ومحبون
يأتون ويمضون
وأنا ثمل مجنون
أسمعها وأراها في حقل بنفسج
امرأة تتوهج
تتلاشى في زبد النور وتولد .

- ٥ -

خطفت مني قلبي

سلبت مني نفسي
أخذت مني العالم
فرت مني
لم تترك لي غير الشوق الواري وفؤادي الظمآن

- ٦ -

لمّا تدخل امرأة حجرة «خوفو» لا تدركها الشيخوخة والموت وتبقى قادرة، رغم مضيِّ الأعوام، على الحب، وعائشة كانت، تلك المرأة، أو هي أصبحت الآنْ لما قلّدها رايته شمس الدين وعانقها، لمّا قال لها:

كوني:
«لارا» أو «ليلى» أو «هند»
كوني ما شئت وكوني خاتمة العقد

- ٧ -

كانت عائشة في شفتي ناياً يبكي
وأنا أحكي
عن ألم الحب

بستان عائشة

مرثية إلى خليل حاوي

(١)

حين انتظر الشاعرْ

ماتت عائشةٌ في المنفى

نجمةَ صُبحٍ صارتْ :

لارا وخزامى / هنداً وصفاءْ

ومليكةَ كل الملكاتْ

تمثالاً كنعانياً

نار حريقٍ فى أبراج البترولِ
وفى أبيات « نشيد الانشادْ »
ودماً فوق سطور « التوراة »
وجباهٍ لصوص الثوراتْ .
صارت نيلاً وفرات
ونذورَ الفقراء
فوق جبال الأطلس ،
قافية فى شعر أبى تمّامْ .
صارتْ بيروتَ ويافا ،
جرحاً عربياً فى مدن الابداع
منذوراً للحبِ
ومسكوناً بالنار .
صارت عشتار

(٢)

حين ارتحل الشاعرْ
رسمت خارطةَ الأشياء خُطاهْ

(٣)

حين انتحر الشاعرْ

بدأت رحلته الكبرى واشتعلت فى البحر رؤاهْ

وحين اخترقت صيحتُهُ ملكوتَ المنفى

طفق الشعبُ القادمُ من صحراء الحبِ

يُحطم آلهةَ الطينِ

ويبنى مملكة اللّهْ

٢٨ ـ ٢ ـ ١٩٨٣

منْ أوراق عائشة

قالتْ : سأَقتلُهُ

وأحمل رأسه لقبيلتي

صنماً ، لتعبدَهْ

وتحرقهُ ، إذا اقتتلتْ

وفي الصحراء أبني معبداً للحبِ

يحمل إسمَهُ

تأوى إليه الطير ، فى زمن المجاعةِ

أَرتدي الأسمالَ

أعقر ناقتي

فى باب معبده أنوحْ .

قالتْ : سأَحملُهُ

إذا مرتْ عصورٌ

خاتماً فى أصبعي

وأنوح فى جوف الضريحْ

٢٣ ـ ١١ ـ ١٩٨٧

النـــاي

النايِ يبكي : إنها الغاباتُ ، تبحث ، سيدي ،
عن قُوتِها في باطن الأرض العميقْ .
النايِ يبكي : إنها ريحُ الخريفْ .
النايِ يبكي : إنها الأبراج داهمها الحريقْ
النايِ : إنسانٌ يُقاومُ موته
موتَ الطبيعةِ والفصولْ

مدن الخوف

مدنٌ تعيشُ على الإشاعات / الأكاذيب / الأقاويل / الخواءْ
وعلى دم الإنسان والحق المُضاعْ
وتنام في خوفٍ على باب الطواغيت الصغارْ
وبعضْوِها / المذياع / تفتح ما تشاءْ

الحلزون

رجلٌ تَسَلَّحَ بالنبوءةِ واللهيبْ

أَسرى بنار الرافِضين

ومات في المنفى وحيدْ

كلماته اخترقت جدار الصمتِ

ذوّبت الجليدْ

فَلِمنْ؟ وماذا سوف تكتبُ عنهُ؟

يا حلزون ذاكرة المغني والشهيدْ

الينابيع

سأموتُ حباً تحت خيمتِها

أعود إلى الطفولةِ

راعياً غنمَ القبيلةِ

مثلَ هرون الرشيدْ

ملكاً وسلطاناً

على أسراب مملكة القطا

وقبائل الأمطار في كل الفصولْ

ذهبي : ينابيعُ الحياةِ

وثروتي : قلقُ الوجودْ

ورقـة أخـرى

قالتْ : سأشنقهُ

بِليلِ ضفائري

مهما أطَلْتُ الانتظارْ

وأعيدهُ حجراً على درب القوافلِ

سدرةً / شيحاً وقيصوماً

وزهرةَ جلنارْ

قالت : سأغرس رمحَهُ المسمومَ

في عينيهِ

حتى لا يرى ضوءَ النهارْ .

وبكتْ وطال بها الوقوفُ على الطلول البالياتْ

واستنجدتْ بالساحرات

لتعيدَهُ حياً ،

ولكن الرياح السافيات

عفّت على آثار أقدام الطريدِ

وأدرك الليل النهار

٢٣ - ١١ - ١٩٨٧

نـار الشعر

(١)

قالتْ : « ستموتُ غداً ، مسموماً في المنفى
أو مذبوحاً في سكين صديقٍ أو مُخبر سلطانْ »
قال مخنثُ بابلَ : « أنت الآنْ
مأسورٌ ، باسم الشعراء الخِصيان »
لكني ، كنتُ أموت غريقاً
في النور القادم ، من أبعد نجمٍ ، محترقاً
في نار الشعر الزرقاء
أشحذ أسلحتي ، وأداعبُ في موتي ، القيثار

(٢)

كان يموتُ ببطءٍ ويناضل ضد الحُلم المأجورْ
كان شهيد النور.
كان يقاتل في يافا / البصرة / بيروتْ
وعلى بوابةِ «كردستانَ» وشط العرب المسحور يموتْ

(٣)

كان يشاهد أشباهَ رجالٍ ومخانيثَ وراء مكاتبهم يزنونْ
كان الوطن العربي القابع تحت الأنقاض يشاهدهم
في عين المأخوذْ
يحصون القتلى من خلف مكاتبهم
يزنونْ
بعيون لصوص الديجور

(٤)

كان الشعب العربي يشاهد من تحت الأنقاضِ
نهايةَ عصر شهود الزورْ

(٥)

كان شهيدَ الوطن الصاعد من قاع الابداع غريقاً فى النورْ

مدريد ٧ ـ ١٢ ـ ١٩٨٣

الملاك والشيطان

معجزةُ الحب الخالد « لارا »

تنهض من تحت رماد الأسطورة ، عنقاءْ

تتألق نجماً قطبياً

وتهاجر مثل الأنهارْ

تتقمص فى ألواح الطينِ

وفى أختام ملوك « الوركاء »

صورةَ عشتارْ

تصبح معشوقاً أزلياً في لاهوت العشاقْ

إحدى الربات

تتجلى في صور شتى

في أوراق البرديِّ وفي المنحوتاتْ

تُغري بعبادتها الشعراءْ

فإذا ما عبدوها

صاروا في الحب لها عُبدانْ.

أَغوتني

وأنا في المهد صبيٌّ

لكني أصبحتُ عليها سلطانْ.

كانت في الحب ملاكاً

وأنا كنتُ الشيطان

١٩٨٦

نهر المجرة

فِي نهر مجرة هذا الكون الشعريِّ
المسكون بروح الأسلافْ
كنا مثل فراخٍ لم تنبتْ، بعدُ، قوادمُها
نسبح ضد التيار

ونحاولُ ليلَ نهارْ
أن نصطاد الثور الأسطوريَّ
لنذبحه قرباناً لإله الشعر المتجلي
في غبش الأسحار
كنا نتحدى
أزمنةً شاختْ وعصوراً تنهارْ
بصواعقَ من نار.
كنا أطفالاً
لكنّا في الحب كبارْ

١٩٨٦

النقاد الأدعياء

جرذانُ حقولِ الكلماتْ

دفنوا رأسَ الشاعر في حقل رمادْ

لكنّ الشاعرَ فوق صليب المنفىٰ

حمل الشمسَ وطارْ

نيسان ١٩٨٦

مترو باريس

أشباحٌ عددَ الرملْ
أنهكها المعنى واللا معنى في حمى البحثْ
ودوارُ الرفضْ
بعضٌ منها ينزل أو يصعد من جوفِ الأرضْ
أملاً في البعث

منها : مَنْ يبكي / يترنح / يضحكْ
يعوي مثل الذئبِ
ويُخفي بجريدته وجهاً متعبْ
وَيُوَدِعُ ضوءَ نهارٍ يرحلْ
يستبدل ذاكرة الأمس بأخرى
ويخاطب إنساناً مجهولاً في الغيهبْ .
مَنْ يهذي / يتضور جوعاً / يتأبطْ
كتباً لم تُقرأْ .
من يعزف لحناً / يشحذْ
يُلقي شعراً ويحلق في المطلقْ
مَنْ يرجو شيئاً لا يتحققْ .
وتظل الأشباح الأرضيةُ تنزل أو تصعدْ
في النفق الأسودْ

١٩٨٦

الولادة في مدن لم تُولَدْ

أُولدُ في مدن لم تُولَدْ
لكنّي في ليل خريف المدن العربيةِ
ـ مكسورَ القلب ـ أموتْ
أدفن في غرناطةَ حيّ
وأقولْ :
« لا غالبَ إلا الحبُ »
وأحرق شعري وأموتْ
وعلى أرصفة المنفى
أنهضُ من بعد الموت
لأولد في مدن لم تُولَدْ وأموتْ

١٩٨٦

المُغني الأعمى

مطرٌ يتساقط فوق مساجد طهرانْ

مطر ونعاسْ

وسحابةُ خوفٍ تجتاح الناسْ

لكنّ مغني الموتِ الأعمى

كان يغني للموتى العميانْ

١٩٨٦

راقصة الدخان

راقصةٌ من بحر الصينْ
ترقص في صندوقٍ خزفيٍ
تُغمضُ عينيها
تبكي
ممسكةً في يدها عصفورْ
ترفعهُ قرباناً للنورْ
تقطف في يدها الأخرى زهرةَ لوزٍ
تخفيها في قاع الصندوق.
تسقط مثل النجمةِ في بحر الصينْ
تتلاشى مثل دخانٍ في الريحْ

١٩٨٤

الشهيد

يتوهج في نور المشكاةْ

متحداً في ذات الله

لايفنى / مثل شعوب الأرضْ

يتحدى في ثورته الموتْ

١٩٨٤

عن كتب التاريخ

عاهرةٌ كتبُ التاريخْ
تَدفنُ تحت الأنقاض : الشهداءَ القديسينَ
وتُبقي أسماءَ شهود الزورْ

١٩٨٤

إلى خورخي لويس بورخيس

أعمىً ، لكنكَ تُبصر في عين الكلماتْ

تتقرى باللمس المرآة

ورفوفَ الكتب الغرقى بالنورِ

ونارَ اللوحاتْ .

تُبصر ـ ما خلف البابْ

ووراء قناع الأسطورةْ ـ

: مدناً تحت الشمس تموتْ

فرساً في غابة عبّاد الشمس جموحْ
نهراً ينبع من جبلٍ مسحورْ
بدوياً يصطاد غزالةْ
كانت جاريةً في قصر الواثق باللهْ .
كانت نافورةْ
في أزمانٍ أُخرى ، في قصر الحمراء .
أعمىً لكنك تُبصْر
وجهي الآخر تحت قناع الموتْ
وضياعي في ملكوت المنفىٰ :
مَنْ منا الأعمى
في سجن الحريةْ ؟
يبكي تحت الأسوار الحجريةْ ؟
ويموت وحيداً في الغربةْ
محكوماً بشروط اللعبةْ

١٩٨٤

مجنون أشبيلية

تحت الجيرالدا

أجمل إنسان في الأرض يموتْ

تحت الجيرالدا

آخر حبٍ في الأرض يموتْ

تحت الجيرالدا

أصرخ مجنوناً وأَموتْ

١٩٨٤

إلى بثينة اليكساندرة

فِي بهو الليل الأسباني ، فتاةٌ نائمةٌ
يحرسها ثعبانٌ
وعلى قدميها يجثو عبدٌ
ينفخ في ناي ذهبيٍ
يبكي عشاقاً ماتوا في أوج صباهم
ويقول بصوتٍ دامعْ
للجسد الهاجع :
كُوني ربةَ شعري في آخر خطوةْ
أخطوها حول المذبحْ
فالعالم مسرحْ
والشاعر في خاتمة الفصل ضحيةْ
ينهشه حفار القبر / النقاد اللؤماء

١٩٨٤

عن كتب التاريخ ، أيضاً

كاذبةٌ كتبُ التاريخْ

ما كان الإسكندر تلميذاً لأرسطو

ما كان سوى جلاّدْ

يغزو من أجل الغزوِ

ليُشفي غلته

بدماء جنود الفقراءْ

١٩٨٤

عملية تجميل

يتمنى أن يصبح من جنسٍ آخرْ
أو ذيلاً
ولساناً للآخرْ
لكنّ الحلاقَ الباريسيَّ بخيلٌ
في قص شعور قصائدهِ
أو وضع الرأس مكان الرأس الآخرْ

١٩٨٤

إلى نجيب محفوظ

ثرثرةٌ فوق النيلْ؟

أم وجعُ القلب الإنسانيِّ المخذولْ؟

وهزيمة جيل؟

أم نار أطفأها في العوّامةِ

أمر يحتمل التأويلْ؟

١٩٨٤

بغداد

مهما طال حوارُ الأبعادْ

فستبقى بغداد

شمساً تتوهجْ

نبعاً يتجددْ

ناراً أزليةْ

رؤيا كونية

لطفولة شاعرْ

١٩٨٤

الـولادة

الابداعُ هو الحبّْ
والحبُ هو الموتْ
والابداع / الحب / الموت : ولادةْ
فلماذا مات ، إذن ، نيرودا / حكمتْ ؟
ولماذا آخر وردةْ
في شرفة بيتي احترقتْ ؟
ولماذا نجمةُ حبي أَفَلَتْ ؟

١٩٨٤

إلى يلماز غونيه

رجل وامرأة وقطار في ليل الأناضولْ

تحت الضوء ، تقول المرأة في خوفٍ : « ما هذا الليل ؟ »

مدن وقرى وذئاب تعوي جائعة ، تحت الثلجْ

ودخان الأنفاق الملتويةْ

وسعال الأطفال

ليل ينذر بالزلزال

قال الرجل النائم في همسٍ : « الليل هو الليل ! »
رجل آخر في أقصى العربةْ
يكتب تحت الضوء المخنوق رسالةْ
ويردد أغنية شاعت بعد الحرب الكونية في البلقانْ
تتحدث عن حب غامضْ
ونبيٍ شاعرْ
فُتِنَ الناسُ بهِ / رجلٌ يغتاب صديقاً ويقول :
« هذي الدنيا خائنة ولعوب
تركب ظهر حمار بالمقلوب »
المرأة تبكي في خوف ، الرجل الأول يزجرها
ويقول لها : « ما هذا ؟
الفجر وشيكٌ والغاباتُ تتنفسُ في عمقٍ
والأرض تعاني أوجاعَ مخاض »

١٩٨٤

بستان عائشة

بستانُ عائشةٍ على «الخابورِ»

كان مدينةً مسحورةً

عربُ الشمالْ

يتطلعون إلى قلاع حصونها

ويواصلون البحث عن أبوابها

ويقدمون ضحيةً للنهر في فصل الربيع

لعل أبواب المدينةِ

تستجيب لَهُمْ

فَتُفْتَحُ / كلما داروا

اختفى البستانُ

واختفت الحصونْ .

فإذا خبا نجمُ الصباحْ

عادوا إلى « حلبٍ » لينتظروا

ويبكوا ألف عام

فلعلهم في رحلة أخرى إلى « الخابور »

يفتتحونها

ولعلهم لا يُفلحون

فالموت عرّافُ المدينةِ

هادمُ اللذاتِ

يعرف وحدهُ

أين اختفى بستان عائشةٍ

وفي أي العصور .

٢٦ ـ ١٢ ـ ١٩٨٧

٢ ـ ١ ـ ١٩٨٨

اللقـالق

تحط الرحالَ بأعلى الكنائسِ

أعلى المساجدِ

فوق القبابْ

تُجَمِّعُ عيدان أعشاشها

من هنا أو هناكْ

تبيض / تُفَرِخُ / تفرد في الريح أجنحةً

لتزق الفراخ.

فإن ضوأت نجمةُ القطب فوق المدينةِ

ذارفةً نورها في العراء

نما ريشها

واستطالت قوادمُها فى الهواء؛

تطير اللقالق عائدةً

لبلاد الضبابِ

مخلفةً صرخة في أعالي السماء

القفص

لتكن القلاع والحجرْ

لتكن الإنسان في صراعه الدامي مع القدر

لتكن الينابيع والنار وثورات الريح والبشر

فأنت سيد الينابيع

وأنت سيد المطر

لكنك الآن حبيس

تنقر القضبان في القفصْ

المكتشفون

يتوجع العشاق في صحراء وحدتهمْ

يجوبون الساعات الكئيبةَ

حاملين جحيمهم

متوحدينَ / مُهَشّمينْ

لبثوا / بفعل تواصل الأزمانِ

في ملكوتهم / لا يكبرون

شابت نواصي الأرضِ
دبّ الموتْ في الغاباتِ
فانقرضت
وهم يتفتحون ويُزهرون ويُثمرونْ
وبسحرهم قهروا التعاسةَ
واصلوا الابداعَ
في صحراء وحدتهم
وكانوا / ما يكونْ

تركوا على أسوار هذا الكونِ
بعض رموزهم
وَهُمُ إلى أرض الكواكب يرحلونْ

صورة جانبية لعائشة

تُخفي وراء قناعها وجهَ الملاكْ

وملامحَ الأُنثى

التي نضجت على نار القصائدِ

أيقظت شهواتِها ريحُ الشمال

فتجوهرتْ تفاحةً / خمراً
رغيفاً ساخناً
في معبد الحب المقدّسِ
أدمنت طيب العناقْ
ظهرت بأحلامي ، فقلت : فراشةٌ
رفتّ بصيف طفولتي
قبل الأوانْ
وتقمصت كل الوجوهِ
وسافرت / بدمي تنام
قديسةٌ تسل في جوف الظلام
لتعانق الصنم المُحَطمَ
تنشب الأظفار في الحجر / الحطامْ

ياقوتةٌ / فَمُها / تشع طريةً /

نارُ الحقول /

ضفائرٌ معقودةٌ /

عينان تضطرمان من فرط الحنان

وجه وراء قناعه ، يُخفي « مدائن صالحٍ »

وحدائق الليمون في أعلى الفرات

أمضيتُ صيف طفولتي

فيها ، وأدركني الشتاء

وحملت في منفايَّ بعد رحيلها

ذهبَ القصائد والرماد

١٩٨٧ ـ ١٩٨٨

التجلي المُقدس

للوطنِ المدهوش في زوبعة الأوراقْ

للوطنِ المسكون بالعشاق

للوطنِ الضارب بالجذور في الأعماق

لشاعرٍ تحوم حول وجهه المُضاء

فراشةٌ بيضاء

لكتب الأسفار

والليل والنهار

تطلَّعَ الحلاج

مفترشاً « دجلةَ » في الخريف والقباب والأبراج

وخبأَ الرأس الذي أُحرق بعد الصلب في الأمواج

١٩٨٣ ــ ١٩٨٤

الشـــاعر

أَشْعَلَ في أصفاده النارَ،
وقال لسجون الأرض أن تنهارْ
باح بسر حبه الفاجع للأمطار
وعندما استشهد في هياكل النور وفي المعراج
أُودع في قصيدةٍ رمادُهُ
صار ضريحاً غامضاً يُزار

المهرج

تقطعت أنفاسه في أول الشوط وفي نهاية المضمار

خاف من الصعود والهبوط في دوائر الأصفار

وعندما خرّ على الأرض صريعاً

مدّ لليل يداً

وانهال بالأخرى على طفولة النهار

بسوطه . وانهار

الخـائنـة

كانت ، على منوالها ، ثلاثة تخونْ :

حبيبها ونفسها وبعلها المسكين

وعندما تحدج في مرآتها

ترى على صفحتها خائنةَ العيونْ

مدريد في عيد الميلاد

فِي ساحة الأربعة الملوكْ

مرّ المسيحُ عابراً

بغصن زيتونٍ ووجهٍ شاحب منحوت

من حجر الياقوت

وكان في الساحة صعلوك على أكتافه

عباءة من ورق الخريف

وطفلة تشرب ، في جانبه ، الكحول

وتنفث الدخان في وجه مغول الريحْ

الوجــه

وجهك في المرآة : وجهانِ
فلا تكذبْ
فإن اللهْ
يراك في المرآةْ

ســور الصــين

تكسرت نصالهم فوق جدار سره الدفين

قالوا : انتهى !

وحفروا قبراً له

وسملوا عينيه بالسكينْ

لكنه ، كان على صليبهِ مُعلّقاً

تضيئهُ البروق في ليل المنافي مثل سور الصين

إلى أوكتافيو باث

قلتُ لشمس الله أن تُشرق في الميعاد

قلت لها : شرِّقي في هذه الديار :

الله والقيثار

لكنها غابت

ولم تشرق على منازل الشاعر في الميعاد

الولايـة

أَنشب في لحم الليالي مخلباً ونابْ

حجَّ إلى مدينة العشق

وفي حاناتها

أفرط في الشراب

وعندما بايعه الخمّار بالولايةْ

أُحسّ بالنهاية

امـرأة

تعود كل ليلةٍ من قبرها النائي
إلى مدائن الصفيح
تمارس الحب مع الشيطان في بيوتها
تصهل مثل فرس في الريح
وكلما أدركها النعاس في تجوالها
عادت إلى الضريحْ

البصرة

(١)

كانت ، كعادة ، أهلها البسطاء
تجترح البطولة والفداء
تستقطر التاريخ معجزةً
وشارات انتصار

وبوجهها العربي

في كل العصور

ـ مدينة الشعراء والعلماء ـ

قاومت الغزاة

وبأكرم الشجر النخيل

وشطها

كانت إلى الشهداء في معراجهم

زاد المعاد :

الشعر سر شبابها

وبطولة البشر / البناة

(٢)

خصلات شعرك في مرايا البحرِ :

نافذة وعصفور يطيرُ

ووردتان

وأنا المسافر في الزمان وفي المكانِ
وفي منافي الأبجدية والعروض
لغتي بصوتك أورقت
صارت قناديل المحبةِ
أزهرتْ
صارت منازل للقلوب
صار الزمان حديقةً
والبحر مرآة الحديقة والزمان

(٣)

كانت بلادي ترتدي ثوب الربيع
أوقفت راحلتي
وقلتْ : بكم تبيعْ
سلطانتي
هذا الضياء الأزرق الورديَّ
هذا الثوبَ
هذا الياسمينْ

قالت : « بكل قصائد الشعراء »
ضاحكةً
« ولكن ، لن أبيع ! »

١٩٨٧

الرجل المجهول

رجل من بين غبار السنواتْ

طرق الباب

حيّاني ، قلت له : « أهلاً ! »

لكن الرجل المجهول ، قبالة ، بابي ، مات

١٩٨٥

باب الشيخ

حبٌ من « باب الشيخ » ورائي
يمتد كخيطٍ مسحورْ
أُمسكهُ ، فأرى بيتاً يغرق بالنور
أتطلع نحو الباب المغلقِ
في عينيْ طفل مبهور
أتوقف عند السور
أصرخ ، لكن الخيط المسحور
يصبح جرحاً في قلبي
ورماد بخور

١٩٨٥

الطـاووس

مدنٌ بالطاعون تموت وأخرى يضربها الزلزالْ

ومجاعات وحروب في كل مكان ودمار

وحضارات وعصور تنهار

لكنّ الطاووس ، بلا خجلٍ ، يُظهر عورته للناسْ

١٩٨٥

إلى بشار كمال

مخترقاً جدران الغرف الصماء

ولغات شعوب القارات

مصهوراً بالنار

والألم الخلاّق

يتحدى الرمم الصلعاء

وصغار الكتاب

أَشعل باسم الإنسان المُفعم موتاً

ثورةَ إبداعٍ في الابداع

١٩٨٥

طفولة شاعر

عائشةُ بنت السلطان

كانت من أعلى نافذة في قصر السلطان

ترنو لخيول السلطان

وعبيد السلطان

كانت ترشقني ـ وأنا أبكي

تحت النافذة العليا

مكسورَ القلب ـ بوردةْ

لكنّي أتجاهلها ،

وأقول لنفسي

وأنا أبكي في حرقةْ :

ماذا لو أسرجت حصاني وغزوتُ البلدةْ

١٩٨٥

القصيدة

يتجول في نومي رجلُ النورْ
يتوقف في الركن المهجور
يُخرج من ذاكرتي ، كلماتٍ
يكتبها
ويُعيد كتابتها في صوت مسموعْ

يمحو بعض سطور

ينظر في مرآة البيت الغارق بالظلمة والنور

يتذكر شيئاً

فيغادر نومي

أستيقظ مذعوراً

وأحاول أن أتذكر شيئاً

مما قال ومما هو مكتوب

عبثاً ، فالنور

مسح الأوراق وذاكرتي

ببياض الفجر المقتول

١٩٨٥

المغول

كان المغول على ظهور الصافناتِ ـ
دُمىً يُحرك واهيات خيوطها
عصر يموتُ
غريزةُ التاريخِ
تحت سماء موت الآخرينَ ـ

عيونهم خرزٌ ملونةٌ

بأعناق السهوبِ :

مجاعةٌ / برق / بكاء الأرضِ

قبل مخاضها الدامي

وجوهٌ تقرأ الأفق المُغشى بالحرائقِ :

إنها حُمى الولادةِ

إنه الطاعونُ

حاصر « قندهارَ »

وحاصر المدنَ التي ذُكرتْ

بأسفار اليهودِ

وشقّ أرحام السبايا

سمّم الأنهارَ

حطم سقف هذا الكون

داس بخيله جثثَ الملوكِ
أماط عن وجه الطبيعةِ سرها المكنون
عرىّ نطفة العدم الذى يسري بشريان
الوجود / أعاد خلط الماء والأوراق
والنار / الضحايا والغزاة : عجينةً عمياء
تبحث في المرايا
عن وجوه القادمين من السهوبِ
ليحرثوا بسيوفهم
عطشَ الحياة وجوعَها

وعلى رماد حرائق المدنِ
التي نزفت دماً
هُزِمَ المغولْ

١٩٨٨

رجـل وامـرأة

يسقط الثلج على مدخنة البيتِ

وفي بهو المرايا

امرأة منتظرةْ

رجل في دمها ، يحرث ، مأخوذاً

حقولَ الجسد المزدهرة

رجل يُولد من أضلاعها

يسكن فيها

يختفي في الذاكرة

نابضاً في قطرات دمها المفترسةْ

صاعداً كالشجرةْ

في خلاياها وفي أوصالها المرتجفة

رجل عانقها

فاشتعلت في دمها ، نارُ الفصول الأربعةْ

١٩٨٨

الحصـــار

إلى خليل حاوي في ذكراه

محجوزةٌ : كل منافي الأرض والسجونْ
أقبية التعذيب والجنون
أقنعة المهرجينَ
وقناني الخمر والسمومْ
مطاعم المدينة / الملاعق / الصحون
قصائد التفعيلة / العمود
محاكم التفتيش
تذاكر المسارح / الملاجيء / القبور
كينونة الحب / قباب النور
أضرحة الملوك

عواصم الخيانة / اللاهوت

فأين يمضي شاعرٌ

نجا من الموتِ

لكي يموتْ

١٩٨٨

الطَلَسم

أحرقني برقُ العشقِ ، صغيراً

أحرقني الصمتُ / الطلسم / السحرُ

الأسودُ في قاع مدينتنا / مصباح علاء الدين

أنين الأشجار المقتولةِ في السرداب

صيحاتُ الجنيِّ المحبوس / نداءُ الباعة في الأسواقْ
موت الأطفال / العشاق / هديلُ حمام الأبراجْ
صرخات الصوفي المأخوذ بذكر الله
صلوات الأسحار
قصص الجدات
لحمُ الحيوان المذبوح يعلقهُ القصابُ / عيون
القطط السوداء
أخبار الحلاج / عويل النسوة في باب السجنِ /
نعوش الأموات
ليل الإرهاب الملكي الأسود / عقم السنواتْ
كتب النحو الصفراء

أحرقني البؤس / الضوء / التجوالْ
بحذاء مثقوب تحت الأمطار
أيام الأعياد
أنوار مآذن بغداد
باب الشيخ / نذور الفقراء .
أحرقني برق العشق ،
صغيراً كنتُ
وكانتْ
فبماذا تأمرني ، سيدتي ، الآنْ

١٩٨٨

وردة الثلج

وردةُ الثلج ، هنا ، ترقدُ
هل أحببتها يوماً ؟
لماذا لا تجيب ؟
بكتْ العرّافةُ العمياءُ
لمّا قرعت شاهدة القبر
فلم ينهض من القبر سوى هذا الصليب

ورماد الورق الأسود والأحمر
يطّاير في ريح المغيب
أي حب هو هذا ؟
عندما يكتشف الشاعرُ في منفاهُ
سرَّ الآلهة
نيزكاً يسقط في البحرِ
عواءَ الرغبة المشتعلةْ
قارةً غامضةً تظهرُ ، ليلاً ،
في بياض الورقة
غابة / قافية محترقةْ
نجمة مؤتلقةْ
عندما يصبح هذا النصُ مفتوحاً
وهذا القرع في شاهدة القبر
حضوراً في الوجود
تنهض الوردةُ من تابوتها
حاملة نار جنون العشق
نار الملكوتْ

١٩٨٨

صورة جانبية لمدينة ما

مقبرةٌ تعلوها مقبرة ، بينهما
الحب / الموت / البشر الأحياء
والشحاذون وأهل اليُسر البخلاء
فإذا ما صحتَ بأعلى صوتكَ
عاد الصوت مليئاً بلهاث الموتى
وسعال شتاء السنوات
وإذا ما حاولتَ فراراً
طاردك الباعةُ والعيّارون الشطّار
في تلك المقبرة الكبرى
في تلك الطاحونةِ
في تلك الصحراءْ
نُحرتْ آلهة الشعرِ
ومات الشاعر في حانوت الخمّار

٢٧ ـ ٥ ـ ١٩٨٦

ســر النــار

فى آخر يوم ، قَبَّلْتُ يديها

عينيها / شفتيها

قلتُ لها : أنت ، الآنْ ،

ناضجةٌ مثل التفاحة

نصفك : إمرأةٌ

والنصف الآخر ليس له وصفٌ

فالكلمات

تهرب مني

وأنا أهرب منها

وكلانا ينهار

لطفولة هذا الوجه القمحي

وهذا الجسد المشتعل الريان

أبتهلُ الآن

وأقرّب وجهي

من هذا النبع الدافق ، ظمآنْ .

في آخر يوم ، قلتُ لها :

أنتِ حريقُ الغاباتِ

وماءُ النهرِ

وسرُّ النارْ

نصفك ليس له وصفٌ

والنصف الآخر : كاهنة في معبد عشتارْ

٢٧ ـ ٥ ـ ١٩٨٦

مملكة الشاعر

مملكة الشاعر حاصرها الأعداء

دهموا بوابتها

ذبحوا ، بسيوف الغدر ، الحراس

نصبوا مشنقةً في ساحتها

وأقاموا الأعراس

شقوا صدر الشاعر

لم يجدوا في داخله

إلا مقبرةً ، كان الثلج يغطيها

وأسامي معبودات مُسحتْ

وأُزيلتْ

من فوق قبور جرفتها ، الأمطار

وقصائد حب جعلوها بعد الأعراسِ

طعاماً للنار

حكموا بالنفي على الشاعر بعد الموتِ

أقاموا حول المنفى ، الأسوار

الـدرع

وطني درعٌ فولاذيٌ

يحمي غُرةَ بغداد

كعبة حب يحرسها الله

كل غزاة التاريخ انهزموا

في بوابتها

صاروا في ذاكرة التاريخ رماد

يتبارى في قوس الشمس ، دفاعاً

عنها الأسلاف / الأحفاد

٢٧ ـ ٥ ـ ١٩٨٦

إلى أسماء اليافي

ترسُمُ وجهَ ملاكٍ لم يُولَدْ بَعْدْ
قديساً يتعبد
بدوياً ، بربابته ، يبكي هنداً أو دَعدْ
تفجيرياً نووياً
حرب عصاباتٍ
إضراباً بالقوة يُمنعْ

وجهَ المتنبي المتعب
يتحدى فلوات المطلق
في نظرات لا تُقهر.
ترسم مذبحة فى مصنع
أسداً يزأر
عصياناً في سجن يُقمع
ملكاً من حجر البركان يصلي للنار
نهاراً يرحل
خيط دخان يتلوى
رؤيا إنسان يتـمرد
ترسم قصر الحمراء بلون الشفق الدامي
والأسود والأبيض

٢٧ ـ ٥ ـ ١٩٨٦

حديث الحجر

حجرٌ، قال لآخرْ :

لم أسعد بوجودي فى هذا السور العاري

فكأني هو قصر السلطان

قال الآخر : ياهذا

محكوم بالموت عليكَ

سواء كنت هنا أم فى قصر السلطان

فغداً يُهدم هذا القصرُ

وهذا السورُ

بأمرٍ من حاشية السلطان

ليعيدوا اللعبة من أولها

ويعيدوا توزيع الأدوار

٢٧ ـ ٥ ـ ١٩٨٦

بكائية إلى صلاح جاهين

كانت أعواماً جاحدةً

في ليل شتاء العرب القاسي

كانت أعواماً جوفاء

فيها مُسِحتْ ذاكرةُ الإنسانِ

ومات الشعراءْ

وامْتُهن الفكرُ

وديست أحلام الفقراء

فيها سُمِّمَت الآبار
وطفت جيف الكتاب المأجورينَ
وصاروا وعاظاً في الصحف الصفراء .
فيها انهزم الثوار
صاروا أيتاماً ورعايا
في زمن البترول / الشيطان .
في ليل شتاء العرب القاسي هذا
كان صلاح
يذوي في صمتٍ ويموت ببطءٍ
ويجرجر أذيال الغربةِ
في دائرة الضوءِ
ويُخفي خيبته في ضحكة طفلٍ
فاجأه موتُ النورِ
وبرد السنواتْ
فبكى مثل الرجل / الطفل المخذول ومات

٢٧ ـ ٥ ـ ١٩٨٦

الديـنـونة

سوق الوراقين

(١)

صورة كانتْ لطاووس مخنثْ
تتحدث
عن زمان داعر، أصبح فيه الحبُ سلعةْ
وبضاعة
في الحوانيت تُباع
ولها في السوق دلال ونخاس وشاعرْ
ولها في العالم الغارق بالحرمان والبؤس مواسمْ
تُشترى فيها، تُباع
لجموع البؤساء
صوراً للعاريات
مثلما في العالم السفلي من أحياء / روما الفقراء
صور العري على أرصفة الليل، تُباع

النـــار

(٢)

قيل لي : من أنت ، قلت : النار في هذي المنازل

وأنا الحب المقاتل

وغد اليأس المناضل

في خيانات القبائل

وشهيد ، كان مقتولاً وقاتل

بائع الحب

(٣)

بائع الحب يرى الشعر بيوتاً للبغاء

وأكاذيب دخان في الهواء

ورجالاً في عباءات نساء

ونساء في سراويل رجال

ومخانيث على أرصفة التاريخ ، صاروا شعراء

الشهداء

(٤)

شهداء الكلمةْ

سكنوا عصر الطواغيت وباحوا بعذاب الكلمةْ

وبسر الكلمة

حملوا أكفانهم واحترقوا بالكلمة

عند شطآن العصور المظلمة

راكب الموجة

(٥)

يأخذ الطاووس في المرآة شكل امرأة منطفئةْ
وخريف امرأة محترفة
ليخون الكلمات
ومعاني الكلمات .
كان في عصر الخيانات وفي أزمنة الحرف الغراب
شاعراً من ورق ينسل من شق كتاب
ليخون الشعراء
كاشفاً عن ذيله في زحمة السوقِ
ليركبْ
موجة الشعر ويغرق

٦ ـ ١ ـ ١٩٨٥

بانوراما « أصيلة »

إلى رافع الناصري

(١)

أوراق خريفٍ تجرفها موسيقى الريحِ
وطيف الألوان
تتوهج فوق الجدران البيض وفي اللوحاتْ
حانات الشعراء
وطيور الماء
يغسل ملحُ البحر جراحي
أتعرّى من أقنعتي
أولد تحت الفرشاة
رسماً فوق جدار

أصرخ لكن الألوان تحاصرني

ورذاذ البحر المهذار

أُغمض عيني

فأرى أجنحة تنبت لي

وأرى أفقاً من نارْ

وحدائق من ذهب رُسمت بالحبرِ الصينيِّ

تحيط بها موسيقى الماء

وفراشات تتقدم تحت قناع نساء

من كل عصور الابداع

أغمض عيني ، فأراها تتقدم نحوي

حاملة قربان البحر وطيف الألوان

تتوهج فوق الجدران البيض وفي اللوحات

وردةُ حب حمراء

العـاشـق

(٢)

يروي «بن عيسى» العاشقْ

وولي «أصيلة»

إن الله تعالى

خلق الدنيا في ستة أيام

في اليوم الأول

خلق النار / الأرض / الإنسان

في اليوم الثاني والثالث

خلق الموسيقى

في اليوم الرابع

خلق الشعر / الفن / وأعطى الفنان

في اليوم الخامس : قوس الألوان

في اليوم السادس

لبست ثوب العرس «أصيلةْ»



نار من داغستان

(٣)

راقصة من أرض السحر الأسود جاءت

تُشعل ناراً

في أرض السحر المشهود

شفتاها عسل ونبيذ .

قالت للساقي المأخوذ :

زدني عسلاً ونبيذاً ، فالليل يطول

قالت عيناها للنور

زدني نوراً ، فأنا جائعة للنور

قالت للعُود :

زدني حباً ، فالحب وجودي

وبدون الحب أموت

قالت : سأقول

لكنّي ، لا أدري ، ماذا سأقول ؟

فالريشة فوق العود

وكلانا / مفقودْ



ناظم حكمت ، كان هناك

(٤)

ناظم حكمتْ

لم يسعد في حلب ، فطفولتُه

فيها كانت عسلاً

لكن النحل أتى بعد الخمسين

ناظم حكمت

لم يسعد في أي مكانٍ ، فهو الآنَ ،

وحيد مني تحت سماء بلاد أخرى

في قبرٍ يغمره ثلج عصور التكوين

وكما في الرؤيا ...

كان معي ، يتأمل وجهاً وقناعاً

لفتاة في العشرين

طارت كالنحلة واحترقت

في نار خريف البشر الفانين

أتذكرهُ وهو يقول ، بحزن الرائين

سلطانة حبي

صُبي الخمر لضيفٍ ، لم يسعدْ

في حلب أو برلين

الموت في الشعر

(٥)

سرنا نحو البحر ، نُودّعُ شمس نهارٍ
غاصت في الموج ، فقالت :
الشعر حرام كالخمرة
لكني في الشعر أموت
من هي « لارا » هل هي « عائشة »
أم هي هذا الأفق الموصود
قلت : هي الحب الضائع والزمن المفقود
وإذا شئت مزيداً
فهلمي في البحر نغوص

إلى محمود الراشد

(٦)

يتأبط نجماً وغزالاً « محمود الراشد »

ويغني لطيور مرّت من فوق « أصيلةْ »

كانت في الليل تهاجرْ

نحو الأصقاع الدافئة المسحورة

آخرها في القطب

وأولها في مدن الأسطورة

ويغني لطفولة

ضاعت في المنفى

ومقاهي « باريسَ » المجهولة

ولأمٍ في « حلب » لم يبق لديها إلا الصورة

الهجرة من الذات

(٧)

بدأ استشهادي

بعد اليوم الثالث من خلق الدنيا

سكنتني الموسيق

داهمني ليل هيولى

اشتعلت روحي شوقاً للعود الأزلي

فصرتُ ، أدور وحيداً في فلك الايقاع

متحداً في موسيقى الكون ونبض القلب الملتاع

وحين عبرت الخط الأحمر للدنيا

لمعت في عتمة نفسي شارات ضياء

وحوار مابين الأحياء الموتى

والموتى الأحياء

سكنت روحي في الكلمات

نهراً قدسّه رمزٌ كونيٌ

صار الوجه الآخر للدنيا

صار الاشراقْ

ظهر الوجه الخالد للحب

انتصر الابداع

قامت مدن / بشروط الفن / يكافح فيها

الشعراء

من أجل خلاص الإنسان

بدأ استشهادي وخلاصي
حين عبرت الخط الأحمر للدنيا
مخترقاً كينونة حبي الصماء

أصيلة / مدريد
٦ ـ ٩ ـ ١٩٨٥

هامش

(١) قصيدة (نار الشعر) مهداة إلى الأستاذ بيدرو مارتينث مونتابث .

(٢) القصائد : التجلي المقدس / الشاعر / المهرج / الخائنة / مدريد في عيد الميلاد .
الوجه / سور الصين / إلى أوكتافيو باث / الولاية / امرأة
مهداة إلى الأستاذ خلدون الشمعة .

(٣) قصيدة (نهر المجرة) مهداة إلى الأستاذ فيدريكو آربوس .

فهرس المجلد الثاني

سفر الفقر والثورة

الذي يأتي ولا يأتي

عيون الكلاب الميتة

الموت في الحياة

الكتابة على الطين

قصائد حب على بوابات العالم السبع

كتاب البحر

سيرة ذاتية لسارق النار

قمر شيراز

مملكة السنبلة

تابع - مملكة السنبلة

بستان عائشة

الدينونة

بانوراما « أصيلة »